FIFA WORLD CUP
RUSSIA 2018

إيتالو كالفينو

ناسك في باريس

ترجمة
دلال نصر الله

أثر

ناسك في باريس

سيرة ذاتية

إيتالو كالفينو

ترجمة

دلال نصر الله

ناسك في باريس

ناسك في باريس / سيرة ذاتية

تأليف الكاتب الإيطالي **إيتالو كالفينو**

ترجمة **دلال نصر الله**

الطبعة الأولى 1438 / 2017

ردمك **978-9938-833-42-3**

أثر

دار أثر للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام

تلفون: 00966505774560

الموقع الإلكتروني: www.darathar.net

البريد الإلكتروني: info@darathar.net

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية.. بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى.. بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

إهداء المترجمة

إلى... نور كوكبِ زُهرة

٥ يونيو ٢٠١٦

مقدمة المترجمة

أضع بين يديّ القارئ العربي الترجمة العربية لكتاب Ermita a Pari-gi ، وهو كتاب صدر في عام ١٩٩٤ بنسخته الإيطالية، لكنّك ستلاحظ أنه يلامس أحداث اليوم، وكأنّ أحداث الزمان تعيد نفسها. يوضح هذا الكتاب ظروف نشأة إيتالو كالفينو، ومشاهداته السياسية بصفته شاهد عيّان، وأهم محطات حياته، وآرائه، وطقوسه الكتابية. وستلاحظ تكراراً في سرد بعد الحقائق، وعدم ترتيب الفصول، لكنّي آثرت الإبقاء عليها كما هي وبالطريقة التي نشرها إستر كالفينو في الأصل الإيطالي. أما بالنسبة للأعلام الواردة بأحرف لاتينية فمن العبث ترجمة بعضها للعربية وذلك لاختلاف نطقها من مكان لآخر، ولا بد أن قارئ كالفينو سيرغب في الرجوع إلى الإحالات ومعرفة المزيد عن بعض الشخصيات نظراً لمكانتهم في التاريخ.

لا يستطيع كالفينو كتابة أي كتاب ما لم يُبَرّر لنفسه سبب اختياره له، وأجد هذا الأمر مهمًا يضفي قيمة لأي عمل، فلماذا اخترت ترجمة هذا الكتاب؟ لقد اخترت هذه السيرة الذاتية لأسباب ثلاث. أولاً، لأننا سنرى الأحداث بعينيّ كالفينو الكاتب الروائي، وبالتالي سنفهم العوامل والعوالم التي مكّنته من الكتابة. ثانياً، لأنّ هذا الكتاب يؤكد على صفة مهمة من صفات كالفينو.. وهي الأمانة في سرد التاريخ، أي أنّه سرد الأحداث كما تذكرها، لا بالرجوع إلى الكتب والمراجع. ثالثاً، لأنه حافظ بقدر استطاعته على مبدأ أن الكاتب يجب أن يبقى مجهولاً، فحافظ على بُعد مناسب يفصل بين حياته الشخصية وبين الناس، وهو بُعد يُعرفنا على كالفينو الأديب الإيطالي فقط.

أمّا على الصعيد الشخصي، فهذه الترجمة بمثابة «شهادة ميلاد» بالنسبة لي. فقراءة ماتعة أتمناها لك.

دلال نصر الله

مقدمة إستر كالفينو

يتكون هذه الكتاب من اثنى عشر عنصراً نشرها إيتالو كالفينو في كتب مختلفة. أحدها لم ينشر وهو **يوميات أمريكية** وعمل آخر لم يصدر في إيطاليا بل طبع في لوغانو بكمية محدودة وهو.. **ناسك في باريس**.

لقد شعر كالفينو بالتعب والقلق في أغسطس ١٩٨٥، أي قبل شهر من التاريخ المحدد لمغادرة جامعة هارفرد. وكان يود لو أنه قد أنهى المحاضرات السّت التي كان يعدّها قبل الوصول للولايات المتحدة الأمريكية، لكنه لم يتمكن من فعل ذلك. كان يحررها، ويغير ترتيبها، ويعبث بها، ثم يترك كل شيء كما كان سابقاً.. لم يكن يحرز تقدماً فيها.

ظننت أنّ الحل الممكن سيكون عبر اقناعه بالانتقال لشيء آخر، أي بالتركيز على مشروع آخر من مشاريعه الكثيرة التي في ذهنه. وعن سؤالي: «لماذا لا تترك المحاضرات جانبًا وتنهي **الطريق إلى سان جيوفاني**؟» أجاب: «لأن هذه سيرتي الذاتية، وسيرتي الذاتية ليست...» لم يتم جملته. هل كان ليقول «لم تجهز؟» أم كان يفكر، «ذلك الكتاب ليس سيرتي الذاتية كلها»؟

وبعد مرور عدة سنوات، وجت ملفاً عنوانه مقتطفات من سيرة ذاتية يضم مجموعة نصوص وعليها ملاحظات كتبها عن تواريخ نشرها لأول مرة، وفيما بعد كان هناك مشروع سيرة ذاتية مختلف تماماً عن الذي كان يلمح له في **الطريق إلى سان جيوفاني**. من الصّعب، ولعله من المستحيل، فهم كيف كان كالفينو سيقدم هذه الأعمال التي تركها بترتيب زمني. لا شك أنها تشير إلى أهم جانب من حياته، بتعمد بيّن منه ليوضح اختياراته السّياسية والأدبيّة

والوجوديّة بدقّة، وليعلمنا عن كيف ولماذا أو متى حدثت. متى مهمّة جداً هنا: في الملاحظة على «**سيرة سياسية لشاب**»، كتب كالفينو: «بالنّسبة لآرائي التّي عبّرت عنها هنا . . . إنها - كأي عمل آخر في هذه المجموعة - فقط شهادة لما آمنت به في وقت محددٍ وليس بالضرورة فيما بعد».

إنّ المادة التي أعدّها كالفينو لهذا الكتاب تعود لديسمبر ١٩٨٠. وبتعبير آخر إنها رغبة الكاتب في نشر ثلاثة نصوص من أربعة عشر نصاً في كتابين ناجحين. وأضفت النّصوص الخمسة الأخيرة لأنها سيرة ذاتية بحتة ولأنها تبدو لي مكمّلةً للنصوص الأخرى.

وبالنظر إلى هذه المجموعة من النصوص، يبدو لي أن بعضها يفتقر إلى الاسترسال العفوي الذي يتوقعه القارئ من إضافة نص «**يوميات أمريكية ١٩٥٩- ١٩٦٠**». لقد تحدث كالفينو في كتب ومناسبات عديدة عن أهمية تلك الرحلة التي خاضها في حياته. ومع ذلك، فقد قرر عندما جهزت بعد المراجعة الثانية، ألا ينشر كتاب **متفائل في أمريكا**، وهو الكتاب الذي استلهم كتابته من الرحلة. لقد برّرَ تغيير رأيه هذا في رسالة كتبها إلى لوكا بارانيللي والتي تعود إلى ٢٤ يناير ١٩٨٥: «لقد قررت عدم نشر الكتاب، لأني عندما قرأته في مرحلة المراجعة النّهائيّة شعرت أنه عمل أدبي نوعاً ما، وليس أصيلاً كفاية ليكون تقريراً صحفياً. هل كان مصيباً؟ من يعلم؟ لو أنه نَشر الكتاب في ذلك الوقت، ليكون على الأقل توثيقاً لوقته، ولمرحلة من مراحل رحلته...»

إن **يوميات أمريكية** ليست إلا مجموعة رسائل أرسلت بانتظام إلى دانيال بونشيرولي في دار أينودي للنشر، لكنها لكل زملائه في الدار أيضاً كما يقول كالفينو وهي كذلك لكل من يرغب بمعرفة انطباعاته وتجاربه في أمريكا.

كسيرة ذاتية توثيقية - وليس كقطعة أدبية - تبدو لي يومياته جوهرية

كبورتريه شخصي عفوي ومباشر.

إذن، فهدف هذه المجموعة هو إنشاء علاقة أقرب بين الكاتب كالفينو وقرائه ولتعميقها من خلال هذه الكتابات. لقد آمن كالفينو أن «ما يهم هو من نحن، والطريقة التي نعزّز بها علاقتنا مع العالم والآخرين، وهي علاقة حب بيننا وبين كل الموجودات ورغبتنا بتطورها».

إستر كالفينو

إهداء إستر كالفينو

أو أن أشكر لوكا بارانيللي على مساعدته الكبيرة في هذا العمل وفي أمور أخرى، وعلى صداقته الثمينة.

إ. ك.

غريب في تورين

أعتقد أن عدد الكُتاب المهاجرين إلى تورين قليل جدًا. وأنا أعرف أن عدد الكُتّاب الذين استقروا في ميلانو كبير جداً، وأنّ عدد الذي استقروا في روما في تزايد مستمر، أمّا الكُتّاب الذين استقروا في فلورنسا فلا يزالون هناك، رغم أن عددهم قد قلّ عن السابق، وبالعودة إلى تورين.. يشعر الكاتب منّا أنه يجب أن يولد فيها أو أن يذهب إليها من وديان بيدمونت متتبعاً بذلك الحركة الطبيعية للأنهار المتدفقة إلى نهر بو. لقد اخترت مدينة تورين متعمداً. لقد جئت من إقليم ليغوريا ولم تتضح فيه معالم النشاط الأدبي، وهذا أمر جيد يُمكّن الأدباء من اكتشاف أو ابتكار أسلوبهم الأدبي الخاص بهم. إن إقليم ليغوريا الذي لم يكن عاصمة أدبية قط، قد جعل الكاتب الليغوري طائراً نادراً ومهاجراً. لقد امتلكت تورين خصائص جذبتني، وهي خصائص لا تختلف كثيراً عن ليغوريا: غياب الرومانسية المفرطة، والاعتماد التام على مجهود الفرد، والفطرة الخجولة والمتحفظة. إضافة إلى شعور المرء الأكيد بأنه جزء من عالم أكبر، وبأنه غير محدود بالإقليم الذي يعيش فيه فقط. إنها حياة ممتعة تلطفها العقلانية والسخرية من الواقع. إذن، ما جذبني إلى تورين هو أخلاقياتها وصورتها الوطنية، لا بُعدها الأدبي. وسحر تورين هذا، قد تعرّف عليه واستثاره كاتب آخر بعد ثلاثين عاماً. إنه أنتونيو غرامشي من سردينيا، كما كتب عنها مثقف آخر نصوصاً أدبية لا تزال ملهمة حتى اليوم اسمه بييرو جوبيتي [1] وكانت هذه فترة أدرك فيها العُمّال مكانتهم من الطبقة الحاكمة

1-(Piero Gobetti: 1901-1926) أديب من تورين، ومؤسس صحيفة معادية للفاشية بعنوان La riviluzione liberale، والتي أغلقتها السلطات عام 1925. وتوفي في منفاه في باريس بعد ضرب الفاشيين له.

للمدينة بعد الحرب العالمية الأولى. لقد وقفت تورين في وجه الفاشية ورفض مثقفوها المساومة، فهل لا تزال تورين هذه موجودة اليوم؟ هل لها أثر ملموس في إيطاليا اليوم؟ لتورين القدرة على استعادة قوتها كالنار تحت الرماد، أي لها قدرة استرجاع قوتها حتى وإن بدا عكس ذلك. إن تورين التي تعني لي عالم الأدب كانت متجانسة مع شخص واحد فقط، كنت محظوظاً جداً لأكون بقربه لسنوات، لكني سرعان ما فقدته.. إنه رجل يكتب الكثير عنه هذه الأيام، وبطريقة تجعل التعرف عليه صعباً، وفي الواقع، لا تعكس كتاباته صورة واضحة عنه: ذلك لأن إنتاجه الأدبي كان مهماً، وشاهداً على ثقافة رجل الرسائل وحساسية الشاعر، ثم صار إنتاجه الأدبي القيّم في خدمة زملائه، والمتاجرين بأفكاره، في مدرسة تضم كل تقنيات الثقافة الحديثة.

أنا أتحدث عن تشيزاري بافيزي. ويمكنني أن أضيف أنه بالنسبة لي ولمن عرفوه وقابلوه، ما علمتنا إياه تورين مساو لما علمنا إياه بافيزي. إن حياتي في تورين متأثرة به كثيراً. كان أول من يقرأ كل صفحة كتبتها. وإن أتقنت الكتابة، فهذا لأنه هو من علّمني، وقدمني للناشرين الذين تجمعهم تورين - ولهذا تعتبر تورين ذات أهمية ثقافية أكثر من كونها ذات أهمية وطنية - وهو من علمني كيف أشاهد تورين لأن جمالها يُستكشف من خلال التجول في شوارعها وتلالها.

أنا مجبر هنا على تغيير الموضوع للتحدث عن الطريقة التي تمكن فيها غريب مثلي من الانسجام في هذا المشهد. أنا كسمكة الصخور أو أشجار الغابات التي تزرع هنا وهناك وسط هذه الأروقة. لكن تلك قصة طويلة ولا أحاول التعريف عن التفاعل السري للدوافع التي تربط هندسة هذه الشوارع بهندسة الصخور والجدران في ليغوريا. أريد أن أفسر العلاقة المحددة بين التمدن وعالم الطبيعة في تورين، التي كل ما ينقصها هو ظهور

الأوراق الخضراء مجدداً على طول الطرق ونهر بو، وقرب التلال.. ليعيش قلبي مجدداً مناظر طبيعية لم ينسها أبدا، ولأفكر في موقعي من هذه الطبيعة الشاسعة، ولأشعر بأني حي.

-January) 1.II ,arti ed lettere di trimestrale Rivista ,"Approdo'L]
.[(1953 ,March

استبيان 1956

إجابات إيتالو كالفينو على استطلاع أجرته Café II

سيرة ذاتية مفصّلة:

لقد ولدت في ١٥ من أكتوبر ١٩٢٣ في سان دييغو في لاس فيغاس، في قرية قرب هافانا، حيث كان والدي خبيراً زراعياً ومديراً في معهد الزراعة التجريبية، وهو في الأصل ليغوريّ من سان ريمو. أما أمي، فقد كانت من سردينيا وهي عالمة نبات ساعدت أبي. ولسوء الحظ، لا يمكنني أن أتذكر أي شيء عن كوبا، لأن بحلول عام 1925 كنت في إيطاليا، في سان ريمو، حيث عاد والدي بصحبة أمي ليكون مسؤولاً عن معهد نباتات الزينة التجريبية فيها. إن ولادتي عبر البحار تتلخص في تفصيل غير معتاد في الاستمارات الرسمية، ومجموعة الذكريات الأسرية، الأول هو الذي استلهمه مهاجرو Pieta نحو أرباب أراضيهم، ولكن في وطنهم الأم بدا بذيئاً ووطنياً كشعر كاردوشي. عشت مع والديّ في سان ريمو حتى أتممت العشرين عاماً، في حديقة مليئة بالنباتات النادرة والغريبة، وفي غابات المناطق النائية خلف سان ريمو مع أبي.. كان صياداً مسناً ولا يعرف الكلل. والتحقت في الجامعة بكلية الزراعة بسبب عادة عائلية، لكن رأسي كان قد امتلأ حينها بالأدب. وفي هذه الأثناء كان الاحتلال الألماني قد تسلّم مقاليد السّلطة، مقدساً مثاليات سياسية كنت قد آمنت بها لبعض الوقت. لقد قاتلت مع مقاتلي غاريبالديني في نفس الغابات التي استكشفتها مع والدي وأنا طفل. وبعد

التحرير التحقت بكلية الآداب في تورين، وتخرجت في فترة قصيرة - في ١٩٤٧- ببحث عن جوزف كونراد. لقد دخلت عالم الأدب في نهاية عام ١٩٤٥، في نطاق فيتوريني[1] وصحيفته Il Politecnico، والتي نَشرت إحدى قصصي القصيرة الأولى. وفي ذات الوقت قرأ تشيزاري بافيزي قصة أخرى من تأليفي، وزكاها إلى مجلة Aretusa - التي يملكها كارلو موسكيتا - التي نشرتها. يعود تمكني من الكتابة إلى نصائح تشيزاري بافيزي: لقد عملت بقربه يومياً في آخر سنوات حياته. كنت أعيش في تورين منذ عام ١٩٤٥، في حيّز دار أينودي للنشر دائماً، والتي لأجلها بدأت العمل من خلال بيع الكتب، وفي مكاتبهم التحريرية أعمل لغاية اليوم. لقد كتبت جزءاً فقط من الأشياء التي أريد الكتابة عنها في السّنوات العشر الأخيرة، ونشرت القليل مما كتبت، في الكتب الأربعة التي طبعت حتى الآن.

أي ناقد أخذ بيدك؟ وأيهم كان أكثر معاداة لك؟

النقاد حتى الآن كرماء مع كتبي - من أكبرهم شأناً إلى أصغرهم شأناً- ومن النّقاد الكبار يسرني ذكر اسم Robertis De هنا، والذي كان مهتما بكتاباتي، وكيتشي Cecchi[2] الذي كتب عن **الفيكونت المشطور**، ولا أنسى هنا ذكر أسماء BO، Bocelli، Pampaloni، Falqui والعجوز Cajumi الذي كان أول من كتب نقداً. أما الكُتاب القلة الذين لم أفضلهم فهم أولئك

1- (Elio Vittorini: 1908-1966) روائي، وصحفي، ومترجم - خاصة الأدب الأمريكي في الثلاثينيات والأربعينيات - وشخصية مهمة في إيطاليا بعد الحرب. كان فاشياً ثم صار معادياً للفاشية بعد الحرب الأهلية الإسبانية، وفي الحرب العالمية الثانية قاتل إلى جانب المناضلين في ميلانو. وأشهر رواياته (محادثة في صقلية).

2- (Emilio Cecchi: 1884 - 1966) ناقد مؤثر، ومتخصص في الأدبين: الإنجليزي والأمريكي، وكاتب كتابين مهمين: (المكسيك) 1932، (أمريكا المُرّة) 1940.

الذين تآمروا عليّ على وجه الخصوص، وأولئك الذين توقعت المزيد منهم. وعلى الرغم من ذلك، لم أكن محظوظاً بشكل كاف لأتلقى نقداً سلبياً وجاداً وبنّاءً في ذات الوقت، نقدا يُعلمني أشياء مفيدة. لقد كتب Giachi- Enzio no مقالاً عندما نشرت رواية **الطريق إلى بيوت العناكب**، لكنه كان بعيداً كل البعد عن الرواية، كان مقالاً مُختلقاً. لكنه كان ذكياً جداً ولعله أفضل ما كُتب عن كتبي. إنه مقال أعيد قراءته من آن لآخر، لكن حتى هذا المقال لم أتعلم منه شيئاً. لقد هاجم الجوانب الخارجية للرواية والتي كان بإمكاني تحسينها بنفسي.

هل لك أن تخبرنا - باختصار - عن القاعدة الجمالية التي تتبعها.

لقد وضحت بعض الأفكار العامة عن الأدب في محاضرة ألقيتها في فبراير الماضي بعنوان **ماهية الأسد**، والتي نشرت مؤخراً في إحدى الصحف، ولا أريد أن أضيف لها شيئاً في الوقت الحاضر. لكن تَذكّر أني لا أدعي نجاحي من خلال المحاضرات التي ألقيتها.. أنا أكتب في كل مناسبة وكلما أمكنني ذلك.

من أي خلفية ومن أي الشخصيات والمواقف تحب استخلاص محاور كتبك؟

لازلت أجهل كيف أفعل ذلك، وربما لهذا السبب أغيّر المحاور التي أكتب عنها كثيراً. في أغلب أعمالي الناجحة هناك ما يتعلق بالأسلاف في الريفييرا، وهو محور مرتبط بطفولتي وشبابي. ومن ناحية إخلاص المرء للمواضيع التي يكتب عنها، فإن ابتعادي عن قرية طفولتي وأجدادي قد حرمني من مصدر إلهام أساسي، ومن ناحية أخرى، لا يمكن للمرء أن يكتب شيئاً وهو لا يزال داخله. أنا أحاول منذ وقت طويل كتابة شيء عن تورين والتي أقمت فيها لأسباب عدة، لكن الكتابة عنها لم تكن على ما يرام، ربما يجب

أنها أغادرها لأتمكن من الكتابة عنها. أما فيما يخص الطبقات الاجتماعية، فلا أستطيع أن أقول إني أكتب عن طبقة دون أخرى. وكنت متأكداً من أن كتاباتي عن المناضلين كانت جيدة؛ لقد فهمت الكثير عنهم، ومن خلالهم صرت قريباً من طبقات اجتماعية عِدّة، وخصوصاً تلك التي على هامش المجتمع. أنا مهتم بالطبقة العاملة، لكني أجهل طريقة الكتابة المُقنِعة عنهم: وأن تهتم بالكتابة عن أمر ما، لا يعني أن تتقن الكتابة عنه. لم تثبط عزيمتي، وسأتعلم فعل ذلك في وقت ما. إن علاقتي بطبقتي الاجتماعية ليست قوية، وبما أني قد ولدت في أسرة غير متطرفة وبعيدة كل البعد عن عادات التصرف المثلى، فيجب أن أذكر أن الطبقة البرجوازية لا تثير اهتمامي كثيراً.. ولا حتى لأسباب جدليّة. أنا أتعمق في هذه الموضوع لأني أجيب عن السؤال، لا لأنها مشاكل قد أقضّت مضجعي. أنا مهتم بالسرد القصصي الذي يحثّ على التفكّر بالإنسان وتكامله مع بيئته عبر محاولات عملية وأخلاقية، وهذا أمر يفوق التغريب والانفصال المفروضين على الإنسان المعاصر. وهكذا يجب أن تُفهم الكليّة الشعرية والأخلاقية في أعمالي.

من هو الروائي الإيطالي المعاصر المفضل لديك؟ وأي الكُتّاب الناشئين يثير اهتمامك أكثر؟

يظل بافيزي هو أهم وأعقد وأعمق كاتب إيطالي في عصرنا. وأياً كانت الأزمة الشعرية التي تمر بها فيجب أن ترجع إليه. وأفضّل كذلك فيتوريني، بالخطاب الأدبي الذي «ابتدأه». وأقول ابتدأه لأن هناك انطباعًا اليوم بأن خطابه لم يكتمل وننتظر اكتماله. وإن سبرنا أغوار الاهتمام الشائع بالتجارب الجديدة في اللغة، فسنقترب من مورافيا، وهو الكاتب الإيطالي الوحيد الذي يمكن أن أطلق عليه كاتباً «مؤسساً» أي أنه يصدر أعمالاً في فترات ثابتة، وفي كل مرة تتحدث عن معايير أخلاقية مختلفة في عصرنا.. معايير خاصة

بسلوكنا، وطريقة تفكيرنا. إن ولعي بـ ستاندال يُشعرني بوجود عوامل مشتركة بيني وبين توبينو[1]، رغم أنه لا يمكن أن أغفر له تأثره المتكلّف في أن يكون ريفياً بل ومن توسكانا. أنا في الواقع منحاز في الواقع لصديقي كارلو ليفي[2]: بسبب جداله المعادي للأعمال الرومانسية، أولًا، ولأن رواياته الواقعية تتعامل مع المجتمع بطريقة مُلغزة، ثانياً. ومع ذلك فأنا لا أوافقه على ادعائه بأن هذا النوع من السّرد يجب أن يحل مكان الرّواية.. إنّ له مآرب أخرى حسب علمي.

أما بالنسبة لفئة الكُتّاب الشباب، ففي المجموعة الصّغيرة منهم والذين ولدوا نحو عام ١٩١٥، نجد أن كاسّولا[3] وباسّاني[4] قد قررا دراسة جزئيات معينة من وعي الطبقة الوسطى في المجتمع الإيطالي، وقصصهما هي أكثر القصص إثارةً للاهتمام في الوقت الحالي. لكني أنتقد في كاسّولا شيئاً من السطحية في أعماله التي تتحدث عن العلاقات الإنسانية، أما في

1-(Mario Tobino: 1910–1991) روائي من توسكانا وطبيب نفسي، من أعماله (ابن الكيميائي) 1942، (الصحراء الليبية) 1950.

2-(Carlo Levi: 1902–1975) طبيب من تورين، ورسام، وكاتب. سُجن ثم نُفي إلى باسيليكاتا في جنوب إيطاليا لنشاطاته المعادية للفاشية في عام 1935، وكتابه الأشهر مبني على هذه التجربة (المسيح توقف في إيبولي) 1945.

3-(Carlo Cassola: 1917–1987) روائي. تندرج أعماله الأدبية تحت تصنيف السردية الفلوبيرية، كانت أعماله ناجحة في الخمسينيات، ثم صارت هدفاً لكتّاب تجريبيين بشكل متزايد مثل كالفينو. وأشهر أعماله (قطع الأشجار) 1949.

4-(Giorgio Bassani: 1916–2000) روائي وشاعر تدور أعماله حول الحنين إلى الحياة اليهودية في منطقة فيرارا الإيطالية. ساهم في نشر رواية لامبيدوزا (الفهد) 1958 بعد أن رفضت دور النشر طباعتها. وأشهر عمل له هو (حدائق فينزي-كونتينيس) 1962.

باسّاني فتلميحه إلى ادعاء المعرفة، مما يجعلك تفكر «بالشعراء الغسقيين» في إيطاليا. أما من الكتّاب الأصغر سناً والذي بدأوا من خلال العمل على أشكال قصصية قاسية، وكانت أحداثها بين العمال، ومليئة بالأحداث، وتجاوز الطريق الذي سلكه ري[1].. فهو بازوليني، وهو أفضل من في جيله من ناحية الشعر والتخصص الأدبي: لقد كتب رواية أتحفظ كثيراً على «شعريتها»، لكن كلّما فكرت فيها.. شعرت أنها قد أُنهيت بطريقة رائعة، وأنها ستبقى في الأذهان لوقت طويل.

من هو كاتبك الغربي المعاصر؟

لقد كتبت مقالاً قبل عام أوضح فيه ما عناه هيمنغواي بالنسبة لي عندما بدأت الكتابة. وعندما أدركت أن هيمنغواي لا يكفيني، ولا يمكن أن أقول إن كاتبًا آخر قد حل مكانه. ولكن حدث في السنوات الخمس أو الست الماضية - وكأي شخص آخر- أن اقتحمت عالم توماس مان الأدبي، وازددت إعجاباً بثرائه اللغوي وطرحه، إلا أنّي لا زلت أظن أنّنا يجب أن نكتب بطريقة مختلفة. أنا حر في علاقاتي مع كُتّاب الماضي، وأُطلق العنان لعواطفي بحماسة وبلا حدود عند قراءة ما كتبوا، وهناك الكثير من الكُتاب الذين أعتبرهم أصدقائي ولا أمل الرجوع إليهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

كيف استُقبلت كتبك خارج إيطاليا؟

من المبكر الحديث عن ذلك. فمنذ فترة قريبة صدرت رواية **الفيكونت المشطور** في فرنسا، وستنشر قريباً في ألمانيا. وستُوزع رواية **الطريق إلى بيوت**

1- Dmomenico Rea: كاتب جنوبي مهم. عكست رواياته وقصصه القصيرة الحياة في نابلس قبل الحرب وبعدها.

العناكب في بريطانيا في الربيع، وبعدها بستة أشهر ستصدر رواية آدم.. ذات مساء.

ماذا تكتب الآن؟

أنا لا أعد دجاجاتي حتى تفقس من البيضة.

هل تظن أنه يجب أن يقتحم الكُتّاب عالم السياسة؟ وكيف لهم فعل ذلك؟ وإلى من تميل سياسياً؟

كل البشر يجب أن يقتحموا عالم السياسة، وكذلك الكُتاب - كل بحسب إنسانيته - وأظن أن وَعينا المدني والأخلاقي يجب أن يُؤثر في الإنسان أولا ثم في الكاتب. كما أظن أن على الكاتب أن يحافظ على إبقاء خطاب مفتوح تكون تلميحاته سياسية أيضاً. ولا زلت مخلصاً لذلك المبدأ. وخلال اثنى عشر عاماً من الانضمام للحزب الشيوعي الإيطالي، لم يدخل وعيي كشيوعي ولا وعيي ككاتب في هذه الصراعات المؤلمة التي عذبت كثيراً من أصدقائي، لقد جعلهم هذا العذاب يعتقدون أنه من الضروري أن يختاروا أحدهما. إنّ كل شيء يجبرنا على التخلي عن ذواتنا سلبي. وأنا أشارك السياسيين بطرق مختلفة وحسب استطاعتي، وكل منهما يهمني كمكوّن لذات الخطاب الإنساني.

[نشر الاستبيان في Il Café. يناير ١٩٥٦]

الكاتب والمدينة

إن اعترف المرء بأن عمل الكاتب يمكن أن يتأثر بالبيئة التي تنتجه، وبالعناصر المحيطة بذلك المشهد، فإن عليه أن يعترف إذن بأن تورين هي المدينة المثالية ليصبح كاتباً فيها. لا أفهم كيف للمرء أن يصير كاتباً في إحدى تلك المدن التي تطغى عليها صور الحاضر بشدة، إنها لا تترك للكاتب أي مجال للصمت. هنا في تورين يمكنك أن تكتب لأن الماضي والمستقبل لهما أهمية أكبر من الحاضر، إن قوة التاريخ الماضي والتنبؤات بالمستقبل تمنحان سكينة ونوعاً من الانفصال عن الحاضر، إنها صور مرتبة. إن تورين.. مدينة تغوي الكاتب نحو الدقة، والاستمرارية، والأسلوب. إنها تشجع على المنطق، ومن خلال المنطق تفتح الأبواب نحو الجنون.

[ملاحظة غير منشورة عن تورين في سنة ١٩٦٠]

بورتريه شخصي

انا ابن لعالِمَيْن، كان والدي خبيراً زراعياً وكانت أمي عالمة نبات، كما كان كل منهما بروفيسوراً في الجامعة. لا تدور إلا الأحاديث العلمية فقط بين أفراد عائلتي ومعارفي في أي مناسبة؛ كان أحد أخوالي بروفيسوراً في الكيمياء وقد تزوج من كيميائية (في الحقيقة كان لدي خالان وكلاهما كان كيميائياً وكلاهما تزوج من كيميائية)، وكان أخي بروفيسوراً في الجيولوجيا في الجامعة، أما أنا فكنت البطة السوداء في العائلة، والوحيد الذي درس الأدب. كان والدي من ليغوريا وينحدر من عائلة عريقة في سان ريمو، أما والدتي فكانت من سردينيا. أقام أبي قرابة العشرين عاماً في المكسيك كمسؤول عن العديد من المعاهد التجريبية الزراعية، ثم في كوبا، وقد أخذ أمي معه إلى كوبا، كان يتعين عليهما أن يتعرفا على بعضهما من خلال تبادل الأوراق العلمية، وقد تزوجا خلال زيارة سريعة إلى إيطاليا. وقد ولدت في قرية قرب هافانا، سان دييغو -لاس فيغاس، في ١٥ من أكتوبر ١٩٢٣. ولسوء الحظ لا أتذكر أي شيء عن كوبا، لأني قبل أن أبلغ العامين كنت قد سافرت إلى إيطاليا، سان ريمو، والتي عاد إليها أبي برفقة أمي، ليكون مسؤولاً عن معهد زراعات تجريبية. كل ما أتذكره من ولادتي عبر البحار هو تفصيل دقيق عن شهادة ميلادي (والتي في ملاحظاتها المختصرة قد استبدلت بما هو أكثر دقة: ولد في سان ريمو)، وشيء من الذكريات الأسرية، واسمي الأول – لأن أمي كانت تعتقد أني سأنشأ في أرض أجنبية – فقررت أن تطلقه علي كي لا أنسى أرض أجدادي. لقد عشت مع والديّ في سان ريمو حتى أتممت العشرين عاماً، وسط حديقة مليئة بالنباتات النادرة والغريبة، وفي غابات ليغوريا قبالة جبال

الألب، مع أبي الذي كان صياداً كبير السن ولا يتعب. وبعد الدراسة الثانوية قمت بعدة محاولات لأسير على خطى عادة عائلتي العلمية، لكن حينها كان رأسي قد امتلأ بالأدب. وقع في هذه الفترة الاحتلال الألماني، ونتيجة للميل السياسي الذي تكون لدي في مراهقتي، قاتلت مع المناضلين، في غاربالدي بريجاديس. لقد وقعت الحرب في نفس الغابة التي عرفني عليها والدي في طفولتي، فعَمّقت معرفتي بهذا المنظر الطبيعي وفيه قمت باستكشافي الأول لألم الإنسان.

كانت تلك هي التجربة، وفي الشهور اللاحقة أي في خريف ١٩٤٥، ولدت قصصي القصيرة الأولى. فأرسلتها إلى صديق كان في روما في ذلك الوقت، ظن بافيزي أنها جيّدة فمررها إلى موشيا، محرر صحيفة Arteusa. وصدر العدد متأخراً.. تحديداً في السنة التالية. في هذه الأثناء كان فيتوريني قد قرأ قصة أخرى كتبتها ونشرها في الصحيفة الأسبوعيةIl Politecnico في ديسمبر ١٩٤٥.

ثم التحقت بكلية الآداب في جامعة تورين، كطالب في السنة الثالثة مباشرة بسبب استثناء منح للعائدين من الحرب. وفي عام ١٩٤٦ أنهيت جميع الاختبارات المفروضة في السنة الدراسية الرابعة ونلت بعض الدرجات العالية. وتخرجت في عام ١٩٤٧ ببحث عن أعمال جوزف كونراد الكاملة. لقد أنهيت الجامعة في وقت قصير. وأنا نادم على ذلك، لكن حينها كان ذهني منشغلاً بأشياء أخرى: بالسياسة، والتي شغفت بها، وبالصحافة أيضاً، حيث كنت أكتب عن مواضيع شتى لصحيفة Unita'L تتعلق بالأدب الإبداعي لأني في تلك السنوات كنت قد كتبت الكثير من القصص القصيرة ورواية واحدة - خلال عشرين يوماً في ديسمبر ١٩٤٦ - عنوانها **الطريق إلى بيوت العناكب**: هكذا كنت أدور في عالم الأدب.. وسواء أحببته أم لا.. لم أغادره

أبداً. بدءا من عام ١٩٤٥، وخصوصاً فور عودة بافيزي إلى تورين في عام ١٩٤٦، انجذبت إلى دار أينودي للنشر، وبدأت العمل فيها من خلال بيع الكتب ثم أصبحت محررا هناك في ١٩٤٧، وما زلت أعمل لصالحهم. لكني شعرت بإغواء ميلانو وفيتوريني أيضاً، منذ نشر قصتي في Politecnico Il . بالنسبة لروما، لدي علاقتي رفض انفعالي وانجذاب إليها؛ فأنا منجذب لحضور كارلو ليفي ونقاد آخرين من مثل ألبرتو مورافيا، إلسا مورانتي، نتاليا غينسبرغ.

لقد سافرت في أرجاء أوروبا، في هذا الجانب والجانب الآخر من «الستار الحديدي»، لكن ليس لذلك أهمية.

أما بالنسبة للانشغال بمهمة رسمية والبحث العلمي، فلقد أنجزت مجلدات **حكايات شعبية إيطالية** في عام ١٩٥٦، واستغرقني ذلك حولين كاملين، واستمتعت بذلك البحث، لكني هجرت مهنة الباحث بعدها. أنا مهتم في أن أصبح كاتباً، وهذا عمل فيه عناءٌ كبيرٌ.

Ven-) (Portraits Personal) misura su Ritratti ,Accrocca .F .E]
[1960 Libro del Sodalizio :ice

مذكرات أمريكية 1959- 1960

على سطح السفينة، ٣ نوفمبر ١٩٥٩

إلى دانيال[1] والأصدقاء:

لماذا لم أسافر بالطائرة؟ فالملل قد هيمن عليّ في هذه الباخرة. كنت لأصل إلى أمريكا مشبّعاً بحكايات مختلفة عن عالم الأعمال الكبير والسياسة العليا، وعوضاً عن ذلك سأصل الآن مثقلاً بجرعة كبيرة من الضّجر الأمريكي، والتاريخ الأمريكي القديم، والموارد الأساسية الأمريكية الشحيحة. ولحسن الحظ، تبقّت ليلة واحد لأقضيها في هذه الباخرة بعد أربع ليال من السأم الشديد. لم تعد البواخر رمزاً لفترة زمنية جميلة. أي ذلك الإحساس الجميل الذي تشعر به وأنت في مونتي كارلو أو في منتجع في سان بيلليجرينو تيرمي، لن تشعر به هنا لأن الباخرة حديثة؛ قد تكون هذه الباخرة قديمة كوسيلة تنقل، لكن تم بناء هذه حديثاً، ويسكنها المسنّون، والقبيحون، والفقراء. إنّ الشيء الوحيد الذي يمكنك استنتاجه منها هو تعريف الملل: أن تكون متجانساً مع التاريخ، منقطعاً عن العالم، رغم يقينك بأن كل شيء آخر مستمر. وسَأمي من الرحلة هو سأم ليوباردي في قريته، وهو نفس سأم الأخوات برونتي الثلاثة.

فلتحيا الاشتراكية.

فليحيا الطيران.

1- Daniele Ponchiroli: (١٩٢٤-١٩٧٩) مدير التحرير في Einaudi.

أصدقائي في الرحلة

(كُتّاب شباب مبدعون)

لقد رافقني ثلاثة منهم لأن غونتر غراس الألماني لم يجتز الفحص الطبي- والفضل يعود إلى القانون البربري الذي يجبرك على أن تكون رئتاك سليمتين لتدخل أمريكا - فانسحب من المنحة مجبراً.

وهناك كاتب رابع رافقنا ولكن على الدرجة الثالثة (السياحية) لأنه قد أحضر زوجته وابنه معه على حسابه الشخصي.. إنه الشاعر الإنجليزي ألفريد تومليسون[1]، وهو نموذج مثالي لشخص بريطاني جامعي. إنه في الثانية والثلاثين لكنه يبدو كمن في الثانية والخمسين.

أما الثلاثة الآخرون فهم:

الكاتب الفرنسي كلود أولييه الذي يبلغ من العمر السابعة والثلاثين. وهو من كتّاب الرواية الفرنسية الجديدة roman nouveau Le: أنهى كتابة عمل أدبي واحد. وأراد الاستفادة من الرحلة أخيراً ليقرأ شيئاً لمارسيل بروست لكن المكتبة المتنقلة لهذا الباخرة لا تتعدى كتب روائيين مثل آرتشيبالد كرونين.

والكاتب الإسباني فيرناندو أرابال[2]، وهو في السابعة والعشرين من عمره. صغير البنية، وذو وجه طفولي، وله لحية، وغرة قصيرة. لقد عاش في باريس لسنوات عدة. وكتب مسرحيات لم يرغب أحد في تجسيدها على المسرح، وكتب رواية نشرتها [دار] جوليارد. وهو فقير جداً، كما أنه

1- Tomlinson Charles Alfred: (١٩٢٧-) شاعر وفنان.

2- Fernando Arrabal: (١٩٣٢-) مخرج ومسرحي. نُفي من إسبانيا إلى فرنسا في عام ١٩٥٥. مسرحياته مثيرة دائماً للجدل.

لا يصادق أي كتّاب إسبانيين، وهو يكرههم جميعاً لأنهم ينعتونه بالخائن ويريدونه أن يمثل الواقعية الاشتراكية وأن يكتب ضد فرانكو، وهو يرفض الكتابة ضد فرانكو، حتى أنه لا يعرف من هو فرانكو. لكن، لا يمكنك أن تنشر شيئاً أو أن تفوز بجائزة أدبية في إسبانيا ما لم تكن ضد فرانكو، لأن الشخص الذي يدير كل الأمور هو خوان غويتيسولو. والذي يُجبر الجميع على أن يكونوا اشتراكيين واقعيين، مثل هيمنغواي- دوس باسوس، لكنه لم يقرأ هيمنغواي- دوس باسوس، ولم يقرأ شيئاً لغويتيسولو لأنه لا يطيق قراءة الواقعية الاشتراكية. ولا يحب غير أوجين يونسكو وإزرا باوند. [إن فيرناندو أرابال] عدواني جداً، ويستظرف بطريقة جنونية ومزرية، ويمطرني بأسئلة مستمرة عن كيف بحق السماء يمكنني أن أهتم بالسياسة، وعمّا يفعله المرء بالنساء تحديداً. هناك هدفان لهجومه: الجنس والسياسة، هو والفرنسي (التيدي بوي) الذي يترجم الكلام لأرابال، لا يمكنها فهم الناس الذين يجدون السياسة أو الجنس مثيرين للاهتمام. إن أرابال مهتم بالسينما فقط (خاصة بالشاشة البانورامية، وتقنية الألوان، والعصابات) و [لعبة] البينبول. منذ انتهائه من تعليمه الثانوي - درس ليصبح يسوعيًا، في إسبانيا - لم يقم أي علاقة جنسية، ويبدو أنه لم يفعل ذلك حتى مع زوجته - كانا متزوجين منذ ثلاث سنوات - وليس له الرغبة بذلك، وذات الأمر ينطبق على السياسة. إنه يقول إن تيدي بويز الفرنسيين والذين يتصدرون المشهد الآن هم أكثر بعداً منه عن السياسة والجنس. إنه لا يتحدث الإنجليزية ويكتب بالفرنسية.

أما هوغو كلاوس[1] فهو كاتب هولندي- بلجيكي، في الثانية والثلاثين

1- (Hugo Claus: 1929-2008) روائي، وشاعر، ومسرحي بلجيكي مهم. روايته الأولى (لعبة دَك) 1950، والتي يشير إليها كالفينو هنا، تجسد العادات الفلمنكية والتأثيرات الأمريكية.

من عمره، بدأ النشر وهو في التاسعة عشر من عمره. ومنذ ذلك الحين كتب عدداً هائلاً من الأعمال. وهو أشهر كاتب، ومسرحي، وشاعر بالنسبة للجيل الحديث الذي يتحدث الهولندية - الفلمنكية. ليس هناك أهمية للكثير من كتاباته كما يقول، بما في ذلك رواية تُرجمت ونُشرت في فرنسا وأمريكا، لكنه ذكي وقريب من القلب، وهو ضخم البنية، ذو شعر جميل، وله زوجة جذّابة وهي ممثلة - تعرّفت عليها عندما كانت تودعه على رصيف الميناء - وهو الوحيد من بين هؤلاء الكتّاب الثلاثة الذي أثق بآرائه. وبعد الغداء بأربع ساعات كان قد كتب قصيدةً نُشرت فوراً في الصفحة الأولى في صحيفة بلجيكا اليومية.

عنواني الأكيد هو هذا.. وسأكون في نيويورك، إلى الخامس من يناير:

Hotel Grosvenor

Fifth Avenue 35

New York

من مذكرات الأيام الأولى في نيويورك

9 نوفمبر 1959

الوصول

إنّ الملل الذي شعرت به وأنا في هذه الرحلة البحرية عوضته مشاعر أجّجها الوصول إلى نيويورك.. وهو أروع منظر يمكن أن يراه أي شخص على سطح الأرض؛ حيث تبدو ناطحات السحاب الرمادية في السماء الصافية كآثار على نيويورك الوحشية والتي هُجرت بعد ثلاثة آلاف سنة في

المستقبل. ستفهم بعدها تدريجياً أن الألوان تختلف عن فكرتك المسبقة عنها، إنها نمط معقد من الأشكال. كل شيء صامت ومهجور حتى تبدأ السيارات بالتدفق. إن منظر البنايات الرمادية والضخمة الهائلة يمنح نيويورك شكل مدينة ألمانية كما قال أولييه.

ليتونش

ماثيو ليتونش [هو] رئيس قسم الفنون في معهد التعليم العالمي (تنحدر عائلته من دوبروفينك). كان لديه ولع ادخار المال، ولم يرغب في أن يساعدني العتّال في حمل حقائبي. وفي فندق فان رينسلير جهّز لنا غرفاً قذرة، ونتنة، وكريهة الرائحة. كان ينصحنا بأسوأ مطعم إن سألناه عن أحدها. وكان ينظر بقلق ورعب للمترجمين السوفيتيين الذي يرافقون الوفود، لكنه تحسر على عدم تخليه عن الوساوس والقيود مع فيكتور في الذي كان ابنًا لأرستقراطيين. هؤلاء الذين تنعّموا بضيافة الدول الاشتراكية انزعجوا من تردده المحرج والذي تدار به ملايين مؤسسة فور الرأسمالية. في الحقيقة نحن لا نسافر كوفد، وما إن ننهي بعض الإجراءات الرسمية، سيذهب كل منا في طريقه وسيفعل ما يريد. لم أرَ ماثيو مجدداً. إنه كاتب مسرحيات لم ترَ النور على خشبة المسرح أبداً.

الفنادق

تجولت في اليوم التالي في غرينوتش فيلج بحثاً عن فندق، وكانت كل الفنادق متشابهة: قديمة، وقذرة، وذات رائحة كريهة، وسجادها رث، فيها كلها ذات المشهد الانتحاري لغرفتي التي في فان آر حيث سلالم هروب حديدية، وقذرة، وصدئة، أمام النافذة وأسفلها فناء لا تشرق الشمس عليه

أبداً. لكنّي وصلت إلى فندق غروسفينتور الأنيق في المدينة. كان قديماً، لكنه نظيف. لغرفتي روح هنري جيمس - ظلت كما هي لفترة من الزمن، وهي قريبة من واشنطن سكوير- وكنت أدفع سبعة دولارات في اليوم طالما أني ضمنت لهم البقاء لشهرين مع دفع شهر مقدماً.

نيويورك ليست أمريكا

هذه العبارة والتي كنت قد قرأتها في كل الكتب التي عن نيويورك - والتي يتم تكرارها عشر مرات في اليوم على مسامعنا - صحيحة، لكن ما الذي يهم في ذلك؟ إنها نيويورك، مكان ليس أمريكياً ولا أوروبياً يعطيك شحنة استثنائية من الطاقة تُشعرك فوراً أنك تعرفها كما تعرف راحة يدك.. كما لو أنك قد عِشت هنا طوال حياتك. يمكنك أن تشعر بازدحام الحياة في المكاتب الكبيرة وفي أوقات محددة وخاصة في مركزها، وفي مصانع الملابس الجاهزة، إنها تهبط عليك كما لو كانت ستسحقك. ستفكر في كل شيء فور أن تطأها قدماك.. عدا العودة إلى ديارك.

Village The

لعلي أخطأت بالبقاء في ذا فيلج. إنها تختلف كثيراً عن بقية نيويورك، رغم أنها وسط المدينة. إنها تشبه باريس، لكني سأدرك لاحقاً أن هذا تشبيه غير ذكي وقاصر. هناك ثلاث طبقات اجتماعية في الفيلج: مقيمو **الطبقة الوسطى** المحترمون وخاصة في قطع الشقق الجديدة. **والإيطاليّون الأصيلون** والذين يحاولون مقاومة تدفق الفنانين (والذي بدأ في عام 1910 لأن تكلفته أقل هنا) والذين يتشاجرون معهم في الغالب (شغب واعتقالات العامة في الربيع الماضي دلّت على أن سيّاح يوم الإثنين سيقل عددهم، وهم نيويوركيون من

قطاعات أخرى)، لكن الإيطاليين تدبروا أمورهم، وباتت تجارتهم تدر المال بسبب البوهيميين والطابع البوهيمي. والبوهيميون الذي يطلقون على أنفسهم مصطلح "بيتَنْك" مظهرهم أقذر - نساءً ورجالاً - من أي زميل باريسي في جمعية دينية إخوانية. في هذه الفترة، تبدو ذا فيلج مهددة ببناء ناطحات السحاب، فوقّعت على عريضة تهدف إلى إنقاذ البلدة، لصالح شابة ناشطة كانت تجمع الإمضاءات في زاوية الحي السادس: نحن ساكنو الفيلج مرتبطون جداً بمدينتنا. ونحن نمتلك صحيفتين فقط: Vil- The lager، و The Villager Voice.

عالم صغير

أمامي مطبعة أوريون، Mischa يعيش على بعد جادة واحدة، ومطبعة غروف في الزاوية، ومن نافذتي يمكنني أن أشاهد مبنى ماكميلان الضخم.

السيّارات

أكثر مشهد مضحك يمكنك أن تشاهده عندما تصل لأمريكا هو أن السيارات كلها كبيرة الحجم. هذا لا يعني أن هناك سيارات كبيرة وأخرى صغيرة، بل أنها كلها ضخمة - في بعض الأحيان -بشكل مضحك: فالسيارات التي نظنّها لرحلات السياح الكبيرة فقط هي طبيعية جداً بالنسبة لهم، حتى أن هيكل سيارات الأجرة طويل جداً. ومن بين أصدقائي، نيويوركي اسمه بارني روزيت، ويبدو الوحيد الذي يمتلك سيارة إيزيتا صغيرة الحجم وحمراء اللون.. مختلف دائماً. أنا أشعر بإغواء لاستئجار سيارة كبيرة الحجم فوراً، لا لأقودها، بل ليَتملّكني شعور نفسي بأني أحكمت قبضتي على المدينة. لكن إذا أردت ركن سيارتي في الشارع، فيجب أن أخرج

في الساعة السابعة صباحاً لأنقلها إلى الجانب الأخر من الشارع، لأن قوانين ركن السيارات تتبدل بين جانبي الشارع، والمرآب يكلّف كثيراً.

أجمل صورة لنيويورك هي في المساء

في آخر شارع مركز روكفيلر هناك حلقة تزلج على الجليد وفيها فتيان وفتيات يتزلجون، في قلب نيويورك ليلاً، بين برودواي والحي الخامس.

Town China

إن المهاجرين الصينيين مُحزنون في أحيائهم، أما الإيطاليون على وجه الخصوص فيبدون أشراراً. إن تشاينا تاون، بكل الانفجار السياحي الذي فيها، تنضح بهواء من التمدن، والكدح، والرفاهية، والسعادة الأصيلة التي لا تعرفها أحياء أخرى في نيويورك. إن مطعم بو بو الصيني رائع.

أول يوم أحد لي في نيويورك تايمز

رغم أني قرأت وسمعت عنه، إلا أن الذهاب إلى الوكيل الإخباري من أجل أخذ حزمة من الأوراق التي لا تستطيع أن تحملها بيديك - كلها بخمسة وعشرين سنتاً - سيصيبك بالذهول؛ وسط الأقسام المتنوعة والمؤن تمكنت من إيجاد صحيفة Book Reviews NYT والتي كنّا نظن أنها صحيفة منفصلة، بينما في الواقع هي جانب من الجوانب الكثيرة في عدد يوم الأحد.

زملائي في منحة فورد

تعرفنا في نيويورك على شاعر إنجليزي كان مسافراً على الدرجة السياحيّة لكنه يريد العودة إلى وطنه فوراً، لأنه لا يستطيع الاستقرار هنا ويرغب بالعيش في الرّيف، كما تعرفنا على باحث إسرائيلي كان يكتب عن السياسة

والدّين اسمه ميجِد[1]. وهو أيضاً روائي لم تترجم أعماله لأي لغة أوروبية. إنه شخص جاد، ومختلفٌ جداً عن الآخرين، وليس مرحاً. لا أستطيع فهمه، ولا أظن أني سأراه مجدداً، لأنه هو الآخر يريد الذهاب إلى المدينة الجامعية الصغيرة. ولم يشغل مكان غونتر غراس - غراس المسكين لم يكن يعلم أنه مريض بالسل، واكتشف ذلك فقط عندما ذهب للفحص الطبي للحصول على الفيزا الأمريكية، وهو الآن في المستشفى - شخص ألماني بل رجل فرنسي اسمه روبرت بينجت[2]، الشخص الذي كتب Le Fiston (وقد أنهى كتابة رواية أخرى الآن).

المؤتمر الإعلامي

نظّم IIE مؤتمراً إعلامياً لنا نحن الكُتّاب الستة. ووزّع على الحاضرين كتيّب فيه سيرنا الذاتيّة. أما المعلومة التي فاجأت الجميع عني هي أن الأميرة كايتاني هي من رشحتني وتنصح بي. إن لهذا المؤتمر الإعلامي نفس الرداءة بل القوة الإجبارية التي وجدتها في ديموقراطيات التكتلات الشرقية؛ ذات الأشخاص، والفتيات الشابات، والأسئلة السخيفة. لقد فشل أرابال الذي لا يتحدث اللغة الإنجليزية في الإجابة عن سؤال: «بمن تريد أن تلتقي من الكُتّاب الأمريكيين؟»، فكان جوابه: «أيزنهاور»، لقد أجاب بهدوء شديد، وليتنش المترجم لم يرغب بإعادة السؤال. أما أولبير فقد أجاب على سؤال إن كنّا متفائلين أو متشائمين، بـ «لدي مفهوم مادي عن العالم، بمعنى أني أؤمن بالتاريخ وأنا ضد الأيديولوجيات، والأديان التي تريد تغييب الإنسان...»

1-(1920-2016) :Ahron Megged) روائي إسرائيلي وشخصية مهمة في اليسار الصهيوني. روايته (العيش على الأموات) اعتبرت أفضل رواية إسرائيلية في الستينيات. ولعل كالفينو يشير إلى رواية (ثروات أحمق) 1962.

2-(1919-1997) :Robert Pinget) روائي. روايته 1959 Le Fiston تستكشف احتمالات وحدود اللغة. أما روايته الأخرى والتي يشير إليها كالفينو أيضًا فهي Clope au dossier.

وعند هذه الكلمات نهض رئيس المؤتمر مغادراً القاعة دون أن يعود مجدداً.

سكّيرًا

سأكون قريباً. إذا كنت سأبدأ الشرب في الساعة ١١ صباحاً وحتى الثانية صباحاً من اليوم التالي. فبعد الأيام الأولى في نيويورك، ما يهم هو النظام الصارم للحفاظ على الطاقة.

وهل كتابي **البارون فوق الأشجار** معروض على نوافذ أو أرفف المكتبات؟

لا، أبداً. ولا حتى في مكتبة واحدة.

دار راندوم هاوس للنشر

يكمن الألم الحقيقي في أن المحرر المسؤول عن الاهتمام بروايتي **البارون فوق الأشجار** Haydn Hiram قد ترك العمل في دار راندوم هاوس ليؤسس داراً هو مالكها واسمها Atheneum، وصاحب دار راندوم Klopfer لا يثق باحتمال نجاح روايتي تجارياً، فكلمني بذات الطريقة التي حدث بها سيراتي[1] Cerati الكاتب أوتيرو أوتييري Ottieri Ottiero.[2] لقد استلمت كل مكتبة أربع أو خمس نسخ من كتابي وسواء أباعوها أم لا، فما الذي يمكن للناشر فعله في هذه الحالة؟ إن الأمريكيين لا يُقدّرون الخيال، ومن الجيد كتابة شيء إيجابي عن كتابك - كان هناك مراجعة رائعة في Saturday Reviews - حتى صاحب المكتبة قد قرأ المراجعات ليقرر ما يمكن فعله بروايتي، فتمكنت من الحصول على توصية منه ليرسلها إلى سيراتي، والذي سيتحدث مع أصحاب المكتبات.. لكنّي لا أظن أن ذلك سيحدث، وعلى

---

1 - مدير التسويق في دار أينودي.

2 - (1924-2002) :Ottieri Ottiero) مثقف وأديب. كان مهتماً بالطرق التي يمكن للأدب فيها أن يعكس العالم الصناعي، بشكل أساسي.

الرغم من ذلك فسأتناول الغداء معه يوم الخميس. لقد علمت من الفتيات - أنا معجب دائم بهذه الدار من الناحية التحريرية، فهي تعتبر إحدى دور النّشر المميزة - أن هناك خطأ في التوزيع، لأن جهازين من أجهزة IBM المستخدمة فيهما خطأ برمجيّ نتج عنه استلام متاجر الكتب الصغيرة في نبراسكا كل نسخ روايتي، بينما لم تستلم مكتبات الحيّ الخامس أي نسخة. لكن النّقطة الأساسية هي أن ميزانية الترويج لكتابي كانت ٥٠٠ دولار فقط، وهو مبلغ قليل: ولتنشر كتاباً عليك أن تنفق نصف مليون دولار، وإلا فلن تحقق أي نجاح يذكر. لا بأس بدور النشر التجارية عندما تكون مبيعات الكتب عادية، لكنهم غير مستعدين للترويج لكتاب لا يهم نخبة القرّاء، كل ما يريدونه هو وجاهة نشره. تتصدر قائمة الكتب الأفضل مبيعات الآن ثلاثة كتب: كتاب فوكنر الجديد، وكتاب روبرت بن وارن، ورواية هاواي لكاتب تجاري اسمه Micher.

دور أوريون للنشر

تتكون من غرفتين صغيرتين. إن فيدينفيلد هذا فتى لامع وذكي، ولكن يصعب فهم ما يصبو إليه. وهم مهتمون بالناحية التجارية، لأنهم لا ينشرون إلا عدداً قليلاً من الكتب. يمكنك أن تجد كتابي **حكايات شعبيّة إيطاليّة** في كل مكان وذلك لتعميق العلاقات العامة أولاً، ولأنه يندرج تحت تصنيف كتب الأطفال ثانياً، وليس لهم يد في ذلك التصنيف. كانت هناك مراجعة في يوم الأحد في Reviews Book Times York New تثني كثيراً على الأصل الإيطالي وتنتقد الترجمة الإنجليزية.

هورش

تبدو كامرأة في حفلة راقصة، كطائر كبير ومخيف، لكنها دافئة ولطيفة.

وهي لا ترغب في تسليم **الفيكونت المشطور** إلى دار راندوم هاوس - يريدون نشرها الآن - وأنا أوافقها الرأي في تسليمها لدر أصغر وتكون أكثر هيبة. ولذلك سَلّمت الرّواية إلى دار أثينيوم والتي ستنشرها قريبًا، وبالتّأكيد ستكون هذه الدّار ذات شأن كبير بما أن ثلاثة محررين مهمّين قد اجتمعوا معاً: أولهم هو هايدن الذي كان مديراً لراندوم هاوس، والثاني هو مايكل بيسي من دار هاربر، والثالث هو بات ابن Knopf. لقد ارتكبت خطأ لأني كنت قد وعدت دار Grove بنشر كتابي عندهم. فكُتب غروف يمكن أن تجدها في كل مكان - وفي الواقع كان وعداً شفهياً من هورش - لكنّها أرادت فيما بعد تسليم الكتاب لهايدن، وأنا أيضاً أؤمن أن أثينيوم ستكون مهمّة.

١٠ نوفمبر

روسيت

كان حفل الكوكتيل الذي أقيم في منزل بارني روسيت الخاص مالك دار غروف أكثر حفل مثير للاهتمام حتى الآن، ومتنوعاً في حضوره. لقد أكد على الرأي الذي توصلنا له فيما يخص روسيت في فرانكفورت: إنّه جريء وراقٍ جداً وفي الطليعة، لكنه، يفتقر إلى العمود الفقري التاريخي والأخلاقي. إن روسيت (وشريكه ديك سيفر، والذي كان أيضاً في فرانكفورت - ويعيش مع زوجته الفرنسية في كوخ في أقصى مانهان ومع ذلك كان قد تأقلم في دار المثقفين الراقية) يمكن فهمه عند مشاهدته في البلدة: لديه روح الريف، ومثقف يهاجم (غير منتج) أكثر الأمريكيين تطرفاً. وتبعاً لذلك فهو يصدق البيتنك لأنه يقول إنهم مفيدون في صحوة الشباب الأمريكي أكثر من مشاهدة التلفاز، ويصدق كل ما تفعله أوروبا من ناحية التقدم، لأنها مفيدة لصحوة أمريكا.

البيت جنريشن

حضر ألان غينسبيرغ حفل روسيت، وكانت لحيته سوداء، وقذرة، وغير مُشذّبة، وكان يرتدي بلوزة بيضاء تحت بلوزته الدّاكنة اللّون، وحذائي تنس. وكان مع رفاق لحاهم أكثف وأقذر من لحيته. ورغم أنهم قد جاؤوا جميعاً مع كيرواك من سان فرانسيسكو إلى نيويورك، إلا أن الأخير لم يحضر حفل اليوم.

مغامرة أرابال

من الطبيعي أن يتصادق البيتنكس مع أرابال، فهو ملتحٍ أيضاً (لحيته الباريسية كانت طويلة ولحاهم غير مشذبة). لقد دعوه إلى منزلهم ليستمعوا إلى قراءاته الشعرية. كان غينسبيرغ يعيش مع رجل ملتح آخر كزوج وزوجته. ويريدون حضور أرابال لتجمعاتهم الثنائية الملتحية. وعند عودتي إلى الفندق، وجدت أرابيل مذعوراً وخائفاً، لأنهم أرادوا إغواءه. إن التيد بوي هذا والذي جاء إلى أمريكا ليفضح الآخرين، مذعورٌ تماماً من لقائه الأول مع الطلائعية الأمريكية. وتبين فجأة أن الصبي الإسباني الصّغير كان يدرس حتى السّنوات القليلة الماضية ليصبح كاهناً.

قال أرابال أن البيتنك نظيفون جداً ولديهم منزل جميل به ثلاجة وتلفاز، ويعيشون كبرجوازيين تماماً، ويرتدون ملابسهم القذرة عند خروجهم من منزلهم فقط.

عرض برودواي الأول

ذهب هوغو كلاوس إلى العرض الأول لمسرحية بادي تشايفسكي الجديدة. ويقول إنه قد ذهب إلى مطعم ساردي للعشاء، حيث يتناول

كل الكتاب والمسرحيين عشاءهم. وينتظر كل شخص منهم الظهور في صحف اليوم التالي في حالة من التّرقب الشّديد، لأن بعد ساعة واحدة بعد انتهاء العرض أي نحو الواحدة صباحاً، صدرت كل من **نيويورك تايمز** و**هيرالد** بمراجعتين (كتبت المراجعتان لاحقاً وليس أثناء التدريبات). وصلت الصّحف. كان أحد الممثلين يقرأ المراجعة وسط صمتٍ رهيبٍ. وما إن سمعوا أن النّاقد قد أحب العرض حتى صفقوا جميعاً، واحتضنوا بعضهم البعض وطلبوا الشّراب. سوف تعرض المسرحية لعامين، لكن إذا كانت الآراء سلبيّة فسيتوقف عرضها بعد عدة أيّام. توافد كل من المنتجين والوكالات فوراً، وبيعت حقوق العرض العالميّة، وهرع النّاس إلى الهواتف وخلال ساعة تقرر مصير المسرحيّة للمستقبل القريب بجني الملايين.

اليهود

٧٥٪ من عالم النشر يهودي و ٩٠٪ من المسارح يهودية، وصناعة الملابس الجاهزة في نيويورك هي تقريباً حصر على اليهود، والبنوك كلها لليهود، كما هو الحال مع الجامعات. والأطباء اليهود عددهم قليل، لكنهم من أمهر الأطباء لأنهم تجاوزوا الصّعوبات التي وُضِعت في طريقهم لاجتياز اختبارات الجامعة، وكانوا على قدر استثنائي من التّميّز.

النّساء

إن عدد النسّاء الفاتنات قليلٌ جداً. وبشكل عام هن برجوازيات صغيرات. وكيفما فكرت في الموضوع، ستجد أنه يشبه مدينة تورين.

مغامرةُ إيطالي

من أجل أن يتآلف مع المدينة الكبيرة، على الإيطالي حديث الوصول إلى [نيويورك] قضاء المساءات بالذهاب إلى حفل تلو الحفل، متتبعاً أشخاصاً

لا يعرفهم إلى المنازل التي يملكها أشخاص يجهلهم أيضاً. وبفضل ممثلة ذكية ومثقفة، وجد نفسه في منزل مغنية جميلة، وسط حشد من المسرحيين التجاريين، ومتعهدي الحفلات... إلخ. والتقى هذا الإيطالي بصديق إيطالي شاب كان يعمل كمضيف طيران، حيث يمضي نصف الأسبوع في روما، ونصفه الآخر في نيويورك. عندما همّ الإيطالي الجديد باصطحاب الممثلة عائدَين إلى منزلها، اقترح مضيف الطيران هذا أن يكوّنوا علاقة رباعية، وأقنع الممثلة بدعوة فتاة جميلة أخرى، كانت ممثلة سينما. ووافقت الممثلة دون تردد. ففرك الإيطاليَيْن أيدهُما كما لو أن الأمر قد تم، وكل ما كان عليهما فعله هو أن يختار كل منهما فتاته، لكن المحادثات في منزل الممثلة تحولت إلى محادثات عن الثقافة والتطورات السياسية، وكان من الواضح عند هذه المرحلة أنه لن يتم اتخاذ أي خطوة، فالفتاتان ليستا غبيتين، حتى ممثلة هوليوود التي بدت في بادئ الأمر ممثلة ساذجة، وتبين أن كلتاهما روسيتان ويهوديتان، وفي النهاية غادر الإيطاليان عندما تبيّن أنهما سحاقيتان، وخرج الرّجلان الإيطاليان خاليا الوِفاض، هائِمَيْن في شوارع نيويورك عند الخامسة صباحاً.

الموقف

إن رغبتي التي اشتدت لاكتشاف شيء جديد في أمريكا هذه والتي نشأت في أعقاب الحرب الباردة لم يطفئها شيء حتى الآن. ويبدو أنه لا يوجد أي مجموعات أخرى مثل أصحاب الصفقة الجديدة Deal New في الأفق الجديد - رغم أن الجميع يؤيدون أنها تطوّرت بشكل كبير - ويبدو كذلك أنها لا تتأثر بأي تغيير بين قادتها، مواصلة ازدهارها.

الفساد

أحاديث الجميع هذه الأيام هي عن الفساد الأمريكي، والفساد والجشع المالي في مؤسسات القوة، والصّحف... إلخ، والذي يقولون إنه لم يكن

منتشراً بشكل كبير. إن الفضيحة الكبرى التي طالت فان دورِن [1] والتي هي حديث الساعة في الصّحف - ينظر لها كرمز للقبول العالمي للتّضليل، كان الدفاع عن فان دورن في قطاعات محددة - على سبيل المثال في عالم المسرح - من خلال تعزيز فكرة أنه كبش فداءٍ للحالة الراهِنة والتي طالت كل مكان.

الجنس الثالث

أكثر انتشاراً هنا من روما. خاصة هنا في ذا فيلج. يذهب السائح الساذج إلى أي سوق ليتناول إفطاره، ثم ينتبه فجأة إلى أن كل من في المكان بدءًا من الزبائن، إلى الندلاء والطباخين هم من تلك الفئة علناً.

عالم صغير

كان الزائر الأوروبي سعيداً جداً بصديقته الأمريكية الأولى. لا بد أنه لم يتمنّ أي فتاة أخرى، أي فتاة أخرى تكون أكثر مرحاً وحباً للحياة وبلا هموم غيرها. ولكن أكثر شيء كان يحبه هو أنّها أمريكية تماماً، أي ليس لها أدنى علاقة بأوروبا. لقد أمضت بضع أسابيع فقط في أوروبا قبل عدة سنوات، وبعد أيام من حبهما الزائف، اكتشف الأوروبي أنّها عندما كانت في أوروبا كانت حبيبة صديقه س، والذي كانت صديقته السابقة هي صديقته هو أيضاً.

ميسكا

شاهدته مرةً واحدةً فقط.. وأنا خارج للغداء، لأن الأطفال في منزله قد أصيبوا بالإنفلونزا. لكنّنا سنلتقي كثيراً. إنه الشخص الذي يقول أكثر

---

1 - Charles Van Doren: بروفيسور من كولومبيا. ربح في عام مبلغ 100.000 دولار في اختبار شائع بعد أن أعطيت الإجابات له. وقد اعترف بأنه جزء من عملية الغش هذه في عام 1959.

الأشياء ذكاء، ويخبرك عن أبرز الأشياء في أمريكا. أما إليزابيث[1] فقد التقيت بها في الشّارع. لم تكتب مجدداً لأنها كانت تنتظر رداً من جوليو. سنحاول الآن إيجاد طريقة لتنظيم العمل.

جاكلين

مخلوقة رائعة. أمضيت مساء الأمس معها. لكن وجودي معها صعب بالنسبة لي، لأن توترها شديد - رغم أني لاحظت أنه يقل تدريجياً إذا تحدثتُ معها - غير مفيدٍ أبداً، فأنا لا أستطيع فهم شيء منها بخصوص النشر - ومؤهلاتها ليست أدبية ولا تحريرية ولا اجتماعية. ولأنها متشائمة وتكره البشر، فستتوقع الكثير من مصادفتها؛ إنها تمثل الجانب الآخر لأمريكا، أمريكا السلبية، والمؤلمة، لذا فاستشارتها حتمية، ولأنها المرأة الأمريكية الوحيدة التي قابلتها حتى الآن والتي لا لا تستطيع بدء علاقة ودية طبيعية فوراً معها.

كيف تعمل دار راندوم هاوس

من الجانب التحريري: كل محررٍ (سواء أكان مبتدئاً أو متمكناً) يعرف الكاتب معرفة شخصيّة. فكاتب مثل فوكنر مثلاً، لديه محرر خاص به يكون على تراسل دائم معه في كل الشؤون التّحريرية. أما الأمور الإداريّة فليست محل نقاش: تُناقش هذه الأمور بين وكيل أعمال الكاتب والقسم القانوني لدار النشر. أما المحرر فيعمل مع الكاتب على الكِتاب، إنه تمرين شائع من شأنه تحرير المخطوط حتى لا يبقى شيء لا يَسْعد الكاتب منه. والمحرر عادة هو الشخص الذي يرعى نشر الكتاب إذا كان الكاتب جديداً. أما إذا كان

---

1 - إليزابيث هي زوجة(Ugo Stille Mischa). أما جوليو فهو Giulio Einaudi الناشر.

للكاتب باع طويل في الكتب المنشورة، فإن محرره هو الشخص الذي يتعامل دائماً معه ويعرف كيف يقترب منه. يقولون لي إن المحرر يجب أن يتأكد من أن الشّخصية التي لها شعر داكن في الفصل الأول ليس لها شعر أشقر في الفصل العاشر، لكن في الواقع إن الشخص الذي يتعامل مع هذه التفاصيل هو مساعد المحرر، فهو من يقرأ ويعيد القراءة ويراجع ليجد ما يمكن تصويبه. ورغم أنه ليس الشخص الذي يصحح الأخطاء الطباعية، لأنهم يعملون في المطابع وليس لهم شأن مع الناشر. (راندوم هاوس لا يملكون مكائن طباعة خاصة بهم). أما الشخص المسؤول في دار النشر عن إصدار الكتاب، وعن الفترة اللازمة لتجهيزه للنشر... إلخ، فكان يُسمّى بالمحرر الإداري خلال فترة وجود هايدن، لكن بوصول ألبريشت إرسكن صار يسمى المحرر التنفيذي. (إضافة إلى أن إرسكن هو محرر فوكنر).

قسم التصميم: يهتم بالغلاف، والتّنضيد، والرسومات.

قسم الإنتاج: هو ما يعرف بالمكتب التّقني.

قسم التّرويج: ويجب ألا نخلط بينه وبين قسم الدّعاية والإعلان. الأخير يهتم بالتّرويج المدفوع له. وراندوم هاوس لا تملك قسماً كهذا، لأن لديها عقداً مع مؤسسة دعاية تتعامل مع الترويج للكتب، وهي تعمل على ضوء ميزانية محددة لكل كِتاب يحدده الناشر. وتقوم هذه المؤسسة أيضاً بصياغة النّشرات الإعلانية لإرسالها مباشرة إلى الناشر للحصول على موافقته، بدلاً من قسم التّرويج الذي يهتم بالورق، والعلاقات والمراجعات - وإذا أمكن مع المذياع والتلفاز - وكلها تدور حول العلاقات العامة وإرسال دعوات الغداء، ويعمل عليه دائماً فريق عمل نسائي، حتى دور النشر الصغيرة مثل أوريون تركز جهودها على هذا الجانب.

قسم التطوير: يعمل على مبيعات الطلب عبر البريد، باستخدام إعلانات

فيها استمارات للطلب في الصحف، ويرسل البطاقات البريدية للعناوين المختلفة بناء على نوع الكتاب. إنه قسم مهم جداً وبه تقريباً عشرة موظفين.

قسم المبيعات: تديره الآلات، كما وضحت سابق، وكما اكتشفت عند نُشر كتابي.

قسم النشء: لديه أكبر عدد من الإصدارات في أدب الطفل، ويهتم به قسم تحرير منفصل.

قسم الجامعة: لكتب المدارس. وقد كانت سلسلة المكتبة الحديثة The Library Modern أساساً تابعة قسم الجامعة Department Collage، لكنه الآن تابع للقسم التحريري.

القسم القانوني: يتعامل مع مسائل الحقوق.

واستنتجت أن الهيكل التنظيمي لدار Macmillan ليس مختلفاً، وأنه بعيد كل البعد عن إصدارات المدارس والتسميات فيه مختلفة (لا يعرفون ما هو قسم الترويج، ولا تحت أي قسم تجاري يندرج قسم المبيعات عبر البريد).

أهم الكُتّاب الشباب في أمريكا

وفقاً لما قاله السيد دومبيير، الناقد في Herald Tribune – والذي تناولت معه غداء عمل أمس نظمته دار أوريون – إن أهم كُتّاب الجيل الحديث، وهم جيل استثنائي كما يظن، هم (بهذا الترتيب):

(Twilight without place A) Fiebelman Peter

Philip Roth

William Humphrey

Bernard Malamud

Grace Paley

H. E. Humes

Herbert Gold

Harvey Swados

العمل التحريري التنظيمي

لم أبدأ بعد طبعاً. لدي في الأسبوع القادم عدة ارتباطات تتعلق بالنّشر. لكن قبل ذلك كله، أحتاج إلى ترتيب نهاراتي بحيث أجد فيها الوقت للقراءة ولتنظيم أفكاري. ولذلك يمكنني أن أنقل لك بعض الشذرات من مفكرة ملاحظاتي في الوقت الحالي:

- يتكلم الناس بشكل جيد عن جيمس يافي Yaffe James، والذي كتب أربعة كتب. نشرت دار لتل براون the s'What Thing Big.

- سمعت ملاحظات إيجابية عن رواية The Rack الإنجليزية والتي نشرتها دار هاينمان.

- لا يمكنني أن أتذكر إن كان وليام ستايرون قد اختار ناشراً في إيطاليا، لكن دار راندوم ستصدر روايته الجديدة House This Set Fire on في شهر مارس.

- دار غروف مهتمة جداً بروائي جديد سوف سيصدرون روايته في الربيع، كما أنهم سوف يقدمونه لي وهو ألكسندر تروكي صاحب رواية كتاب قايين s Book'Cain.

- لقد شاهدت في المكتبة كتاباً جميلاً للأطفال عنوانه **قليلاً من**

الأزرق وقليلاً من الأصفر لكاتبه ليو ليوني (كتاب Astor نشرته دار McDowell).

- حققت دار راندوم نجاحاً ساحقاً في كتب الأطفال مع كاتب يُطلق على نفسه اسم د. سوس وهو متخصص في كتب الأطفال بعمر ٥-٦ سنوات. لقد كتبت القصّة باستخدام ٣٠٠ كلمة فقط.

تعليمات للاستخدام

دانيال.. إنها يوميات ليستخدمها أصدقائي في إيطاليا. تستلم دار أينودي نسخة خاصة منها في الوطن. لكنها نسخة عامة، عدا تفاصيل النّشر الخاصة والتي يمكنك اقتطاعها وتمريرها إلى فاو.[1] والمتبقي منها يمكنك أن تُبقيه في ملف، ليعود إليه كل الزملاء، والأصحاب، والزّوار الذين يريدون قراءتها، ولهذا فإن هذه اليوميّات حصيلة تجارب جمعتها وصارت جزءاً من موروث الوطن.

رغبات مُهاجر

يحتاج المهاجر إلى شخص ليكتب إليه.. يحتاج أن يبقى على تواصل مع الأرض التي ولد عليها، وإلا فإن رسائله ستقل شيئاً فشيئاً، وسينسى لغته الأم. وهذا المهاجر لم يستلم أي رسالة حتى الآن، لا من أمه، ولا من أي امرأة عشقها، ولا حتى من صحيفة della Stampa Ecco التي اشترك بها قبل سفره. عندما أسافر إلى مركز المدينة فإني أذهب إلى تايمز سكوير لأشتري عدداً من La Stampa لأقرأ صفحات الأخبار المحلية، لأقرأ عن حوادث الطرق، أو عن مصطافين اختنقوا بالغاز... إلخ، لكن هذا لا يكفي.

1- Luciano Foà: مسؤول عن مكتب الحقوق. غادر دار أينودي وأسس دار Adelphi.

بعد أربعة أيام في نيويورك حلمت أني قد عدت مباشرة إلى إيطاليا، لا يمكنني أن أتذكر سبب عودتي.. لسبب أو آخر أردت أن أعود إلى لحظة الواقع، لقد شعرت بالحاجة الماسّة للعودة إلى أمريكا فوراً. وسواء أن عدت إلى إيطاليا أو كنت أصلاً في الولايات المتحدة فهذا لا يهم أحداً. كدت أجن لأنّي لست في أمريكا، إنه عذاب فظيع، إن رغبتي في أن أكون بالولايات المتحدة الأمريكية ليست مرتبطة بأي صورة محددة. لقد شعرت بأني قد انتُزعت من وجودي. لم أشعر قط بمثل هذا اليأس. استيقظت من حلمي مرتعداً ووجدت نفسي عدت في تلك الغرفة المزرية في الفندق الأمريكي الأول وشعرت أنّي في الوطن.

كان يوم أمس مزحوماً بالنّاشرين

مع السيد وايبرايت من المكتبة الأمريكية الحديثة وهو صديق قديم من فرانكفورت. نصحني بقراءة روايتين كانتا ستنشران قريباً: الأولى هي لكاتبها إرفنغ واليس Report Chapman The والتي ستنشرها دار سيمون عن شوستر ثم دار نال، وقد بيعت حقوق تحويلها لفيلم إلى Fox-Zanuck مقابل ٣٠٠,٠٠٠$. إن الحبكة مضحكة جداً: مجموعة من بروفيسورات الجامعة يجرون مسحاً على طول خطوط كينسي ريبورت، والمشكلة أنهم سيمرون بنادٍ لسيدات المجتمع الراقي، وتتوالى بعدها سلسلة من التعقيدات.

أما الرواية الثاني فهي لبيتر زيلمان (أو تيلمان ؟ لا يمكنني قراءة خط وايبرايت بشكل جيد)، بعنوان American Novel، ونشرتها دار Coward NAL-McCann، وحصلت مؤسسة كولومبيا على حقوق تحويلها لفيلم. إنه يقول إن الرواية مثل جزيرة في الشمس Island in the Sun لكاتبتها أليس واو والتي كانت في قائمة الأفضل مبيعاً.

لا أعلم مدى موثوقية توصيات وايبرايت، لأن كتب دار سيغنت للخيال العلمي مخيبة للآمال (وهو لم يستطع أن يقرر شراء **البارون فوق الأشجار** أم لا!). لكنه لطيفٌ جداً ويريدني أن أختار من قائمة كتب مينتور ما قد يكون مهمًا لنا. كما أرى، لقد شاهدنا بالفعل عناوين شتى في كل المجالات. أنا أنتظر التعليمات.

في دار Knopf: كان السيد بيك - والذي قابلته في فرانكفورت - يبحث عني وسيأخذ بالتأكيد الرواية التالية الطويلة لباسّاني. وسوف أبحث عن السيد كوشلاند في يوم آخر. إن كل العاملين هنا لطيفون جداً. أنا أنتظر التعليمات.

لقد حضر حفل الكوكتيل في منزل شابيرت - من دار بانثوم- النّاشرون فقط. والتقى السّيد شابيرت بأينودي في فينا وهو لطيفٌ جداً. صار شابيرت فرعاً أمريكياً لدار فيلترنيللي[1]، لأنه نشر روايتي **الدكتور جيفاغو والفهد**، وسأراه في الأسبوع القادم. أنا أنتظر التّعليمات. نوبف العجوز كان في الحفل أيضاً، كما كان هناك لوغلين من دار نيو دايركشنز، وهايدن من دار أثينيوم الذي تناولت العشاء معه هذا المساء، والسيدة فان دورين من دار بابلشرز ويكلي وهي عمّة الرجل الذي طالته الفضيحة.

أما الكتاب الذي تحدث عنه الكثيرون هذا الأسبوع فهو-Advertis ments for Myself لنورمان مايلر والذي يحتوي على مقالات ومختارات من سيرته الذاتية وروايات خيالية لم يُكملها.

تلفاز ملون

لقد شاهدت التّلفاز الملون أمس.. وشاهدت برنامج بيري كومو تحديداً.

١- Feltrinelli Giangiacomo.

وقد تخللته إعلانات بين الحين والآخر لشركة تصنع منتجات الطعام، ولعشر دقائق كنت أشاهد أطباقاً من السباغيتي ويداً تصُب الصلصة عليها.. كان كل شيء بالألوان.. وأطباقاً من اللحم والسلطة، مع توضيحات عن كيفية إعدادها جميعاً. يجب أن يُقدّم التّلفاز الملون إلى دول العالم النّامي في أقرب وقت ممكن.

حينها كنت مع أصدقاء امرأة متمكنة من تصميم الرّقصات لنشاهدها وهي تقدم بعض مشاهد الباليه الخاص بها في برنامج بيري كومو، لكن عرض الباليه كان مريعاً. وقد هاتفها أصحابها بعد البرنامج وكانت أساساً في المنزل وتبكي بشدة، وأخبرتهم أنها ركضت خارجة من الإستديوهات قبل انتهاء البرنامج، وأرادت أن تنتحر كاعتراض على الضّرر الشّديد الذي ألحقه التلفاز بفنّها.

٢٠ نوفمبر

منظمة الأمم المتحدة

من أكثر الأمور إثارة هو الذهاب لمشاهدة مبنى الأمم المتحدة مع روجيرو أورلاندو والذي ما أن اكتشف أني في نيويورك حتى دعاني عدة مرات لاكتشاف هذا العالم الذي يعرفه أكثر من أي شخص آخر. أعتقد أن من ناحية المِعمار والتأثيث الداخلي فإن مبنى الأمم المتحدة هو أعظم بُنيان في هذا القرن، حتى غرف الاجتماعات فيه فائقة الجمال، وبغض النّظر عن المكان الذي يحتله مجلس الأمن، فإن الهواء الذي يتنفسه المرء في الأمم المتحدة رائع أيضاً، لأنه سيشعره بروح العمل في الأمم المتحدة بطريقة لا يمكنه الشّعور بها في أمريكا أو في أوروبا، ويعود الفضل بالتأكيد لـ Le Corbusier. حضرتُ مساء أمس التّصويت على تجارب ذريّة معزولة والتي شاهدتها في فرنسا (وأفغانستان). وصوت كل شخص عبر قول «نعم»، عدا

الأمريكيين اللاتينيين الذي قالوا «Si»، مما يذكرني بالوطنية المعادية لأمريكا. لاحقاً، وفي الحفل الذي أقامه الوفد المغربي، قابلت: سوبوليف والذي هنّأني على «توقيني المناسب» عندما أخبرته أن كتابي **حكايات من الفلكلور الإيطالي** سيصدر في ذات الوقت في الولايات المتحدة والاتحاد الروسي. وهنّأني علي خان - رئيس الوفد الباكستاني - على الفتاتين الجميلتين اللّتين ترافقاني. أما وزير الخارجية الجزائري، وهو من جبهة التّحرير الوطني فقد طلبت منه كتابة كتاب لدار أينودي (وكملاحظ في هذا الحفل وجدت أنهم غير متفائلين على المدى القصير بإمكانية نجاح المفاوضات)، والمرأة الوحيدة التي كانت موجودة في هذا الحفل فهي رئيسة الوفد السويدي، وهي امرأة جميلة وذكية. إن الرئيس الحالي للأمم المتحدة هو البروفيسور بيلوند العجوز من البيرو، والذي تحدث بإعجاب عن فوغازارو[1]، وأدا نيري[2]، وبابيني[3] ليثير اهتمامي. لم يفوت أورتونا[4] حفلًا. ووضح رئيس الوفد الأفغاني أنه قد صوّت ضد القرار لأن التّحرك ضعيف. والمحترم الذي يناهض التّمييز العرقي في جنوب أفريقيا موجود هنا كمراقب (لقد طرد من جنوب أفريقيا). لقد نشر السيد ميزرك من حركة التّعاون الأمريكي مستندات تخص الأمم المتحدة، وأبلغ السيناتور إيستمان عن نشاطاته غير الأمريكية لأنه قد نشر

١- Antonio Fogazzaro: (١٨٤٣-١٩١١) روائي رومنطيقي. عرف له (عالم صغير قديم) ١٨٩٥، (عالم صغير حديث) ١٩٠١.

2- (1879-1945) :Ada Negri شاعرة وروائية انتشرت أعمالها في أول عقدين من القرن العشرين.

3- (1881-1956) :Giovanni Papini) كاتب ومثقف متمرد. ساهم في تأسيس صحيفتين مهمتين Il Leobardo في عام 1904، و Lacerba في عام 1913، لكنه صار ممثلاً عن الفاشية الكاثوليكية.

4- (1910-1995) :Egidio Ortona) دبلوماسي مهم في الأمم المتحدة. صار سفيرًا إيطاليًا في الولايات المتحدة (1967-1975).

«مذكرة شيوعية» (نشرت صحيفة The Bulletin كل الخطابات حتى تلك الروسية). سيواجه السيد ميزرك الآن مشاكل عظيمة - مشاكل مالية أكثر من أي شيء آخر، لأنه يجب أن يدفع لأفضل محام ليترافع عنه إلخ... - لكن إيستمان في الحقيقة - والذي كان جنوبياً - أراد في الواقع أن يهاجم زوجته هو لأنها من عصبة تحرير النّاس الملونين.

يوم الأحد في الرّيف

ذهبتُ للريف لأول مرّة في يوم الأحد الماضي، أو بالأحرى إلى شمال تلال برونكس الجبلية، على طول طرق السيارات الرائعة. وتناولت الغداء أولاً في منزل الآنسة التي ترافقني في إحدى الفيلات الخشبية التي صمدت منذ القرن الثامن عشر، وهي ابنة لعائلة كبيرة من المَصرفيين الذين يملكون كل أراضي المنطقة. كانت هناك تشطيبات رائعة في الفيلا. ورغم أنه يوم الأحد، إلاّ أن العاملة لم تكن هنا، لكن كل شيء كان شديدَ الترتيب. ثم ذهبتُ إلى جانكارلو مينوتي[1] الذي دعاني لمنزله في ماونت كيسكو - كان يعيش مع ساموبل باربر، لكنه لم يكن هنا - في شاليه جميل جداً في الغابة، لكن لم يكن هناك ذوق في بنائه. إن عيبه الحقيقي هو افتقاره للتمييز بين القبح والجمال كانت هناك أطباق عليها صورة فوتوغرافية لامرأة، وفانوس سحري، وغرفة رعب. يشتكي مينوتي من أن شهرة مهرجان سبيلوو للموسيقى تمنعه من استلام تمويل من المؤسسات الأمريكية. إنّ الغروب في الغابة الأمريكية مذهل كسماء نيويورك ليلاً.

١٩ نوفمبر

---

1 - (1911-2007) :Giancarlo Menotti) موسيقار. حاضَر في فيلادلفيا، ثم أوجدَ مهرجان Spoleto Arts. وأشهر أوبرا له في ذلك الوقت 1950 The Consul.

من الطبيعي أن أول ما أريد رؤيته هو شارع المال والبورصة. نسقت لزيارة Smith & Fenner ,Pierce ,Lynch Merrill وهي أكبر مؤسسة للمضاربة بالأسهم هناك. لديهم فتيات يعملن كمرشدات ومرافقات للزوار وأولئك الذين يأملون الاستثمار لرؤية المكاتب وتوضيح آلية العمل هنا. لقد وضحت لي فتاة جميلة كل شيء بتفصيل دقيق، لم أفهم شيئاً، لكنّي كنت معجباً بكل شيء. كنت أعاني لأني شعرت أنّ مبنى نيويورك للبورصة أكبر منّي وأني لن أتمكن من إدراكه. إن Fenner ,Pierce ,Lynch Merrill & Smith مؤسسة تعمل إلكترونياً بالكامل وهي متّصلة بسوق الأسهم، وكل المكاتب فيها شريط يوضح قيمة التداول بشكل مستمر، وهي تستقبل طلبات البيع والشراء في كل ثانية عبر الهاتف والتلكس من أفرعها من كل المدن في أمريكا، وفي أوروبا أيضاً. ومن خلال الآلات الحاسبة التي تخصهم، يمكنهم إيجاد العوائد، والضّمانات، والعمولات وكل البيانات تخزن وتنقل إلى سوق الأسهم، ثم إلى حسابات سوق العمليات النّقدية وهي معقدة جداً. ومن كل المكاتب، والأجهزة في ناطحة السّحاب الشّاهقة هذه والتي توجد في مقر مؤسسة Smith & Fenner ,Pierce ,Lynch Merrill، ينتهي الأمر بالبيانات كلها في الطابق العلوي حيث توجد أجهزة IBM البالغ عددها 705 أجهزة يمكن أن تؤدي هذه الأجهزة 504.000 عملية جمع أو طرح، و75.000 عملية ضرب، و33.000 عملية قسمة في الدقيقة الواحدة، ويمكِنها أن تستقبل 1.764.000 عملية منطقية في ثلاث دقائق، كما يمكنها قراءة كل رواية **ذهب مع الريح** ونسخها أيضاً على شريط بحجم خنصر يدك، لأن كل شيء سيخزّن في النهاية على هذا الشريط، وكلها مكتوبة بفواصل صغيرة، وفي مسافة إنش منه هناك 543 حرفاً. لقد شاهدت ذاكرة

الأجهزة البالغ عددها ٧٠٥ وكانت تشبه قطعة قماش مصنوعة من خيوط دقيقة. لقد ذهبت أيضاً إلى سوق الأسهم وهو بالتأكيد منظر مهيب تعرفت عليه من عالم السينما. إنّ Smith & Fenner ,Pierce ,Lynch Merrill مكان يُشعرني بالحزن لتقدم عمري. وأول شيء على أطفالك فعله هو أن يتعلموا المضاربة بالأسهم (هناك مكتب هائل المساحة للطلبة): أرسِلْهم للتدريب في Smith & Fenner ,Pierce ,Lynch Merrill ثم سيتمكنون من تعلم الفلسفة، والموسيقى، وغيرها. أي أن على المرء تعلم التجارة في وول ستريت قبل أي شيء آخر. إنهم يقومون أيضاً بدعايات كثيرة لترويج الاستثمار، وينشرون مطويات تؤكد على مبدأ أن المال يُنجِب المال، وهذا ترويج لعبادة المال المتأصّلة في أمريكا: وإذا حدث مصادفة أن نشأ جيل لا يضع المال فوق أي اعتبار، فهذا يعني أن أمريكا ستتلاشى كالدّخان.

قابلت في جامعة كولومبيا ماريو سالفادوري وهو عالم رياضيات، كان أحد العلماء الذين طوروا القنبلة الذريّة. يبدو ماريو كشخص من الطّبقة العُليا، وهو يقول إن الأجهزة ٧٠٥ هي لا شيء وأنه سوف يأخذني لأرى أدمغة إلكترونية حقيقية.

يوميات نيويورك

٢٤ نوفمبر

كليّة البنات

دعاني مارك سلونيم - المتخصص الاكثر شهرة في الأدب الروسي في أمريكا، وهو يعلم الإيطالية أيضاً وقد قابلته مرة في روما - إلى كلية ساره لورنس في برونكسفيل حيث يُدرس الأدب المقارن. إن كلية ساره لورنس

كلية أنيقة جداً، تختار كل فتاة فيها المقرر الذي تريد دراسته. ليس هناك محاضرات أو لا امتحانات.. باختصار كل شخص لديه الوقت ليتعامل بفرح مع مختلف المواضيع الثقافية. لقد شاهدت فتيات يرتدين بناطيل وجوارب طويلة وفانيلات متعددة الألوان، كما في الأفلام التي تتحدث عن الحياة الجامعية، كنّ يرفرفن بين مباني الدراسة والمهاجع. إنّ غداءهن لا يسمن ولا يغني من جوع، لأنهن يردن المحافظة على قوامهن (بينما يعترض الأساتذة الجائعون). كانت طالبات اللغة الإيطالية ينتظرنني في الكافيتريا: هناك ٢٥ طالبة تقريباً، واثنتان منهن على الأقل مظهرهما جميل جداً. أخبرتني أستاذتهن أنهن قد جهّزن مفاجأة لي.. إنهن يُردن أن يغنين أغنية لي، كانت إحداهن تحمل غيتاراً. اعتقدت أنها ستكون أغنية نابوليتانية متوقعة أو أغنية سمِعنها في المذياع، لكنهن غَنّين po fiume verdi sul.[1] وقع المفاجأة فاق كل التوقعاتّ - علمت لاحقاً أن Momiglianos قد أحضر التّسجيل معه إلى أمريكا ووقع التسجيل بين أيديهن - وضّحت الأستاذة أن الأغنية قد ساعدتهن كثيراً في تعلم الأفعال. أما الفتيات فقد سألنني عن قصصي القصيرة والتي كنّ قد حفظنها عن ظهر قلب. ثم بدأتُ محاضرة الأدب المقارن: «سنناقش اليوم أليوشا كارامازوف». وقلن ما يعرفن عن أليوشا، ثم تدخل سلونيم، وهو يثير الأسئلة ويوجه دفة النقاش بإتقان كبير ومعرفة تربوية فعّالة. لكن هؤلاء الفتيات بعيدات كل البعد عن دوستويفسكي كبعدهم عن القمر. وعندما تذكرت دوستويفسكي والمتدينين الروس والثورة، عرفت بأن المرور على سيرة حياته سيولّد نوعاً من الدّهشة والحماسة وأن الكواكب سوف تتصادم. ثم انتقلت إلى درس اللّغة الإيطاليّة: على الفتيات اليوم دراسة fiesolana sera la، فتَرجمن أبياتاً للشاعر دانونزيو بسهولة

---

١ - أغنية ساخرة كتبها كالفينو في عام ١٩٥٨، ولحنها Carpi Fiorenzo.

مرعبة. ثم تحدثنا عن الكاهن فرانسيس. وقد طلبت مني الأستاذة أن أقرأ قصيدة «Moon Sister ,Sun Brother» (أخي الشمس.. أختي القمر)، فقرأتها وأعقبت بملاحظة عن الكاهن فرانسيس حيث قارنته بـ Beths، و Virgians، وJoans. وبما أن أُستاذتهن قد لمّحت بشكل بسيط إلى أنها تُفضل دانونزيو، تمردت وألقيت خطاباً مطولًا، جاعلاً الكاهن فرانسيس فوق أي شاعر آخر. أدركت لاحقاً أن هذه هي المرة الأولى التي أفسّر فيها أي شيء أو أدافع فيها عن أي فكرة.. لقد دافعت عن الكاهن فرانسيس. كم هذا ملائم.

متحف غوغنهايم

كان الموضوع الإجباري لكل محادثة في نيويورك في الأسابيع القليلة الماضية هو المتحف الجديد الذي صمّمه فرانك ليولد رايت ليضم مجموعة سولومون غوغنهايم الفنيّة. لقد افتُتح حديثاً وانتقده الجميع، لكني مؤيد متعصب له. ووجدت نفسي المعجب الوحيد به. تم تشييد هذا المتحف ليشبه المَلويّة.. طوابق لا فواصل بينها متّصلة لتُكوّن شكلاً مخروطياً له سقف زجاجي. وكلّما صعدت للأعلى ونَظرتَ خارجاً سترى مناظر مختلفة بنسب رائعة، لأن هناك نتوءاً شبه دائرية تناسب الالتواء، وفي الأسفل هناك قطع صغيرة من الأحواض النباتية بيضية الشكل ونافذة تتيح لك رؤية جزء صغير من الحديقة، وهذه العناصر، تتغير بأي ارتفاع أنت عليه، وهذا مثال رائع لثورة معمارية إبداعية في دقتها وخيالها. يدّعي الجميع أن جمال التصميم المعماري يطغى على جمال اللوحات.. وهذا صحيح (من الواضح أن رايت كان يكره اللوحات)، لكن ما الذي يهم؟ أنت هنا بالأساس لتشاهد تصميم المتحف، ثم لتشاهد لوحات لا بأس بها ومضاءة بشكل سيء. وهنا أمر مهم ينبغي الإشارة إليه: هناك مشكلة الأرض المنحدرة دائماً والتي تشكل عقبة محيّرة في كيفية جعل اللوحات مستقيمة. حُلّت المشكلة من خلال تعليق

اللوحات على ساريات حديدية تمتد من الجدار إلى منتصف اللوحة، أي أن اللوحات ليست معلقة بالجدار مباشرة. إن مجموعة غوغنهايم ليست مميزة، وتختلف كثيراً عن مجموعة كاندينسكي الرائعة والتي كنت قد شاهدتها في روما، وهناك الكثير من معروضات الدرجة الثانية. (على عكس متحف الفن الحديث - وهو ليس كبير المساحة - لكن كل قطعة تُعرض فيه تحبس الأنفاس، وعلى عكس صالات الفن الحديث الجميلة في المتروبوليتان والتي تفسدها للأسف لوحات دالي التي يصطف الناس لرؤيتها). يوافق الجميع على انتقاد الشّكل الخارجي لمتحف غوغنهايم، لكنّي أحبه: إنه كبرغي أو مخرطة، متجانسٌ تماماً مع تصميمه الدّاخلي.

الضّحك على الموت

قيل الكثير عن انعدام الأخلاق عند الأمريكيين. في ذلك المساء في هارلم - في ملهى ليلي يدعي بيبي غراند حيث يعزف الجاز- بدأ كوميدي أسود فقرته بالضحك على موت إيرول فلين، وسط سخرية الجميع. ثم ألقى مرّة أخرى نكتة فجّة عن موت فلين والجنازة وسط ابتهاج الجميع. وواصل الكوميديان فقرته وهو يسخر من الموضوع العِرقي والفصل العنصري.

أوليفيتي

ذهب دريانو أوليفيتي في الأيام القليلة الماضية إلى نيويورك واشترى Underwood التي مرت بضائقة لبعض الوقت. سيُنتج أوليفيتي من الآن فصاعداً البضائع في أمريكا باستخدام اسم أندروود، وبذلك سيتجنب مشاكل الضرائب. إنّ أسهم أندروود ليست مُدرجة في سوق الأسهم حالياً، لكن يبدو أنها ستُدرج قريباً. عندما كان سينيي الأحمق[1] في المؤتمر الإعلامي،

1-(1891-1972) :Antonio Segni) سياسي في الحزب الديموقراطي المسيحي. كان

سأله صحفي أمريكي عن رأيه بتسلل أوليفيتي إلى أسهم أندروود، وكانت إجابته: «إن مؤسسة كبيرة مثل أندروود ليس لديها ما تخشاه من شأن صغير مثل أوليفيتي!»

في منزل بريتزوليني

٢٣ نوفمبر

في عشاء بريتزوليني[1] والذي دعاني حينما كنت لا أزال في إيطاليا لأزور شقته الصغيرة في الدور السادس عشر - وكانت بالفعل كما وصفها أكثر من مرة - للاستمتاع بمهاراته كطباخ ومضيف كريم. وقد حضرت السيدة كودهاي أيضاً، وهي أرملة الماركيز بيلليريني وهو كاثوليكي والرئيس الأسبق لـ Straus Farrar، والكونت الهنغاري Arady - إن كان سمعي لاسمه دقيقاً - إنه كاتب **السيرة الذاتية لبيوس الحادي عشر**. بعد أيام وأيام من لقاء اليهود فقط، لاحظت أن هذا الاختلاط بالكاثوليكيين الرجعيين إلهاء غير محبب للقلب. بدا الكونت الهنغاري وهو ليبرالي كاثوليكي معجب بعائلة لومبارد الأرستقراطية من القرن التاسع عشر - رفيقاً جيداً، حيث دار بيننا حوار شيّق يُثبِت فيه استمرارية النسب من بيوس الحادي عشر إلى جون الثالث عشر، وهو نسب لم ينتصر لأن حزب بيوس الثاني عشر لا يزال قوياً. لقد هاجم الجميع رجال الدّين الإيرلنديين في أمريكا والكاردينال سبيلمان، لكني ألاحظ أن أسبابهم هي نقيض الانتقادات المعتادة لسلطة الكنيسة،

رئيس وزراء إيطاليا في فترة (1957-1955) و (1960-1959) قبل أن يصبح رئيس الدولة (1964-1962).

1- (1882-1982): (Giuseppe Prezzolini) كاتب وناقد. أسس وزميله Giovani Pap-ini الكثير من الصحف الثقافية مثل Leonardo، وكان محرر La Voce (1914-1908)، ثم هاجر للولايات المتحدة. وهو ناقد محافظ في الثقافة الإيطالية، كما كتب عن الحياة في أمريكا.

إنها روح هَرمية.. إنهم ينتقدون هنا افتقارها للرسمية، و «ديموقراطيتها» الارتجالية، وجهلها باللاتينية. لقد ذعر الجميع لأنهم كانوا قد وضعوا حافظة زجاجية في كاتدرائية السينت باتريك فيها تمثال من الشّمع الملون لبيوس الثاني عشر بحجمه الطبيعي، وعليه شعر وكل شيء، مثل تماثيل مدام توسو تماماً. لا يمكنهم إدراك كيف أن الفاتيكان لم يتدخل ضد تدنيس المقدسات - والذي هندسه سبيلمان رغماً عن البابا جون الثالث عشر بالتأكيد - إنهم يثنون على [هنري لويس] مينكن لأنه العظيم في أسطورة أمريكا الديموقراطية: والهنغاري فخور كذلك بكارل كراوس (وهو معجب الآن بـ Cases،[1] كما لعب Mencken دور سيد جميع اليساريين الأمريكيين) بنفس الطريقة التي يمجّد فيها رواية **الفهد**- ولا يتردد في وضعها في ذات المرتبة مع روايات مانزوني - لأسباب رجعية فقط، وحسب علمي فإن هذه الرواية لها أهمية عظمى في أيديولوجية الغرب الحالية. لقد استمعت للكثير من هذه النقاشات دون أن أنفعل: لا مشكلة لدي مع أولئك الذين يسمون أنفسهم بالرجعيين، وأنا على ود مع بريتزوليني، بينما وجدت أرضية مشتركة مع الكونت والماركيزة (والتي سألتقي بها لاحقاً في غداء عمل) في معرفتنا لـ Bordighera ومجتمعاتها.

إن أراء B.N عن Purdy وتحديداً عن مالكوم سلبية. لم أجد من يذكر Purdy بذكر حسن (سألتقي به قريباً). ومن ناحية أخرى، أجمعوا مساء أمس على تمجيد Malamud ككاتب جديد وعظيم. وهو رأي مهم صدر من الكاثوليكيين. ولهذا فإن من مخططاتي هذه السنة الترويج لمالامود أكثر من بوردي.

---

1 - Cesare Cases: ناقد أدبي، ومتخصص في كل من الأدب الألماني والإيطالي. وهو أول من قدم أعمال الناقد الماركسي جورج لوكاس إلى إيطاليا.

(من الحوار الذي أجريته مع مديري دار Brenton) وجدت أن المكتبات الأمريكية أكثر تعقيداً من الإيطالية، بسبب حقيقة بسيطة وهي أن عدد الكتب المنشورة هنا هائل لدرجة أن لا أحد من قسم المبيعات يظن أنه من الممكن تصدر جميع هذه العناوين. إن دار برينتون منظّمة بشكل جيد: إنها عبارة عن مكتبة ضخمة وبها أقسام لكتب الخيال العلمي، والشعر... إلخ الجديدة. وحتى أنها تضم أقساماً للكتب ذات الأغلفة الورقية (والتي يكون مسؤول عنها الصيدلي أو بائع الجرائد أو محل كتب ورقية منفصل)، والدوريات، وبالتأكيد كتب النشء التي تجدها في كل مكتبة. إنهم لا يشترون الكتب بنظام نسخة مجانية لكل درزن، بل يستلم بائع الكتب تخفيضاً قدره ٤٠٪. وفي مناسبات نادرة يوفر الناشر نسخة مجانية لكل عشرة كتب. وتؤخذ الطلبات عندما يُجري النّاشر اتّصاله الشّهري. إن العاملين متعاونون هنا كما في محلات أربطة العنق، ولا يحلمون بمعرفة شيء عن هذه الكتب. ذلك لأن الناس لم يعتادوا على زيارة المكتبات. إن قرأت سيدة على سبيل المثال مراجعة عن كتاب متعلق بتربية الطفل، فإنها ستهاتف أو تكتب للناشر لتسأل عما يجب فعله للحصول على هذا الكتاب، لأنها ليست معتادة على الذهاب للمكتبة. باختصار إنه وضع مشابه لذلك الذي في إيطاليا. إنّ المكتبات الآن مليئة بكلاسيكيات مشهورة أعيد طبعها، ولا بد أنّها آخر اكتشافات أولئك المهتمين بإعادة إنتاج الفن، بعد إعادة إنتاج اللوحات - أي أنّها عادة قديمة جداً - رغم أنها بضاعة سيئة.

أضواء السيارات الجانبية

يمكن دراسة السيكولوجية الأمريكية عبر تفحّص أضواء السيارات

الضّخمة وذلك لتنوعها الهائل، ولأناقة أشكال هذه الأضواء والتي تجسد هواجس المجتمع الأمريكي. وبعيداً عن الأضواء الهائلة والتي يراها المرء عادة حتى في إيطاليا - والتي تذكرنا بالشرطة واللصوص - فإن هناك أضواء تشبه قمم ناطحات السحاب، وتشبه عيون ممثلات السينما.

٧ ديسمبر، ١٩٥٩ نيويورك

لن أكتب الكثير هذه المرة، لأني عشت بانعزال خلال الأسبوع الماضي لأكتب محاضراتي. من الممل أنهم لا يعرفون شيئاً عن إيطاليا هنا، ولهذا يجب أن أبدأ من المبادئ الأساسية وأفسر كل شيء بتفصيل. أعني أنه يجب أن أشيّد الأسس لكل حديث أخلاقي وسياسي وأدبي، وهو شيء لم أكن لأفعله في إيطاليا، ومع ذلك فهم لن يفهموا شيئاً، لأن عشاق الإيطالية هم دائماً الأقل ذكاء. لكن عندما أشاهد أن الوسائل الرسمية لنشر اللغة الإيطالية غير ملائمة هنا، فإنّي أشعر بواجبي لتعويض هذا النقص قدر استطاعتي. وهذه المحاضرة ‖ ما لم أمل فوراً منها وأتخلى عن كتابتها بشكل نهائي - قد تكون إحدى أهم أهداف رحلتي، فذلك الشّخص كان يسافر في أرجاء الولايات المتّحدة كان يتحدث عن: غرامشي، ومونتال، وبافيزي، ودانيلو دولتشي، وغادا، وليوباردي. ولهذا لم أُكمل كتابة **يوميّات أمريكية**، بل ولأن ليس لدي الكثير لأقوله، ولأن نيويورك لم تعد مدينة جديدة بالنسبة لي، ولأن كل شخص رأيته في الشارع قد جعلني ألاحظ جانباً كنت غافلاً عنه. أما الناس فباتوا عاديين كالذين أراهم وأُقابلهم كل يوم، والطريقة التي أمضي بها يومي كله تقع تحت تصنيف تم «تم التنبؤ به». ورغم ذلك فقد جمعت بعض الملاحظات التي سأعمل عليها تدريجياً. وبما أني قد أنهيت كتابة المحاضرة وسلّمتها كي تترجم، فأشعر أني ممتلئ بالنشاط والحيوية. ويجب أن أجد

المزيد من الوقت لقراءة بعض الكتب، فالكتب القليلة التي على المنضدة صارت تغطي المرآة ولا أستطيع رؤيتها.

وسأكتب الآن بعض النقاط القليلة عن الناشرين.

فروتيرو[1]: لقد اشتريت أنطولوجيا المكتبة الحديثة لقصص الرعب. وسوف أضعها غداً في البريد (مكاتب البريد مغلقة يوم الأحد والسبت). ما هو مقاس الحذاء الذي ترتديه؟

Purdy James

ذهبت لمقابلة Purdy الذي يعيش في بروكلين في الناحية السكنية منها، وقد استقبلني في الغرفة التي يتشاركها مع بروفسور. كان هناك مطبخ وسرير مزدوج في غرفة واحدة. لقد ترك وظيفته لأنه ومنذ عام يعيش على منحة من مؤسسة غوغنهايم وهذه المنحة مَكّنته من إنهاء روايته The Nephew، والتي سلّمها للناشر اليوم.. إنها أقرب ما تكون لقصصه القصيرة. إن جيمس بوردي شخص مثير للشفقة، وهو في منتصف العمر، وضخم البنية وشهم، وهو كذلك معتدل الجمال وبشرته ضاربة للحمرة، وحليق الذقن، إن لبسه رصين، ويشبه غادا بدون الهلوسة، وينضح لطفاً. ولو كان مثليّ الجنس فسيكون بارعاً وحزيناً. عند سريره هناك أداة حمل أثقال. وفوقها صورة لملاكم من القرن التاسع عشر. وهناك لوحة صليب أعاد روليت[2] رسمها، وكتب التوحيد مبعثرة في كل مكان. لقد ناقشنا الحالة المُحزنة للأدب الأمريكي التي خنقتها المتطلبات التّجارية: إن لم تكتب كما تفرض مجلة نيويوركر، فلن ينشر لك عمل. لقد نشر بوردي مجموعته

---

1 – Carlo Fruttero: كان في ذلك الوقت أحد المحررين في دار أينودي.

2 – (Georges Rouault: (1871–1958 رسام فرنسي مهتم برسم الشخصيات الإنجيلية.

القصصيّة الأولى على حسابه الخاص. ثم اكتشفه الإنجليزي إديث سيتويل. بعد ذلك، قررت دار Straus Farrar نشر كتابه، حتى أنه لا يعرف من هو السيد كودهاي، والنّقاد لا يفهمونه رغم أن الكِتاب يباع تدريجياً. ليس هناك مجلات تنشر قصصه القصيرة، وهو لا ينتمي لأي مجموعة. لقد أعطاني قائمة فيها رواياته، لكن أغلبها أعمال لم تنشر والتي لم تجد لها ناشراً. إن الأدب الجيّد في أمريكا سريّ، ومُخبّأ في أدراج كُتّاب مغمورين، وبين الحين والآخر يبرز شخص شاقاً طريقه بصعوبة عبر عباءة الإنتاج التّجاري الرّمادية. أرغب في الحديث عن الرأسمالية والاشتراكية، لكن بوردي لن يفهمني حتماً. لا أحد هنا يعرف أو حتى يشتبه بوجود الاشتراكية، فالرأسمالية هنا تدثّر نفسها وتتغلغل في كل شيء، ونقيضها مجرد ادعاءات طفولية لبعد روحاني، خال من أي احتمالات متماسكة. على عكس الاتحاد السوفيتي، حيث تبنى الوحدة الشمولية للمجتمع كلياً على الإدراك الثابت للأعداء - لنقيضها هنا في قاعدة شمولية متوسطة الدرجة، ولا يوجد بديل عن الهروب الفردي.

أسأل عن سالينجر ويخبرني الجميع عن الحادثة المحزنة: أهم كاتب في جيلنا، والذي لم يعد يكتب، قد نُقل إلى مصح الطب النّفسي، وآخر ما كتب كان قصصاً لنيويوركر. وهذا ما حدث لفيتزجرالد في النّصف الثّاني من القرن. أعتقد أنّنا يجب أن ننشر كتاباً آخر لسالينجر أيضاً في أقرب وقت ممكن، واسمه **تسع قصص** (نشرته دار لتل براون، وأعادت طباعته دار ذا مودرن لايبراري). صار سالينجر كاتباً كلاسيكياً في أمريكا.

للجميع هنا فرصة الكتابة، والبقاء في المنزل لعام واحد والحصول على منحة لإنجازه.

المنح

يسهل على الأساتذة الحصول على المنح لأنهم لا يدرّسون عادة لأكثر

من عامين متتاليين، بعدها يحاولون إيجاد طريقة لتأمين منحة لسنة أو سنتين، دون أن يعتمدوا على أحد. وإن أرادوا منحة أخرى، فسيتحتّم عليهم أن يكتبوا كتاباً بطريقة ما، ولهذا تنتشر عدوى الكتب الأكاديمية والتي قد تكون غير هادفة - لكنهم على الأقل يكتبون - بينما في إيطاليا قد تكون المطبوعات الجامعية غير هادفة ولا تعتبر كتباً، ولن أقتات منها حتماً.

سويزي

عزيزي رانييرو[1]، كتبت لـ [باول] سويزي[2] أسأل مقابلته، لكنه جعل ليو هبيرمان يهاتفني ليقول إنه الآن في جامعة كورنيل لعدة أيام، بعدها سيذهب إلى منزله في الرّيف - يختفي الجميع هنا في فترة الكريسمس - ولهذا يجب أن أكتب له. لكن بما أننا يجب أن نهاتفه، فمن الأفضل أن تفعل أنت ذلك: يمكنك أن تشرح له الخطّة بالتّفصيل. وإذا أراد أن يجيبني لاحقاً، فأنا تحت تصرفه. لكن تذكر أني سأبقى في نيويورك حتى بداية يناير فقط، ثم سأغادر إلى كاليفورنيا، ولن أعود إلى نيويورك حتى منتصف مارس المقبل.

Styron

قرأت مراجعات لرواية ستايرون الجديدة، تبدو جيدة من الصفحات الأولى التي قرأتها. هل سأجد وقتاً لإكمالها؟ لا أعلم - ذلك لأني، دائماً ما أفكر أن لدي شيئاً أفضل من القراءة لأفعله - وإن وجدت أنّي لن أتمكن من قراءتها فسأرسل المخطوط لك.

المحاضرة

ألقيت محاضرتي في كازا إيتاليانا في جامعة كولومبيا، وكان هناك حضور

1- Panzieri Raniero: (١٩٢١-١٩٦٤) محرر في أينودي، وتحديداً في الكتب السياسية والسوسيولوجية.

2- Sweezy .M Paul: اقتصادي ماركسي، ومؤلف (نظرية التطور الرأسمالي) ١٩٤٢، و (مع ليو هوبرمان)، و (كوبا: تشريح الثورة) ١٩٦٠.

كبير على الرغم من أنه موسم عيد الميلاد، وهكذا حَملت على عاتقي أن أكون سفيراً للثّقافة الإيطاليّة المعارضة، فالمرء حين يصل إلى هنا سيشعر أن عليه أن يفعل ذلك، رغم أنه من الممل أن أقف هنا لأشرح أدب النّهضة الإيطالي وثقافة ما بعد الحرب إلى وقتنا الرّاهن. ثم أبدأ بعدها بالحديث عن كل الأسماء المحظورة. وبالرّغم من ذلك، لم يقل أحد هذه الأشياء مسبقاً، أعتقد أنني قد أنجزت على الأقل إنجازاً مبدئياً فيما يخص التعريف بسياسة الثّقافة الإيطالية في أمريكا. بمجرد أن ذكرت كل الأشياء التي لا يريد بريتزوليني ذكرها، ووضحت لدونيني كيف عليه أن يُتم عمله (يدير دونيني المعهد الثقافي الإيطالي للسفارة: إنه أخ أمبروجيو، ومتطرف تقريباً كأخيه، ولكنه في الطرف الآخر. ليس أحمقاً، ويعاني لأن له أخاً شيوعياً). كانوا كلهم هنا وتحملوا المسؤولية، ولم يعارضني بريتزوليني: بل على العكس قال إنه وافقني في نواحٍ كثيرة، وهنّأوني جميعاً على جزء من المحاضرة تحدثت فيه عن Ariosto Ludovico (في الجزء الأخير من المحاضرة وحين كنت أتحدث عن موقفي وبسبب حماسة الحضور وأشرت إلى اسم أريوستو). ولم أتحدث عن الباقين. وفرح بهذا عدد قليل من الإيطاليين المُفكّرين. أجهل الانطباع الذي تركته لدى الأمريكيين، لأن محبي الإيطالية ليسوا أذكياء أبداً. ولا شيء يمكن قوله عن الثقافة الإيطالية في هذه الأيام، حتى لعالَم متعنّت يرفض أفكاراً كهذه.

عيد الميلاد

سأوفر عليك وصف مشارفة عيد الميلاد في هذه المدينة، لأنك قد قرأت عنه آلاف المرّات. كل ما يمكنني إضافته هو تأكيدي لك أنه أكثر حياة مما تتخيل، لا تشاهد في أي مكان مهرجاناً يتغلغل في أوصال مدينة كهذا: لم

تعد مدينة، إنها عيد الميلاد ذاته. عيد الميلاد في هذه الحضارة المُسْتهلكة يعني الاستهلاك الأقصى، ستجد سانتا كلوز (والد الكريسمس) على هيئة إنسان أمام كل باب حاملاً جرسه الصّغير، كما ستجد صورته على كل الملصقات، وفي كل نافذة محل، حيث يفرض «إله الاستهلاك» البهجة بأي ثمن.

احتمالات للانتخابات

إن تقديس المثقفين لستيفنسون[1] لن يكون له أي تأثير هذه المرة أيضاً على قرارات جموع المصوتين. ولعل ستيفنسون لن يكون مرشح حزبه بعد أن أطيح به في المرّة الماضية. وهناك خطر كبير لأن مرشح الحِزب الديمقراطي سيكون الكاثوليكي كينيدي، وفي كل مكان هناك نقاش كبير عن إمكانية كونه رئيس أمريكا المقبل. لكن في الحقيقة، من المؤكد تقريباً أن الحزب الجمهوري سيفوز بالانتخابات، ولهذا فإن الاختيار سيكون اختيار الحزب الجمهوري فيما يخص نيكسون وروكفيلر. أما بالنسبة لروكفيلر، فلم أسمعه يتحدث إلا بسلبية شديدة أو إيجابية مفرطة. على سبيل المثال، بدا لي ماكس أسكولي[2] - وهو داعم أساسي لأغلب السياسات الواقعية ! أنه قد حسم أمره في مساندة روكفيلر، بينما ليس لديه وقت لنيكسون الذي يعتبره انتهازياً، فساند أكثر سياسة مناقضة حسب اتجاه هبوب الريح. ويحدثني الآخرون عن روكفيلر كرجل يشتهي السلطة دون تردد. ليس لأمريكا جديد تقوله فيما يخص التحالفات السياسية.

---

1 - (Aldai Stevenson: (1900-1965 سياسي ديموقراطي، سعى وراء كرسي الرئاسة في عامي 1952 و 1956.

2 - (Max Ascoli: (1898-1978 فيلسوف ليبرالي وسوسيولوجي. غادر إيطاليا الفاشية في عام 1931، واستقر في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أسس صحيفة The Report-er لاستعراض الآراء الليبرالية.

آخر نكتة أمريكية

هل تعرف الفرق بين المتفائل والمتشائم؟

المتفائل يتعلم الروسية، والمتشائم يتعلم الصينية.

نيويورك ٢ يناير ١٩٦٠

سنة جديدة سعيدة أتمناها لكل أصدقائي في تورين!

خلال العشرين يوماً الماضية لم يُرَد على أي رسالة من رسائلي، ولا توجد إشارة على وجود حياة من حولي عدا في تلك الدقائق القليلة في اجتماع كان في ٢١ ديسمبر. آسف على قلة التواصل ففي الشتاء يتضاءل العمل تدريجياً (لم يكن هناك أي رد عليّ منذ رسائلي الأولى). دار أينودي لم تنجح أبداً في العمل عن بعد. ولو أنكم أرسلتم لي انتقادات، ونصائح، وتشجيعاً.. كانت لتساعدني كي لا أشعر بأني منقطع في عزلة سفر فردية. تملكني هذا الشعور في الأسابيع الماضية نظراً لحالة الجنون التي تمر بها المدينة في عيد الميلاد. لقد أوقفت زياراتي المنتظمة إلى الناشرين - رغم أن قد تبقى قليل من العمل - وأنا الآن على وشك المغادرة، في حدود الثاني عشر من يناير إلى: كليفلاند، ثم ديترويت، ثم شيكاغو، ثم سان فرانسيسكو، ولوس أنجلوس، والجنوب، وستكون رسائلي مجرد تقارير عن رحلاتي لبضعة أشهر، بالإضافة إلى رأيي في الكتب التي قرأتها.. كما أتمنى، لأني سآخذ الكتب معي على أمل قراءتها خلال الرحلات.

على ظهر حصان بين شوارع نيويورك

لأول مرة في حياتي أركب حصاناً. وكان ذلك صباح الأحد في سنترال بارك. لكن الإسطبل بعيد جداً باتجاه غرب سنترال بارك، وما إن وضعت

قدمي في السرج، حتى مشى الحصان في خطوات واسعة بدءاً من الشارع التاسع والثمانين مجتازاً بضعة أحياء. كنت أختال فوق أسطح السيارات التي كانت مجبرة على تخفيف سرعتها خلف سرعة الحصان. كان ركوب الحصان من سنترال بارك سهلاً ولكنه طيني قليلاً. جربت المشي، لكن العدو كان أسهل. وحولي في هذا الهواء الصافي الرائع نيويورك - لا يوجد مدينة في العالم لديها هواء صاف كهذا وسماء جميلة كهذه وناطحات سحاب. إن السناجب تجري على طول المروج في الحديقة. ورفيقتي، تجلس بخفة على فرسها، وترفع صوتها بتعليمات ترشدني فيها، ولكني لم أفهمها. لدي هذا الإحساس بأني أسيطر على نيويورك بطريقة لم أفعلها من قبل. وأنا أنصح جميع زوار نيويورك بالتجول في أرجاء المدينة على ظهر حصان قبل فعل أي شيء آخر. كنت قد قابلت هذه السيدة وهي زوجة كاتب في حفل الأمس حيث كنت ضيف الشرف (إريش ماريا ريمارك كان هناك أيضاً مع زوجته، باوليت غودارد، والذي تقدم في العمر بشكل ملحوظ منذ Tempi mod-erni لكن لديه عينين جميلتين وهو مليء بالحيوية، باختصار هي لطيفة، بينما أشعر بالشفقة عليها مع زوجها، على أي حال هذه السيدة شابة ويهودية وعاشقة للطبيعة. لقد أخبرتني أنها تحب «ركوب» الخيل، لكن زوجها لا يصطحبها معه لذلك، وأخبرتها أني أعرف كيف «أركب» الخيل ولكني لم أركب حصاناً يوماً، ولهذا فقد نسّقنا موعداً آخر في اليوم التالي، وقد أعاراني أيضاً زوجاً من الأحذية المكسيكية الطويلة. يبدو أن هذه الطريقة السليمة للاقتراب من أمريكا، ويبدو أنه عليّ استخدام كافة وسائل التنقل بتسلسل تاريخي حتى أقود إلى الكاديلاك.

أستديو الممثل

أذهب عادة في صباح الثلاثاء أو الجمعة إلى أستوديو الممثلين - وهو نوع

من الأكواخ قرب الميناء - وفيه دائماً الكثير من الممثلين، حتى أن بعضهم مشهور، وفيه يجلس المخرجون في دائرة وأرى لي ستراتسبيرغ هناك في الوسط، وفي كل مرة يقوم مجموعة من الممثلين بتمثيل مسرحية قصيرة أو مشهدٍ واحِد فقط، كي يتحدثوا عن بعض المشكلات، ثم يقومون بشرح بعض المشكلات التي واجهوها أثناء تمثيلها لزملائهم، بعدها يبدأ الآخرون بمناقشتها، وانتقادها، وفي النهاية يُبدي ستراتسبيرغ رأيه ويقوم بإلقاء محاضرة حقيقية أحياناً. وكل ما سبق مجاناً طبعاً: إنه ناد للممثلين ليجربوا ويناقشوا. وهناك تمارين ابتكرها ستراتسبيرغ أطلق عليها اسم «تمارين اللحظة الخاصة»: وفيها يتخيل الممثل مشكلة شخصية ويقوم بتمثيلها دون نص يستعين به. فعلى سبيل المثال شاهدت شخصاً نهض ببطء من سريره وهو يشعر بالاكتئاب، فحلف الأيمان وحاول العودة للنوم، لكنه استيقظ مجدداً وذهب إلى النافذة، وشغّل تسجيلاً موسيقياً، ثم قل اكتئابه... إلخ، بعدها يبدأ النقاش... إلخ. كان الأمر كله مضحكاً، فستراتسبيرغ هذا (والذي كان أحد المسرحيين في مجموعة نشأت في الثلاثينيات، وكانت تضم Clifford Odets أيضاً وآخرين) مهووس جداً بفكرة الصّدق الدّاخلي، والذي يجب أن «يشعر» به الممثل (وهذا هراء برأيي)، ولهذا فهو يسأل الممثلين سؤالاً أساسياً برأيه.. «ولكن في تلك اللحظة، هل كنت تمثل مشكلة «خاصة» بك، أم مجرد مشكلة عامة على خشبة المسرح؟ لأن توحيد مشكلتك النفسية مع المشكلة التي تجسدها في المسرحية يعتبر ne plus ultra برأيه. وباختصار، إنها إثبات آخر على وهن الفِكر الأمريكي. وعلى الرغم من ذلك، ففي هذا المكان يمكنك أن تتنفس جواً أصيلاً، مليئاً بشغف تطوير النفس، وهو كذلك مكان يرمز بشكل أفضل من أي مكان آخر للعناصر التي تصنع الروح الأمريكية في نيويورك: المركب الروسي (ستانسلافسكي في هذه الحالة)، والتي جلبها اليهود إلى هنا، واختلطت بفكرة فرويد عن الصّدق

الدّاخلي، وهي تعود بتاريخها إلى العادة البروتستانتية القديمة فيما يخص الاعتراف بالآثام على الملأ، وكل ما سبق مرتبط بالفكرة التربوية الأساسية الأنجلوساكسونية والتي تؤكد على إمكانية تعلم كل شيء. في أستديو الممثل زوج وزوجة أمريكيان كانا قد شاهدا مسرحيتي القصيرة في Spoleto، وهي المسرحية الوحيدة التي كتبتها في حياتي، وطلبا مني تمثيلها هنا، فترجمناها معاً وسوف يمثلانها بعد أسابيع، لكني سأكون حينها في كاليفورنيا. وهناك أيضاً قسم للكتابات المسرحية في هذا الاستوديو، لكني لم أره. ولا توجد كتب عن أستوديو الممثل [حتى الآن].

أدمغة إلكترونية

لقد اتصلت برئيس مكتب أكبر منتج لحواسيب IBM. إن علاقاتهم العامة راقية جداً، لقد استقبلوني كما لو أني رئيس إيطاليا ووضعوا كل الشركة تحت تصرفي. وعندما علموا أني سأذهب إلى واشنطن، أعدوا لي زيارة إلى Center Computing Space، أي محطة التّعقب التي تستقبل كل البيانات وتقوم بكل الحسابات لطلائع الجيش والصواريخ المختلفة. كنت سعيداً جداً، لأني ظننت أني سوف أرى أموراً غاية في السرية، لكن مكان مركز الحوسبة هذا هو نافذة محل في شارع وسط واشنطن وهو للعرض. وعلى الرغم من هذا، فهو مركز للعمليات. إن خطر فقدان كل معلومات رواد الفضاء، إذا هشمت شاحنة هذه النافذة في حادث، تلغيه حقيقة أن هناك مركزاً مماثلاً في Canaveral Cape. لكنه كان مدهشاً. لقد شاهدت نماذجاً لصواريخ وأقماراً صناعية ستعمل نظرياً إذا ضغطت على أزرار معينة، لكن النماذج محطمة دائماً. أما علماء الرياضيات الشباب الذين شاهدتهم فكانوا يضغطون على ألواح مفاتيح الكمبيوتر وتبدو عليهم علامات غياب

الذهن والشرود. لقد وضعت IBM في نيويورك سيارة كاديلاك مع سائق وخبير تقني من تورين تحت تصرفي ليكون دليلي في Poughkeepsie، حيث يقع مصنع IBM الضخم في ويستنستر. إنه مصنع يعمل فيه ١٠,٠٠٠ موظف، ويبدو كمدينة من العصور الوسطى، وأمامها هناك موقف سيارات يتسع لـ ٤٠٠٠ سيارة (مواقف السيارات هذه مليئة بالسيارات الرمادية والزرقاء، والتي ستشاهدها ما إن تغادر نيويورك، وستوحي لك بأصالة أمريكا). لقد استقبلني مجموعة مدراء وشرحوا لي أولاً الهيكل التنظيمي للشركة، وأخبروني أنه لا يوجد اتحاد تجارة بها. فاستفسرت عن السبب تلقائياً. فكانت الإجابة أنهم «لا يحتاجونهم». إن رواتبهم هنا أعلى من أي مكان آخر، والنزعة الأبوية صريحة، وصور السيد واتسون الملونة معلقة في كل مكان هنا. علِمت لاحقاً أن جميع الموظفين يدعون إلى عيد ميلاده الموظفين عبر رسالة مطبوعة كتب فيها أنهم إن لم يمتلكوا سيارة تنقلهم للحفل مع زوجاتهم، فإن الإدارة سوف توفر سيارة تُقلّهم في وقت محدد. وإن لم تمتلك زوجاتهم فساتين ملائمة للحفل، فإن الإدارة ستوفرها لهن، كما ستوفر خدمة مجالسة الأطفال أكيدة لتلك الليلة، وتوضح الرسالة أرقام الطاولات المحجوزة لهم، وتخبرهم أن عند وصول السيد واتسون[1] فإن عليهم جميعاً أن يغنوا أغنية معينة... إلخ، ومرفق في الرسالة كلمات أغنية على شرف السيد واتسون. لقد زرت المصنع، وشرحوا لي كل شيء عن أساسيات صنع ذاكرة الحواسيب وتعلّمت كيف أنه يمكن من خلال الشّحنات الموجبة والسّالبة في المعالج تكوين حرف أو رقم، وكل العمليات التي استعملوها لينتجوا هذه الصّمامات الإلكترونية الدّقيقة، ثم شاهدت ذاكرة الوصول العشوائي (رام)، والتي تنفّذ العمليات وتعالجها عشوائياً،

1- Jr Watson Thomas: رئيس شركة IBM.

دون ترتيب مسبق. إنها أجهزة جميلة جداً فيها ألياف ضوئية، ألوانها متعددة وتكوّن تأثيرات كأنها لوحة تجريدية. لقد تناولت الغداء مع بعض المدراء والباحثين، لكن دون كحول لأن السيد واتسون يمنع الكحول منعاً باتاً في المصنع. وزرت المختبرات، إن تصميمها الهندسي مدهش، أفضل من تصميم أوليفيتي، جميع جدران هذه المختبرات متحركة تتيح لهم التحكم بالمساحة التي يريدونها، وتنظيم البحث ممتاز، وهو منفصل تماماً عن قسم الإنتاج. وعلى كلٍ، إن تنظيم الشركة فعالٌ جداً، على الرغم من أنهم عندما رسموا على السبورة السوداء ليوضحوا لي هيكل الشركة التنظيمي، فإنهم رسموا خطوطاً امتدت فوق رأس السيد واتسون ثم قالوا: الرّب. ورغم أنّي شعرت بالنعاس، إلا أنهم فسروا لي مشكلة Insulators. كما شاهدت المدرسة التابعة لهم.. كانت رائعة. وينقسم فريق العمل إلى فريقين: **القسم الإداري** وهم ودودون جداً ويعملون بصمت ويمكن أن نطلق عليهم نوع أوليفيتي، لكني بالتأكيد لم أتمكن من فهم العلاقة أو الجدلية بين الفريقين. كان منظراً مدهشاً، كل علماء الرياضيات والفيزياء في مكاتبهم الصغيرة وأمامهم ألواح خضراء. و**القسم الفني** وفيه عمّال على درجة عالية من التأهيل، وكان هناك تناغم سهّل العمل. كان عدد النساء كبيراً، جميعهن سمينات وبشعات - كان هناك نساء جميلات كما في المدن الإيطالية، ولكنهن كن يعملن في أمور محددة- ورأيت الكثير من علب الحلوى في كل ورشة عمل، إنه عيد الميلاد. وبين كل هذه الحواسيب عُلّقت زينة الاحتفال، ونَظّمت كثير من الأقسام احتفالات بهذه المناسبة. وسمعت متحدثين أصواتهم عالية يذيعون لفريق العمل عن أحدث تقنية متطورة بين تراتيل عيد الميلاد.. كانت هذه هدية إدارة أي بي أم.

لن أخبرك عن واشنطن لأنها كما يتخيلها المرء تماماً من قراءاته: صناعية، ومملة، وأنيقة جداً، ويمكنني أن أقول إنني أحببتها، وما كنت لأريدها أن تكون على أي هيئة أخرى. ولكني لم أطقها أكثر من ذلك وهذا يرجع لحقيقة أني لم أُقم في مكان واحد لثلاثة أيام. أنا أشعر بالحنين لنيويورك، ولذلك أنا في سباق مع الزمن للعودة إليها.

السينما

بالتأكيد أنا لا أذهب إلى السينما مساءً، لأنه عند حلول المساء أحب رؤية الناس. لكن ما فاجأني هو أنّ لا أحد يذهب إلى السينما، كما أني لم أجد أي شخص يذهب إلى السينما أو يتحدث عن الأفلام. هذه خصيصة من خصائص منهاتن، وأتوقع رؤية العكس عند ذهابي لمكان آخر في أمريكا. لكن بلا شك هذه الجزيرة هي حالة فريدة في مجتمعات عالمنا والتي لا تَهم فيها السينما أبداً، وهذا أمر غريب على سائح جاء من إيطاليا. ولا تختلف نيويورك كثيراً عن منهاتن، لكنها مدينة: النشر، والصحافة، والمسرح، والوكالات، والكتاب، وعالم الدعاية الكبير، والعلاقات العامة، إضافة إلى عالم البحث والتعليم والمحامين المهتمين دائماً بمسائل حقوق الكاتب... إلخ. لكنهم يناقشون غالباً الأفلام الصّامتة القديمة والتي يمكنني أن أشاهدها يومياً في متحف الفن الحديث، أو في أفلام إنغمار بيرغمن. لكن وعلى سبيل المثال، لم أجد شخصاً كان قد شاهد On the Beach (وهو الفيلم الوحيد الذي ذهبت لمشاهدته، لأنه يهمني من ناحية سياسية، رغم أنه ليس بتلك الجودة).

٢١ يناير، شيكاغو

أمضيت عشرة أيام بين كليفلاند، وديترويت، وشيكاغو وفي هذه الأيام القلائل تكوّن لدي إحساس أعمق عن أمريكا من الشهرين الذين أمضيتهما في نيويورك.. إحساس أعمق بأمريكا لدرجة أني أواصل قول: «نعم هذه أمريكا الحقيقية».

إن أكثر صورة نمطية للبلدة الأمريكية هي التي فيها شوارع على جانبيها أماكن لبيع وشراء السيارات.. مجموعات هائلة من السيارات البيضاء، والسماوية، والخضراء كلها مصفوفة تحت أعلام ملونة، ولوحات إعلانية لا توضح السعر بل قيمة التوفير (يمكنك بسهولة شراء سيارة بمئة وحتى بخمسين دولاراً)، ويقطع وسطاء السيارات أميالاً إلى هنا أحياناً، وكأنه مزاد خيول.

لكن أين المدينة؟

يمكنك أن تتجول بالسيارة لساعات دون أن تجد ما يجب أن يكون مركز المدينة. في أماكن مثل كليفلاند تميل المدينة للاختفاء، وتنتشر بمساحة كبيرة تشبه أقاليمنا. لا يزال هناك (داون تاون)، والذي يمكن أن نطلق عليه مركز المدينة، لكنه فقط مركز فيه مكاتب. تعيش الطبقة الوسطى في أحياء فيها منازل من طابقين تبدو كلها متشابهة، رغم أنه لا يوجد أي منزلين متشابهين، وأمام كل منزل حديقة صغيرة خضراء، وفيه مرآب يتّسع لثلاث أو أربع سيارات حسب عدد الراشدين في العائلة. لا يمكنك أن تذهب إلى أي مكان دون سيارة؛ لأنه لا يوجد مكان تذهب إليه أصلاً. وبين الحي والحي، قد تجد مركز تسوق عند تقاطعات هذه الأحياء. لا تغادر الطبقة المتوسطة هذه المنطقة أبداً، إن الأطفال يكبرون دون أن يعرفوا أي شيء عن هذا العالم،

سوى أنه مأهول بعائلات صغيرة تشبه عائلتهم، والتي عليها تغيير سيارتها كل عام لأنهم إن احتفظوا بسيارة العام الماضي فسيخسرون ماء وجههم أمام جيرانهم. إن الرجل منهم يذهب كل يوم للعمل ويعود في الخامسة مساء، ثم يرتدي خفيه ويشاهد التلفاز.

أما المناطق الفقيرة فهي متشابهة تماماً، ويتماثل فيها شكل المنازل الصغيرة، لكن الاختلاف الوحيد هو أن عائلتين (أو ثلاث) تعيشان فيه، ويشيّد المبنى عادة من الخشب، وقلة المساحات المخصصة لهم خلال السنوات القليلة الماضية. وما كان قبل أربع أو خمس سنوات ضاحية راقية، صار الآن في يد متنفذين من الطّبقة السّوداء المتوسّطة. أما اليهود فقد غادروا أماكن تجمعاتهم الفقيرة لأنهم صاروا الآن أثرياء في كليفلاند. وأصبحت منازلهم القديمة منازل فقيرة للسود. أما الكنائس فقد ظلّت كما هي - أعني البنيان - أما الكنيس في منطقة اليهود السابقة، فصار الآن كنيسة معمدانية للسود، لكنهم احتفظوا بالشمعدانات على زجاج النوافذ. إن تنقّل الأعراق من منطقة لأخرى في هذه المدن الكبيرة مستمر: وحيث كان يسكن الإيطاليون ذات يوم، صار الهنغاريون الآن يسكنون مكانهم، وهكذا... لم يصل البورتوريكيون بعد إلى ميد وست، ولا يزالون يتمركزون في نيويورك، لكن ازدادت هجرات المكسيكيين في السنوات القليلة الماضية بشكل هائل. والغريب هو أن الفقراء البيض من فرجينيا والذين جاءوا ليعملوا هنا في المصانع كانوا أسفل سلم الهجرات الداخلية، وبما أنهم آخر من وصل، فقد وجدوا أنفسهم أسفل السود، فظهرت عنصريتهم ومنعوا اختلاط عرقهم اليانكي[1] بالسود.

---

1 - اليانكي: الأمريكيون من أصل أوروبي أو الأمريكيون الذين يسكنون إحدى ولايات الشمال الأمريكي.

أنا ضيف عائلة غولد في كليفلاند، وهي عائلة يهودية نمطية من ميد وست. والد هيربرت جاء من روسيا عندما كان صبياً، ثم أصبح عاملاً وبائع خضار، ونجح بعد الحرب فقط في أن يصبح أغنى مالك فنادق في كليفلاند. لكنه لا يزال يعيش متواضعاً في بيته الصغير، متبرعاً بالكثير من المال لإسرائيل التي يزورها في كل عام، وهو متأثر بالثقافة الأمريكية، لكنه كحال الكثير من الأسر اليهودية فخور بوجود مثقف مشهور في العائلة، وهو راضٍ عن نمط حياة ابنه. أما زوجته فهي أم يهودية - أمريكية تقليدية، وأحد أنجح مؤسسات الدولة هو مطعمها اليهودي الممتاز، إن أسرتها كلها بما فيهم الأبناء الأربعة يتّسمون بهدوء غير عادي، بسبب بساطتهم وقناعتهم، وهي كذلك امرأة إسرائيلية باسلة، أكبر أبنائها محامٍ ولديه مكتب في فندق والده -استشارات ضريبية بالتأكيد - أما الأصغر فيساعد والده في الفندق، وإلى جانب هيربرت هناك ابن آخر يريد أن يصبح كاتباً اسمه سيدني، وهو شخص حقيقي في هذه الأسرة: كان حِرَفياً حتى وقت قريب، وعَمل أيضاً في شركة فورد في ديترويت، لكنه دائم الاستقالة من العمل. وهو نصف شيوعي، ويريد أن يصبح كاتباً مثل أخيه، ووالده يؤيده في الوقت الحالي - إنه في الخامسة والثلاثين - لأنه أدرك أن وجود ابنين كاتبين في أسرته، سيعطيه هيبة بين مواطني بلده. لكن سيدني ليس ذكياً مثل هيرب، إنه ساذج وغير مفيد، ونشأ ليصبح فاشلاً مثيراً للشفقة في المنطقة، وثورياً ومتطرفاً.

النزل

أقمت في عدة موتيلات (كان أحدها جديداً في كليفلاند، ويمتلكه غولد الأصغر) والتي لم تعد كالكبائن الخشبية، بل هي الآن مصنوعة من الطوب،

وأمامها أماكن لركن السيارات الضخمة، وهي عادة عبارة عن مبان تتكون من طابقين، وفي كل سرير مزدوج (والتي في النهار تصبح أريكة)، وتلفاز، ومنبه، وراديو، ودش، ومطبخ، وثلاجة. إن كل شيء مرتب، حتى أنه لا يحتاج إلى خدمة بسيطة: إنّ النّزل جنّة البحّارة والعُشاق، وهو أقل سعراً من أي فندق آخر.

الانتخابات

تتحدث بيوت المثقفين كلها عن الانتخابات، أكثر من نيويورك. وهم مذعورون بشدة من وجه أمريكا الكاثوليكي الذي شاهدته في بوسطن، حيث تواصل العذراء الظهور فوق مهد التطهر Puritaninsm القديم، إنّ (٧٥٪ ممن في بوسطن هم كاثوليك، ويعيشون الآن في ظل الدكتاتورية الإيرلندية- الإيطالية). شاهدت إعلانات تعادي كنيدي. وبشكل عام وجدت أرضاً خصبة بين عائلات اليهود، رغم أنهم بشكل عام يجدون في نيكسون خطراً عليهم وهم مأخوذون بفكرة نهوض الحزب الديموقراطي الكاثوليكي، لأن فيه ديموقراطية تمثل تلك الجنسيات التي كانت فقيرة والطبقات العاملة حتى وقت قريب، وهم لا يعلمون عن دور الرّجعي الذي تمثله كنيسة سبيلمان الأمريكي الإيرلندي داخل العالم الكاثوليكي. وهناك بعض الديموقراطيين العسكريين، كزوجة أحد رجال الكونغرس: كان مساناً لـ Humphrey ولكنه كان مستعداً لمساندة كينيدي إذا فاز في الانتخابات، لقد فقدت أعصابها تماماً فطردناها خارج منزلها. (وفي الطبقة المتوسطة قابلت أُناساً مثقفين شعرت بحاجتهم لأن يتم تطمينهم باستمرار أن الأمور على خير ما يرام، وأن الثقافة الأمريكية هي في المرتبة الأولى - يسردون الإحصائيات الجامعية، والمسرحية، والمكتبية تماماً كالسّوفيتيين -

لأنهم احتاجوا لإقناع أنفسهم قبل الآخرين. ومن ناحية أخرى، يمكنك أن تجد هنا في الأقاليم، وبين ذات الطبقة أكثر النّقاد الجزلين، والمطّلعين على الحياة والمجتمع الأمريكيين).

بنات الهوى

بعد شهرين ونصف وهي فترة طويلة بالنسبة للأوروبي، لم أرَ أي عاهرة في الشوارع. أعدت استكشاف منظر مألوف في كل المدن الأوروبية الغربية هنا في بعض التقاطعات: يمكن إيجاد بعضهن في مناطق البيض في أماكن معينة وعلى أي حال هن قليلات العدد. وهذا أمر مدهش في نيويورك، بالرغم من مساحتها الهائلة، ولعل هذا يعود إلى حالة التّطهر والأخلاق النّسوية الأكثر تحرراً.

النزعة الأبوية العرقية

كارامو عبارة عن تجمع يتمركز في كليفلاند. لقد تأسس قبل نحو ثلاثين عاماً ليروّج للأنشطة الثقافية التي تجمع كلاً من البيض و«الملونين». عمرانياً هو جميل وبه مسارح، ومعارض يقيمها الفنّانون السّود، وبه ورش حِرفية، ومتاحف تحكي تاريخ الثقافة الأمريكية. إن كل شيء هنا رفيع الطراز، رأيت فصولاً دراسية فيها سود يَدْرسون الفيزياء والأحياء يومياً. أظنني سوف سأعود إلى الاتحاد الاشتراكي السوفيتي، فلقد دعاني مخرج مسرحي وهو يهودي أبيض يُخرج أعمالاً تتعلق بالبيض والسود - هواة ومحترفون يعملون

بلا مقابل، وهو محترف يفضّل العمل في الأقاليم ويدفع المركز أجره - لأحضر تمارين مسرحية ستفتتح غداً. شاهدنا المسرحية التي أبكتنا، لأنها حكاية مهذّبة عن مجتمع متوازن والتمييز العرقي محورها - كاتبها أسود - وهي مثال على مسرح الأسقف التعليمي، أو لعلها تشبه تحديداً مسرحية شاهدتها قبل تسع سنوات في لينينغراد على خشبة مسرح صغير يديره كومسومال في دارٍ طلائعية مشابهة لهذا المسرح. لكن الموضوع كان مختلفاً. لقد قرأت مطوية فيها سلسلة من المحاضرات السياسية: إنها دعاية حكوميّة. عبّرت عن رأيي أمام زوجة المخرج، عندما رافقتها إلى المنزل - بدت لي امرأة ذكية، ومتحررة، وسعيدة - لكنها كانت تؤمن بقوة أن المسرحية كانت جيدة: إنها سجينة ككثير من المثقفين هنا، الذين يمتلكون ميزاناً نسبياً للقيم، وتحيط بهم الضّحالة. لقد تذكرت أوليفيتي.[1] وثمة فرصة هنا للتأكد من أصالة أفكاره وفعاليتها، في بلد لا يعتبر نتاجاً غريباً، ولكن بعض التجارب «الرأسمالية التنويرية» التي ظهرت في مجالات محددة هي الغريبة. يمكنك أن تقول إن أوليفيتي يمتلك أسلوباً أكثر تميزاً من أساتذته، وبالمجمل يمكن تعزيز أفضل التحالفات التي تقدمها إيطاليا، بينما تعمل المبادرات الأبوية الثقافية هنا على مستوى الولاية أكثر، لأن صناعة الثقافية المركزية امتصت حيوية نيويورك وأفسدتها من نواح مختلفة. (أجدني أتحدث بشكل جيد مع الأمريكان عن أوليفيتي ليلقى قبولاً حسناً لديهم. إنه ظاهرة إيطالية تجعل الأمريكي يفهم ويقدّر، ويمكنه أن يعطي لمحة عن إيطاليا الأخرى التي يجهلونها تماماً. وتحدثت عن تولياتّي[2] بشكل جيد بالتأكيد. لا يمكنك أن تجري نقاشاً مع أمريكي توضح

1- Olivetti Adriano: (١٩٠١-١٩٦٠) صناعي وناشر. قدم Taylorism والإدارة العلمية إلى قطاع العائلة، ولكنه كان ناشطاً ثقافياً، وأسس Olivetti Fondazione.

2- Togliatti Palmiro: (١٨٩٣-١٩٦٤) مؤسس الحزب الإيطالي الشيوعي منذ عام ١٩٢٦ حتى وفاته.

فيه الجديّة والشرعيّة التّاريخية لظاهرة معينة، ثم النواحي السلبية لها [لأنهم لن يفهموا شيئاً، سيشبه حديثك التّحدث مع جدار أصم).

المتاحف

هناك متاحف رائعة في كل هذه القرى الصناعية في ميدوست، وهي تعطيك مبدئياً انطباعاً إيطالياً، وفرنسياً. وتحتوي هذه المتاحف على مجموعات كانت تملكها الطبقة العليا وصارت مبعثرة هنا وهناك، وهناك العديد من القطع متوسطة الجودة، لكنها ليست رديئة. وقد تجد من آن لآخر عملاً أخّاذاً (تشبه أغلفة كورالّو) لم تتوقع إيجاده هنا. أنا مستاء لأنّي لم أتمكن من التوقف عند توليدو، وهي قرية أعمال فولاذية يقال إن فيها أفضل متحف. وهناك دائماً ابتكارات تقنية: لا يوجد حارس في صالات العرض في متحف كليفلاند بل هناك كاميرا معلّقة في السّقف في كل صالة وتدور لتُصوّر الزّوار: وبهذه الطّريقة يتمكن الحارس الواحد من مكتبه من مراقبة المتحف كله. يمكنك أن تستأجر قطعة ورقة مقوى في متحف ديترويت فيها سماعة تضعها على أذنك، لتستمع إلى شرح عن كل لوحات المعرض.

موتٌ ثَوريّ

ينوح الليبراليون اليهود في كليفلاند على موت صحافي ليبرالي كبير السن.. سبينسر، كان محرر أخبار في صحيفة محلية سمحت له بالكتابة متى شاء رغم أن من يمتلكها محافظون منعزلون. قرأت مقاله الأخير عن سواستيكا[1]، إنها بلاغة خطابية حماسية ذات أسلوب حكومي. لقد ذهب هيرب إلى الجنازة.

1- الصليب النازي المعقوف. (المترجمة)

وكان إيروين «كويكر»[1] لكن كهنة كل الكنائس البروتستانتية كانوا يقفون إلى جانب الحاخام. وقال كل منهم شيئاً يستذكرون سبينسر فيه. وكان من بين المعزّين مثقفون سود ومدمنو كحول وجوههم بنفسجية اللون؛ كان إيروين مدمن كحول سابق، وحين تعافى صار أحد رؤساء جماعة مدمني الكحول المجهولين، وهي جماعة لمساعدة المدمنين من كل الطبقات الاجتماعية.

الحانة

أَجلس في حانة تُظهر الوجه القاسي لأمريكا بينما أنتظر هيرب الذي ذهب للجنازة، إنها جانب آخر من أمريكا انتظرت مشاهدته بفارغ الصبر في نيويورك. في الحانة رجال أقوياء البنية يبدو وكأنهم قد خرجوا من فيلم، ولكنهم في الواقع عمال في مصانع السيارات في كليفلاند، وتبدو النساء كبائعات هوى، ولكن ربما هن مجرد عاملات فقيرات أيضاً. إن الموسيقى - رجل يرتدي قبعة البيريه رقص مع امرأة كبيرة في السن، ثم غادرا - آلات البينغو والتي نسميها بينبول (والتي توجد فقط في حانة في تايمز سكوير في نيويورك)، هي نوع إلكتروني. باختصار، إيطاليا المُؤَمرَكَة التي تخصّنا تبدو كولاية تابعة لأمريكا، وشعبنا هو الطبقة العاملة لأمريكا. أظن أني قد شاهدت أول عمل غرافيتي في أمريكا في دورة المياه، لكنه لم يكن كذلك: كان ثورةَ جنون ضد السود، (من سَيَتَسَيّد إن طردتَ السود؟ الصراصير). يرتاد هذه الحانة البيض الفقراء من الجنوب والذي هاجروا للعمل في المصانع.

ذهبت أيضاً إلى صالات البلياردو القريبة في ديترويت مع مقامرين كانوا يلعبون البوكر على الطاولة، وكانوا يراقبون أي غريب تحسباً إن كان من الشرطة. كانت عصابة غير موفّقة قصيرة العمر، كما في كتاب Nelson

1- صاحب أو عضو في طائفة دينية للمسيحيين البروتستانت. (المترجمة)

Algren (والذي أردته أن يكون مرشدي في شيكاغو وهي مسقط رأسه، لكننا لم نلتقِ لأنّي لم أكن هناك أصلاً. ولم أتمكن من رؤية أحد أفراد عصابة شيكاغو).

عشاء التلفاز

يُقدّر المرء ثقافة الاستهلاك أكثر خارج المدن، من خلال زيارة محلات سيرز الكبيرة والتي توجد في كل بلدة. إنها متاجر تبيع كل شيء حتى الدراجات النارية - والتي تكلف أكثر من السيارات - ومحركات القوارب (في القرى المطلة على البحيرة هناك الآن موسم يُسَوّقون فيه لنا محركات القوارب للصيف). اشتهرت سيرز بدليل معروضات مَكّن المزارعين في المناطق النائية من التّسوق عبر الطّلب بالبريد في وقت كانت فيه الاتصالات صعبة. وفي متاجر التسوق هناك تقليعة مبهرة، وهي عشاء التلفاز: صينية عليها عشاء كامل، جاهز للأكل، لأولئك الذين يشاهدون التلفاز ولا يرغبون بمقاطعة المشاهدة، ولا حتى لعشر دقائق ليعِدّوا فيها الطعام. وهناك أصناف كثيرة في عشاء التلفاز، وكل عشاء مرفق بصورة فوتوغرافية ملونة توضح محتوياته على الغلاف. وكل ما عليك هو إخراج العشاء من الثلاجة وأكله دون الحاجة لإبعاد عينيك عن الشاشة.

في المعبد الإسرائيلي

يُلقي هيرب محاضرة عن الهيبسترز والبيتنكس[1] في معبد في كليفلاند هايتس. إن والده مهتم جداً بالمحاضرة، لأن فيها سيكون الظهور الأول لابنه كشخصية ثقافية في مدينته الأم، وفيها أيضاً اعتراف بِهَيْبَته: أصبح ساموبل غولد أحد أنوار المعبد الأساسية في السنوات القليلة الماضية. ليس

١- أدباء الجيل المتعب أو جيل البيت. (المترجمة)

المعبد أحد كنائس الأرثودوكس الاثني عشر، ولا فرع أعيد تأهيله، بل هو (يشبه البروتيستانست اليهودية، وبه تبسيط للتعاليم من أجل التقريب بين اليهودية وطريقة الحياة الأمريكية)، ملك لليمين المحافظ، والذي يتوسط بينهما، ويحتفظ ببعض النواحي الرسمية للدين بانفتاح مثير للاهتمام، ويسوعي نوعاً ما نحو التجمعات الأخرى. أرافق اليوم عائلة غولد المبتهجة إلى الشعائر، وحتى ابنيهما المترددين مستمتعان برضى والديهما. كان الجميع يرتدون قبعة سوداء صغيرة، ككل المؤمنين. هناك منشد رائع الصوت ورزين الأداء. وهو يعزف على الأورغن - ابتكار على عكس الأرثودوكسية - أما الراباي[1] فكان بلا لحية ومنفرج الأسارير، ويقرأ مقاطع من مزامير داوود بينما يرد عليه الناس بمقاطع أخرى، كانوا يقرأون من كتبهم الصغيرة، وانضممت إليهم. ومن بين تراتيل هذا الكتاب الصغير، وَرَدَت جزئية «ليبارك الرب أمريكا»: النشيد الوطني الأشهر. كان العلم الأمريكي في أحد جانبي المذبح، ككل الكنائس الأمريكية، وعلى الجانب الآخر علم إسرائيل، وعلى المنصة شابّان يرتديان ثوبين مقدسين وفتيات في أبهى حلتهن، وكن يتبادلن الدور مع الرّاباي ورئيس الجوقة في ترتيل الزبور. وفي منتصف القداس، تذكر الرّاباي أولئك الذين قُبضت أرواحهم هذا الأسبوع بما فيهم الصحفي سبنسر إيروين، ثم أعلن عن محاضرة هيرب، ومن أجل إضفاء نفحة دينية كان عنوان المحاضرة «الهيبسترز.. البيتنكس، والإيمان»، رغم أنّ هيرب لم يُشر للإيمان في هذه المحاضرة، بل أشار إلى أن قلة المثل العليا للسياسية الثّورية أدت إلى عدم الاكتراث واللامبالاة. ولم يعارض الحضور رأيه بأن الثقافة ضاعت اليوم. لكن بعض المؤمنين أبدوا امتعاضهم واشتكوا هيرب إلى الحاخام بسبب استخدامه المتكرر لكلمة «القيام بالحب» والكلام

١- رئيس المعبد. (المترجمة)

الفاحش بين غير المتزوجين. وما أن انتهت المحاضرة حتى تابع القدّاس مراسمه واستدعي السيد غولد ليرفع الستارة عن التابوت.

أقود لأول مرة

سيارة أمريكية. على امتداد الطريق المؤدي إلى ديترويت. تبديل التروس الأوتوماتيكي يجعل القيادة سهلاً؛ فكل ما عليك فعله هو أن تعتاد على حقيقة أن عليك أن تدوس على دواسة القابض. إن حدود السّرعة الصّارمة على الطّرق تجعل السّائق حذراً، لكن الغريب في الموضوع هو نقص القوانين الخاصة بالتخطي والذي يكون عادة على يمين أو يسار الطريق، ودون استخدام إشارة السيارة غالباً.

أرض العجائب

في محطات خدمة الطرق السريعة - وهي مكان نمطي آخر في أمريكا - اكتشفت العجائب في دورة مياه الرجال. هناك تجهيزات للاسترخاء، لمن تعبت أرجلهم من القيادة: كل ما عليك فعله هو الوقوف على منصة صغيرة، ثم وضع قطعة نقود معدنية، ليعمل الجهاز ويجعلك تهتز لخمس دقائق، ستبدو حينها كشخص عذّبته رقصة الكاهن فيتوس. وهناك أيضاً، مُلَمع الأحذية الأوتوماتيكي بفراشيه التي تدور. لقد استبدلت الكثير من دورات مياه الرجال الآن المناشف الورقية بمجففات الهواء.

الفقر الأمريكي

له لون معين وتعلّمت الآن أن أميّزه: إنّه لون اللبنات الحمراء المحترقة في المباني أو اللون المتلاشي في المنازل الخشبية والتي صارت أحياء فقيرة. يبدو الفقر في نيويورك كما لو أنه متعلق بالمهاجرين الجُدد، وهو شيء يعادل فترة انتظارهم. ولن يبدو من الصّواب في أن يصبح أي شخص من بورتريكا

مثلاً ثرياً فوراً لمجرد أنه قد حطّ قدمه في نيويورك. من الواضح أن فقر الناس المدنيين في المدن الصناعية هو جزء أساسي من النظام، وللفقر عادةً لمحة أوروبية: شاهدت منازل سوداء أصغر من الأكواخ، ورجالاً كباراً في سنهم يدفعون العربات، وألواحاً من الخشب استعيدت من منازل هُدِمت. هناك بالتأكيد نمو مستمر وبطيء في مختلف الطبقات الاجتماعيّة التي تحاول تسلّق سلّم الثّراء، لكن المهاجرين الجدد مكانهم القاع دائماً. والمَوْرد الجوهري لأمريكا هو التنقل والحركة الدائمة وهما في تناقص مستمر. إن كساد عام ١٩٥٨ كان نكسة عُظمى لديترويت، ومنذ ذلك الحين صارت مؤسسة فورد تعمل لست أشهر في العام، مما أدى إلى وجود البطالة، أمّا الذي عملوا لسنوات طويلة في المؤسسة فلهم وحسب أقدميتهم حق العودة إلى أعمالهم -عددهم محدد- أي أنّ وظائفهم مضمونة، وهذا طارئ جيد في عدم الثّبات العام في الحياة الأمريكية، حيث وفرت هذه الطبقة اليد العاملة دوماً.

المشاريع

والتي تعني منازل الطبقة العاملة التي بنتها المدن أو الولاية لاستبدال الأحياء الفقيرة، وهي كئيبة عادة، وأكثر كآبة من الأحياء الفقيرة ذاتها، فالأخيرة فيها لمسة من الحياة والبهجة رغم قلتها. أما منازل الطبقة العاملة وحتى تلك التي تم بناؤها في أزمة الصفقة الجديدة The New Deal في نيويورك، وكليفلاند أو ديترويت. فهي تشبه سجوناً من الإسمنت، وإمّا أن تكون مبانيًا مرتفعة أو مُنخفضة لكنّها مُرعبة لسبب مجهول عند النظر إليها. وفي كل بلدة مركز تسوق خاص بها للمؤنة، وذلك لأن الأكشاك التي على طول الرصيف قد اختفت الآن، لكن في ديترويت، وفي منطقة كانت تتكون في السابق من أحياء فقيرة، فهناك الآن تطور في بنيان القطاع الأول من قرية Rohe van Mies الشهيرة، تلك التي بها منشآت عمودية وأفقية

ضخمة وسط الخضرة. لقد زرتها: فيها الآن شقق معروضة لمن يريد تأجيرها أو شرائها. جميعهم حتى الآن يرغبون بالشراء، ولا أحد يريد التأجير. فالأسعار مرتفعة جداً: إنّ تأجير شقة يكلف ٢٢٠ دولاراً في الشهر. إنها باختصار مساكن للطبقة المتوسطة، والمتخصصين والمدراء. أما أولئك الذين عاشوا في الأحياء الفقيرة، فعليهم الآن البحث عن أحياء أخرى في مكان آخر. وكان من بين المشترين بعض السود.

الصورة الفوتوغرافية الكلاسيكية الأمريكية

التي على نافذة الكنيسة لا تحمل تفاصيل خلابة، وهي أكثر مشهد شائع تلاحظه حينما تتجول في الأحياء الفقيرة الي يعيش السود فيها. إن الكنيسة المعمدانية هي كنيسة الفقراء السود، وتفصلها من الداخل حواجز، وأي أسود لديه مهارات تاريخية ودينية ومال، فإن له أن يؤجر محلاً يؤهله لتكون الكنيسة خاصة به.. ويمكنه أيضاً لوي شدقيه تفاصحاً. يرتكز تعبدهم على مبدأ التجديد، واستدرار الدموع واستشعار النّعم الإلهية. منهم من صار من أصحاب الملايين مثل الأب ديفاين أو الآخر الذي توفي مؤخراً.

في منطقة السود الفقيرة - لكن ليست أفقر من شيكاغو- رأيت إعلاناً ضخماً في الشارع مثل إعلانات كوكاكولا، والشبان والشابات المتهندمون هم من السود فقط، ولأنّي كنت أقود السيارة فلم أتمكن من معرفة موضوع الإعلان، ولكن انتهبت في اليوم إلى فحواه: مكتوب «انعم بالرّاحة المثلى» وهو إعلان لمؤسسة تجهيز الموتى. إن إعلانات وكالات الجنازات شائعة جداً في أحياء السود.

المحلات الفقيرة

في أرض الاستهلاك يجب أن يتخلص الناس من كل شيء، ليهرعوا

للأسواق لشراء حاجيات جديدة من أرض الإنتاج. يتعلم المرء هنا وبشكل مفاجئ أن هناك عالماً هائلاً من البضائع التي لا يمكن تخيل أنها ستورّد إلى أمريكا. هناك متاجر ضخمة لبضائع الدرجة الثانية كما في المنطقة الإيطالية في شيكاغو، وهي تعتبر كمتاجر الداون تاون، عدا أن البضائع تنضح بهواء الفقر رغم أنها جديدة. وهناك تجارة كاملة مَبنية على تقليد البضائع والتي ظننت أنها امتياز لشارع أوركاد في نيويورك فقط، يقع ذلك السوق المذهل في الربع اليهودي الفقير، وفيه كل ما لم يعد موجوداً في أي مكان. إن في أمريكا عالم لا يتم التخلص فيه من أي شيء. وهناك سوق كهذا في شيكاغو وهو الآن في المكسيك، وفي السنة السابقة كان الإيطاليون يتحكمون في هذا السوق، لكن أصحاب المحلات المكسيكيين استولوا على المحلات بما فيها من بضاعة وسيضيفون الأشياء المكسيكية وسيواصلون بيع الخردوات الإيطالية القديمة. هناك أيضاً مكتبات للفقراء حيث تباع فيها المجلات والكتب المستعملة، إلى جانب عدد كبير من الكتب المتخصصة وتحديداً في لغات المهاجرين: كالإسبانية، واليونانية، والهنغارية (ولا توجد كتب إيطالية، لأن الإيطاليين المهاجرين لا يعرفون الإيطالية كلغة مكتوبة). إن الخرافة هي القاسم الثقافي المشترك بين تلك المحلات. في ديترويت هناك محل بخور يعرض في واجهته أنواعاً مختلفة من البخور التي تحتاجها الديانات المختلفة، وفيه بخور للشعوذة وطقوس السحر، وفيه صور للقديسين الكاثوليك، والكتب المقدسة، وحيل السحر، وبطاقات اللعب، والمجلات الإباحية. أخبرني سيدني أن المالك كان قد شاهده ذات مرة يتصفحها فطرده من المحل. لعلهم يصنعون تعاويذ المحبة أو جرعات السحر لزبائنهم السود أو الإيطاليين أو المكسيكيين. كما أن هناك محلاً تقرأ فيه غجرية طالع الكف في الربع المكسيكي في شيكاغو.

ليس مميزاً في نيويورك. في كل مدينة هناك شارع محجوز للسكارى وحطام البشر حيث تكون المستودعات والمحلات رخيصة جداً، وفيه مطاعم تسمح لمدمن الكحول الحصول على بطاقة تُمكنه من تناول عدد معين من الوجبات لقاء بضعة سنتات، حتى يضمن طعامه في الأيام القادمة، وليتمكن من الشّرب بالمال المتبقي. ومن الطبيعي أن تمتلئ شوارع كهذه بجيش الخلاص وإرساليات أخرى، حيث يمكنهم البقاء بدفء. أتذكر أنّي كنت في غرفة القراءة في سينت أكوينس في ديترويت، وكانت مكتظّة بالدّاخلين والخارجين، لذا كنت أدّعي القراءة: إن نافذة المكان هائلة الحجم، وكان بإمكاني مشاهدة الشارع في ذلك البرد القارص. «يجب أن تبقي غرفة الاجتماعات مقفلة» قال لي عضو من E.U.، وإلا فإن المشرّدين سيدخلون وينامون على الأرض. إنّ الرّجل الذي يهجر عائلته ووظيفته سيصبح سكّيرا، وهذه ظاهرة منتشرة في الشوارع، حتى بين أولئك الذين هم في الأربعينيات من العمر إنها سرية تدمر الذات.

أبقها سهلة

حَلَلت ضيفاً على بروفيسور الفلسفة اليوم، وهو يعمل الآن كمشغّل موسيقى في الإذاعة (إنه يقدم التّسجيلات ويعقّب بتعليقات ذكيّة بين التّسجيل والآخر)، إنه يجني مبلغاً طائلاً من المال وهو مشهور جداً. كما أنه يكتب، ويغني، ويسجّل الأغاني.

أزمة الفولاذ

مستمرة. إنها أزمة سبّبها المُصنّعين الذي احتاجوا إلى إبقاء الأسعار مرتفعة، حتى الأسهم تضررت، رغم أنها كانت مرتفعة في كل الأوقات.

سيواجه الاقتصاد الأمريكي ركوداً حقيقياً قبل نهاية العام، إن انتهت الانتخابات.

شيكاغو

هي المدينة الأمريكية الكبرى، وفي الحقيقة هي مدينة: منتجة، وعنيفة، وقاسية. تواجه فيها الطبقات الاجتماعية بعضها البعض كقوى معادية؛ يسكن الأثرياء في ناطحات السّحاب على طول ساحل البحيرة المبهر، وخلف الناطحات مباشرة جحيم مخصص للأحياء الفقيرة. شعرت أن الدماء قد جفّت على هذه الأرصفة، دماء شهداء Haymarket (الفوضوي الألماني الذي نشر كتاباً مصوراً جميلاً عن الحادثة. وقد كتب هذا الكتاب رئيس الشرطة)، ودماء ضحايا الحوادث الصّناعية التي ساهمت في بناء صناعات شيكاغو، ودماء رجال العصابات. وفي الأيام التي مكثت فيها هنا، اكتُشِفت قضية فساد الشرطة الشهيرة، والتي أظن أن حتى الصحف الإيطالية قد كتبت عنها. أنا أرغب في المكوث لوقت أطول في شيكاغو، فهي تستحق أن تُفهم بقبحها وجمالها، لكن حتى البرد هنا قبيح، والمرأة التي تعرفت عليها هنا.. تافهة وليست أنيقة (لذا، فهي تناسب شيكاغو). سوف أسافر إلى كاليفورنيا.

يوميات سان فرانسيسكو

٥ فبراير ١٩٦٠

أنت تعرف كيف تبدو سان فرانسيسكو، كلها تلال والشوارع ترتفع بشكل حاد، وفيها كذلك التلفريك النّمطي القديم في بعض الشوارع، إن صوت كشط الأسلاك في الشارع هو معلم مميز للمدينة، تماماً كما يُميز نيويورك الدّخان المنبعث من المناهيل. أنا أعيش قرب Chinatown وهي

أكبر مستعمرة صينية خارج الصين. فيها الآن احتفالات بمناسبة رأس السنة الصينية للفأر. وأغلب البضائع التي في الأسواق صنعت في اليابان. إن المستعمرة التي في سان فرانسيسكو هائلة العدد، وفي هذه المدينة مزيج من البشر البيض والصفر الذين يبدون كما ستبدو المدن خلال خمسين إلى مئة سنة من الآن. إن المكسيكيين الهنود يفوقون السود عدداً، وللإيطاليين ناحيتهم في Beach North قرب Chinatown، لكنهم أغلبهم قد انتقل من هنا، ورغم أن المنطقة لا تزال مليئة بالمطاعم الإيطالية والمحلات إلاّ أنها أصبحت منطقة لشباب البيت جنيريشن. والأسماء والكتابات على واجهات المحلات هي بالإيطالية: وكما تعلم فإن الإيطاليين الذين في سان فرانسيسكو هم من ليغوريا، وتوسكانا، والشماليون. لذلك فإن الجيل القديم يتقن اللغة الإيطالية، على عكس الإيطاليين الذين وُلدوا في نيويورك، فهم لم يتعلموا الإيطالية ولم يتعلموا الإنجليزية كذلك، فظل كلامهم غير مفهوم لقرون عديدة. إن للإيطاليين المقيمين هنا أسماء عوائل معروفة أيضاً في إيطاليا، وهم ينتمون إلى إيطاليا أخرى لم تُعرف في تاريخ بلدنا، حتى وجوههم لا تشبه وجوهنا (لا يشبه الإيطاليون إلا أنفسهم في نيويورك). وفي هذه المنطقة المأهولة بالصينيين، والإيطاليين وشباب جيل البيت، واللاتينيين.. هناك كمٌ هائلٌ من النشاطات في الشارع في المساء، وهذا أمر غير اعتيادي في أمريكا. لقد وضع مقهى الإسبريسو بعض الطاولات الصغيرة والكراسي على الرصيف كما لو كنا في باريس أو روما. علِمت لاحقاً أن هذه النشاطات تكون في مساءات يوم الجمعة، والسبت، والأحد فقط، أما في باقي الليالي فهي مغلقة ومهجورة.

اتحاد Longshoremen

من البديهي أن أول ما فعلته هو زيارة Bridges Harry – سكرتير

ILWU- اتحاد عمالة الميناء وهو الإتحاد اليساري الوحيد المتبقي بنفوذ في أمريكا. وهو يشتهر بلقاءاته مع Khrushchev. (وكما تعلم فالـ ILWU هو اتحاد الساحل الغربي. إن اتحاد Lonshormen تديره عصابة: تَذَكّر the On Waterfront). لم يكن Bridges مثيراً للاهتمام، إلا أن بعض زملائه كانوا كذلك. صار عمال الميناء في سان فرانسيسكو العمالة الأرستقراطية النمطية ويعود الفضل في ذلك إلى العضلات الصناعية لاتحادهم. إنهم يجنون ٥٠٠ دولاراً في الشهر، وهو أجر لا يناسب قوى عاملة غير ماهرة. إن تصميم مراكز عملهم الهندسي ليس جميلاً، لكنه مثير للاهتمام، ويستلزم تحميل أو إفراغ السفن فرقاً مجندة للعمل ليلاً أو نهاراً، بعدها يصل العمّال، كل منهم في سيارته الفارهة التي يركنها في الحديقة على العشب. ثم يُقْبلون وهم يرتدون بدلات العمل كل بلون مختلف، إنّها ملابس جديدة ونظيفة. هنالك كثير من السود والإسكندنافيين. وإذا ما أنهى أحدهم نوبته، فإن عليه أن يخبر الاتحاد عن عدد ساعات عمله في ذلك اليوم، وذلك لكي تكون لوائح العمل في الاتحاد مُحدّثة على الدوام، ولتكون عدد ساعات العمل مُنظّمة على مدار الأسبوع. ومتى ما استلزم عَمل ما عُمالاً، فإن الإتحاد يختار الذين عملوا لساعات أقل، وفي نهاية العام يكون الجميع قد عَمل بنفس ساعات العمل تقريباً. ويتم تسجيل كل ما سبق ذكره في نظام رقمي يظهر على شاشات مضيئة، ويُعلن عنها عبر مكبرات الصوت، وهو نظام يشبه المراهنات في سباق الخيول أو الآلة الحاسبة في سوق الأسهم. يُقبل الكثيرون على وظيفة عامل في ميناء سان فرانسيسكو، كما يُقبل الكثيرون على وظيفة مدير طاولة قمار في سان ريمو. لقد تلقى الاتحاد أكثر من عشرة آلاف طلب لشغل الشواغر، ولكن تم اختيار سبعمئة شخص فقط. تكشف الإحصائيات بشكل واضح عما يعنيه تزايد الطبقة العاملة في أمريكا، حتى في منطقة

مليئة بالإيجابيات مثل كاليفورنيا حيث ليس للفقر فيها وجود. ويكون الاختيار طبعاً بناء على القوة الجسمانية والعمر: أغلب الرجال العاملين في لونغشورمن هم عمالقة. وتفتخر المؤسسة بالنتائج التي حققتها جرّاء اتباع هذه الشّروط الصّارمة، ويجدر باتّحادات التّجارة الأوروبية دراستها. لقد ناقشني أحد رجالات الاتّحاد عن شح العراك بين اتحاديّ فرنسا وإيطاليا، فرغم الوعي السياسي الذي تفتقر إليه الطبقة العاملة في أمريكا، إلا أنهما لم يتمكنا من إدارة الصّدمات الاقتصادية للحصول على نتائج الاتحادات الأمريكية الرائعة (ويمكننا أن نضيف أنهما لم يتمكنا من الذود عن مبادئهما السياسية).

النادي

أيمكن أن يكون سر فرانسيسكو هو كونها مدينة الأرستقراطيين؟ ذهبت بصحبة كاتب معتّق في التاريخ المحلي إلى غداء في النادي البوهيمي. وهو أول نادٍ أراه على طول القطاع الإنجليزي في أمريكا. كل شيء بدءاً من الجدران، وصالات اللعب، واللوحات المعلقة، وبورتريهات الأعضاء المشهورين، وصولاً إلى المكتبة.. يعود إلى بداية القرن ويشبه تماماً النوادي المحافظة في لندن والتي شغفت بها حباً. وأتأثر بشدة عندما ألمح شيئاً من حضارة الأنجلو ساكسون في هذا البلد المليء بكل الحضارات التي هي أبعد من إنجلترا. كان هذا نادياً للكتاب والفنانين قبل ثمانين عاماً، كما يوحي اسمه، وكان مليئاً بمتعلقات جاك لوندون، وأمبروس بيرس، وفرانك نوريس، وحتى ستيفنسون وكيبلنغ اللذين عاشا في سان فرانسيسكو. عاش الأول فيها وقتا طويلاً، أما الثاني فقد أقام فيها لبضعة شهور. وكان مارك توين صحفياً هنا أيضاً عندما كان لا يزال يعرف باسم Clemens Samuel. لعلّ أغلب الأعضاء يبلغون ستين عاماً الآن، لقد لاحظت أن في ملامحهم

شيئاً إنجليزياً: لعل بعضهم ينحدر من أنجلو ساكسون - سان فرانسيسكو. فهل تعتبر سان فرانسيسكو نقطة تجمع النّخبة فعلاً؟ وينشر النّاشرون في سان فرانسيسكو كتباً محددة، فنادي قراءة كاليفورنيا ينشر أعداداً من الأدب الكلاسيكي مثل دار Tallone في إيطاليا، على سبيل المثال: نشر مجموعات رسائل الحرب الأهلية مع إعادة إنتاج الرسائل المخطوطة، وهي طريقة جديدة مذهلة لعرض كتب التاريخ من خلال تضمين نسخة معاد إنتاجها في كتاب. ويمكنك أن تجد في سان فرانسيسكو آلات الكتابة التي استخدمتها دور النشر في نيويورك. حتى الإيطاليين يمتلكون خصائص النخبة عند مقارنته بالتجمعات الأخرى في أمريكا. لا يوجد اختلاف كبير في مستوى النوادي الإيطالية التي في نيويورك عن Il Cenacolo الذي تناولت في الغداء.

Zellerbach

بالقرب من الفندق الذي أقيم به ناطحة سحاب جديدة ورائعة. إنها تضم مكتب رئيس زيلرباخ للمطبوعات الورقية. وزيلرباخ هي عائلة يهودية عاشت في سان فرانسيسكو قبل **The Gold Rush** حمى الذهب - تستخدم سنة ١٨٤٩ للمقارنة بين كاليفورنيا قبل هذا العام وبعده - وهم من اليهود الذين لم يخالطوا موجات التي تلت هجرة اليديش الشرقيين والوسط - عددهم قليل في **Calif** - كما أنهم يمثلون أرستقراطية خاصة بهم.

Ferlinghetti

يعتبر لورنس فيرلنغيتي (واسمه - كما تعلم ! فيرلنغ، لكنه أضاف المقطع الأخير لعشقه للإيطاليين، والسود، والناس البدائيين وغيرهم) هو أذكى شعراء جيل البيت (وهو الوحيد الذي يملك حساً فكاهياً: وتشبه قصائده قصائد جاك بريفير قليلاً ، كما أنه لم يغادر سان فرانسيسكو من أجل

نيويورك. لكنه الآن في رحلة إلى تشيلي، مما يعني أني خسرت الدّليل الذي يعرف أهم أسرار هذه المدينة، كما فقدت ألجرين كدليل في شيكاغو تماماً. يمتلك فيرلنغيتي مكتبة اسمها Lights City The، وهي أفضل مكتبات سان فرانسيسكو. وهو يبيع الكتب الورقية جملة، كما تفعل Discovery وهي مكتبة أخرى في شارع كولومبوس. وعلى الرغم من ذلك، فإن الكتب غالية الثمن: إضافة إلى أن هناك كتب منتشرة جداً - عناوين تجارية غالباً - تباع بـ ٣٥ أو ٥٠ سنتاً. هناك تنوع هائل في عناوين الكتب الثقافية الورقية والتي تكلف دولاراً ونصف أو دولاراً إلا ربع أو دولارين وهي بذلك تقارب في ثمنها الكتب ذات الأغلفة السميكة - عدد الكتب الكبير، يعكس عدداً هائلاً من العناوين والاهتمامات الذكية). لكن الناس سيشترون الكتب ذات الأغلفة الورقية حتى ولو كانت مكلفة.

الأقاليم

لا تختلف الحياة فيها عن الحياة في نيويورك، كما لا يختلف تركيبها عن التركيب الإجتماعي للمدينة. لكنك تشعر هنا في الإحتفالات شيئاً من الجو القروي الأصيل: مع ملاحظة أنّ الثرثرة هنا لم تعد ثرثرة نيويورك، إنها تصريف قروي. هذا حقيقي بالنسبة للعالم الصغير والجنة الصناعية لبروفيسورات جامعة بيركلي، كل منهم يعيش في قصره الفخم: وهي تكوّن صفاً على امتداد الشوارع الطويلة التي تصعد الجبال. الجو ليس قروياً بل إستعمارياً، فنحن على الهادي.

حقيقة أغرب من الخيال

اخترت هذا الفندق بعد استكشاف سبعة أو ثمانية فنادق أخرى. إنه يناسبني من ناحية السعر، والنظافة، والموقع، أي لم ينصحني به أحد. وبعد يومين اكتشفت أن ثلاثة من رفاقي أوليبه، وكلاوس، ومجِد يمكثون فيه،

وكلا منهم كان قد وصل في وقت يختلف عن الآخر. لقد اخترنا نحن الأربعة ذات الفندق من بين آلاف الفنادق الصغيرة والمتشابهة في هذه المنطقة.

النّصب التذكاري

أتجنب دائماً في هذه اليوميات أن أصف أي مناظر الطبيعية، أو نصب تذكاري، أو رحلات السياح في المدينة. لكني يجب أن أكتب عن هذا. خلال التجول في الحديقة.. قرب البوابة الذهبية **Gate Golden**، وجدت نفسي فجأة أمام بناء ضخم من العصر الكلاسيكي الحديث، وكان محاطاً بأعمدة انعكست صورتها على البُحيرة.. بناء أبعاده متماثلة، وعليه أثر نباتات متسلقة وأخرى نبتت داخله. وهذا الأثر الضّخم مصنوع من الورق المُعجّن تماماً ومطوي بعناية فائقة، كان له تأثير سيريالي ومرعب، حتى أن بورخيس لم يحلم بشيء مثله. هو في الواقع قصر الفنون التشكيلية. وقد تم بناؤه لمعرض **PanAmerican** في عام ١٩١٥. وبسبب بشاعته، نسى السياح مطوياتهم، ويُذكر في المطويات أنه أحد أفضل التصميمات الهندسية في أمريكا، ولعل هذا صحيح. يجسد هذا المعلم حلم الثقافة في عيون ١٩١٥ مليونير أمريكا، والبناء في الوقت الراهن مشيد في مكان يوضح انتقال أمريكا البربرية إلى الإنحطاط دون وسط بينهما. لقد قررت فرانسيسكو المهتمة به إعادة من الأحجار مع الاهتمام بكل المساحات المزينة بالمنحوتات البارزة في الرخام، لأن البناء كان آيلاً للسقوط. لقد تبرعت ولاية كاليفورنيا بخمسة ملايين دولار، وتبرعت البلدية بخمسة ملايين أخرى، وتبرعت غرفة التجارة بخمسة ملايين لإعادة بنائه. أما الملايين الخمسة المتبقية فسيتم تحصيلها من العامة.

Sausalito

الهواء بارد في الصيف هنا، ورغم خط العرض والغطاء النباتي - أشجار

الكستناء والخشب الأحمر - والبحر الرائع ومناطق الغابات قرب سان فرانسيسكو، إلا أنها لا تشبه دول البحر الأبيض المتوسط، لأن الألوان مختلفة، والغيوم دائمة، والسماء ممطرة، والضباب يومي، حتى أنها لا تشبه تلك الأيام الكئيبة في ليغوريا سانتا مارغريتا، بل تشبه ألوان مضيق بحري إسكندنافي. أو ألوان بحيرة ساوساليتو والتي بها قرى سياحية كثيرة ويخوت البحرية. تعتبر ساوساليتو إحدى المدن التي صارت لها صبغة ثقافية؛ وهي مليئة بالمتاجر، ويسكنها الكتاب، والرسامون، والشواذ، إنها مثل أسكونا.

البروفيسور

كأي كاتب شاب تقريباً، يُدرّس مارك هاريس الكتابة الإبداعية في جامعة Francisco of Collage State The (لقد قرأنا ولكننا رفضنا نشر روايته الفكاهية Stupid ,Up Wake قبل عدة أشهر). هو متمرس في لعب البيسبول، ولديه ثلاث روايات عن البيسبول. يقول هاريس أحياناً بعض الأشياء الغبية عندما يتحدث عن الأدب الأمريكي، وعن صعوبة كتابة أدب في مجتمع مزدهر لم تكتشف مشاكله بعد. وهو بالتأكيد لا يمتلك أي معلومات عن الآداب الأوروبية.. عن أي معاناة حدثت أو عمّا يحدث وراء المحيط الأطلنطي، لا لأنه غير مهتم: فهو ينصت باندهاش لأي معلومة بديهية قد تذكرها أمامه. وهو لا يعلم أن كانت هناك حرب أهليّة في إسبانيا. (قرأ هيمنغواي بالتأكيد، ولكن بالطّريقة التي نقرأ بها عن الحروب بين المَهراجا في البحار الجنوبية). أما بروفيسور الفلسفة في نفس الجامعة فلم ألتق به ولكن مجد فعل، ولا يعرف هذا البروفيسور أي فيلسوف غير ويتغنستاين. أما في فلسفة هيغل، فلا يعرف إلا أنها ميتافيزيقية وأنها لا تستحق أن يكلف نفسه عناء دراستها، أما فيما يخص هايدغر وسارتر فهو يقول إنهما إنشائيان وليسا فيلسوفين.

Spagna Mario – ويلفظ (سباغ– نا)، ويعرف أيضاً كـ سباغ – تنحدر عائلته بالأصل من **Ivrea'd Castelfranco** (لكنه لا يتقن اللغة الإيطالية، ولا يعرف منها إلّا مجرد كلمة بسيطة بلهجة **Piedmontese**). اصطحبني بسيارته لنتجول في المنطقة، وكنت قد تعرفت عليه من خلال جاره مارك توريس على أنه أمريكي نمطي ومميز. لقد تقاعد ماريو مبكراً في عمر الخمسين من شركة Oil Standard كي يُهذّب روحه. إنه يكتب الرسائل إلى رجال الكونغرس والسيناتورات فقط. وهو يقرأ الصحف ويقتطع منها ما يخص رجال البرلمان المحليين ويسدي إليهم النصائح. لقد كتب أيضاً مقالاً نُشر بعنوان 'Mirror the Facing'، وفيها يحث الشباب على النظر لأنفسهم في المرآة ليرتقوا بوعيهم دون غرور. لقد أمضى بضع سنوات وهو يعمل على مشروع مَعْبد السّلام والجمال، وذلك ليتم بناؤه على منحدرات Mount Timalpais، والذي يجب أن يكون مكان حكومة العالم للولايات المتحدة برأيه.

شَيّده بنفسك

لم أركز في يومياتي أبداً على حقيقة أن كل الحياة الأمريكية، وكل الحياة الإجتماعية النّشطة جداً، تدار دون أي خدمة موظفين، وأن المنازل الأمريكية تشيّد دائماً بمهارة عالية وحماسة، فهم يطلون الحوائط، ويركّبون السلالم، ويقومون كل أعمال النّجارة إلخ، بأنفسهم، بسبب عدم وجود أجرة عمل محددة لهذه الوظائف. إن منزل البروفيسور (توني أو) – الذي يعمل جامعة بيركلي – جميل وأنيق ولقد بناه بنفسه. بدءاً من أساس الخشب وانتهاء بسقف القرميد، وهو ليس الوحيد الذي قام بذلك. وأن تبني منزلاً لنفسك يعني لكثير من مثقفي الطبقة المتوسطة والمُكتفية أن تبنيه بكلتا يديك حَرْفياً.

تعتبرN.M.M ثالث أشهر الأخوات الإنجليزيات، و اللاّتي كن جميلات في أيامهن. كانت إحداهن عشيقة هتلر، والأخرى زوجة أوسوالد موسلي، قائد الفاشية الإنجليزية. أما هذه فهي شيوعية، كانت زوجة ابن نيفيل شامبرلين، والذي توفي وهو يقاتل مع الجمهوريين في إسباني، وهاجرت بعد ذلك إلى أمريكا حيث أصبحت ناشطة في كل التجمعات الديمقراطية ومناهضة للعنصرية.

العلاقات العامة

لم أتمكن من قراءة البروشور الذي أعطاني إيّاه السيد سي (رجل علاقات عامة)، عن وكالته إلاّ الآن، وعلى الباص المؤدي إلى مزرعته في Vel- Moon ley (عن ذاكرة London Jack) حيث دعاني لقضاء يوم الأحد. يا إلهي، أي نوع من المستضيفين هو. لقد تم تصويره هنا مع الكاردينال سبيلمان - صديقه الجيد- وقد هنأه الكاردينال على المَهمّة التي أنجزها لصالح الدولة لإنقاذ البرازيل من الشيوعية (والفضل يعود لمبادرة السيد سي «لقد ارتدّت الموجة على الشيوعيين خلال عام واحد»). وفي مكان آخر يُعرّف البروشور العلاقات العامة التي يقوم بها فريق عمل السيد سي نيابة عن تحالفات متعددة وأحياناً لصالح الدولة: «إنّ أحد أفرع العلاقات العامة هو عملي على خلق الأخبار ونشرها، وكذلك أقوم بالنقيض تماماً لمنع أو تقليل تأثير الأخبار السيّئة.» نحن في قلب أمريكا هنا: في التعريف عن نفسه بهذا الانفتاح سذاجة توازي سذاجة الترويج للاتحاد السوفيتي. توقعت مساءً غير مريح تتخلله النقاشات السياسية. لكن لم يحدث ذلك: وجدت أن السيد سي في حياته الخاصة هو رجل حساس، ومنطقي، وكتوم في كل من منزله الذي بناه بنفسه تماماً والمليء بالزينة المكسيكية الرائعة، ومزرعته التي يعتني بها دون

قوة عاملة (هناك عدد قليل من عمال الكروم في المنطقة: كما هو معروف، ولم يعد هناك فلاحون في أمريكا، عدا أولئك الذين يعملون في الجنوب. كان على أحد جيرانه الذين امتلكوا مؤسسة للنبيذ جلب أحد العمال من فرنسا ليشذّب الكروم). لقد أعطاني كتاباً كَتبه عن المكسيك لأقرأه. في الكتاب تحليل نقدي جاد ومنطقي عن الكنيسة المكسيكية، إلى جانب الخطاب المعتاد عن معاداة الشيوعية في الإعلام الأمريكي، وتبقى الحوارات عن المواضيع الأوروبية والأمريكية السياسية على مستوى من الليبرالية والمنطقية. وهو قلق أيضاً من تقدم الكاثوليكية («ماذا عن صديقك الكاردينال سبيلمان؟».. «حسناً، إنه رجل صالح، لكن الكهنة الآخرين...»). لكنه لا يعتمد على الشيوعية (بعيداً عن السؤال الحتمي عن موقفي من الشيوعية الإيطالية الذي يسأله جميع الأمريكيين): في علاقاته العامة خصائص دقيقة وبارعة. والطعام الذي أعده مع زوجته المعمارية فوق النار مباشرة، هو أفضل ما تذوقت في رحلتي كلها.

حفل بيتنك

لقد دعيت إلى حفل جيل البيت. كانت هناك مداهمات في الآونة الأخيرة للقضاء على تجارة الماريجوانا، ولهذا هناك شخص يحرس الباب دائماً تحسباً لوصول الشرطة - كانت هناك اعتصامات في الشوارع ضد الأنظمة الفاشية ولتأييد إلغاء تجريم المخدرات - إن النبيذ الرديء هو الشراب الوحيد في هذا المنزل، ولا يوجد كراسي، ولا مكان للرقص، وهناك سود يقرعون الطبول، والمساحة ضيقة، وهناك بعض الفتيات الجميلات، لكن ألطفهن هن سحاقيات غالباً، وعلى أي حال، لا يمكنك التعرف على أي شخص، لأنه لا توجد نقاشات. إن مدمن المخدرات المحترم والنظيف الذي يرتاد حفلات مشابهة في نيويورك، هو في حال مزر وقذر هنا، ويتجول مروجاً

للهروين أو البنزندرين. وباختصار، حفلات البرجوازيين أفضل، فعلى الأقل هناك مشروبات جيدة (نسيت أن أذكر أن من بين الحضور Graham Greene والذي يعيش الآن في سان فرانسيسكو، لكنّي لم أتمكن من رؤيته).

Rexroth Kenneth

هو بالتأكيد أنبل رجل التقيت به في أمريكا: لا أعرف شِعره لكنه ترك انطباعاً رائعاً فيّ - لقد كتب عشرين كتاباً شعرياً تقريباً وبضعة كتب عن النقد، إضافة إلى الكثير من الترجمات الكلاسيكيات والشعراء الآخرين - وهو عضو قديم في الاتحاد النقابي- الفوضوي، وقد عمل كمنظم لاتحاد التجارة لسنوات عدة. إنه عدو الجميع، وبين الحين والآخر ينفجر في نوبات ضحك مزرية. وأهدافه المفضلون هم الشيوعيون والتروتسكيون السابقون في مجلة Review Partisan.[1] إنّ كينيث رجل كبير في السن ووسيم ولديه شارب أبيض، كما كان ملاكماً في شبابه. لقد استقبلني وهو يرتدي سترة محارب قديم وقميص رعاة بقر. إنه متفائل بشأن المستقبل: رغم أنه لا توجد أي حركات أيديولوجية أو سياسية أو تطور تقني أو غيرها التي من الممكن أن تجلب شيئاً جديداً هنا. وعلى أي حال، حتى وإن فاز هتلر، وإن قتل كل معادٍ الفاشية، وحتى إن حرقت كل الكتب... إلخ، فإن التاريخ سيبدأ من جديد من الصفر، وسيعيد نفسه. إنها مسألة وقت. لكن ما هي التجمعات الجديدة، والقوى، والميول التي ستسمح لنا بتكوين فكرة عن أمريكا الغد؟ إنه سؤال سألته للجميع دون أي نتيجة تذكر. وقد سألته إياه أيضاً. إنه يقول إنه يقابل جيلاً جديداً غير متبلور في الجامعات حيث يذهب لقراءة الشعر، لكنه متعدد الإهتمامات وحماسه ثورة. إن جيل البيت ظاهرة سطحية، إنهم مرتزقة Avenue Madison. لكن الجيل الحقيقي يوجد في

1- مجلة تأسست عام 1934 وتوقف إصدارها عام 2003. (المترجمة)

الجامعات. وهناك أيضاً حركة السود في الجنوب، ولوثر كنج قائد أسود وهو في غانا الآن (هناك الآن علاقة مثيرة للاهتمام بين حركة السود والولايات الإفريقية الجديدة: إنها أقاويل سمعت الناس يرددونها في نيويورك، ولم أتمكن من مقابلة جيل الجامعة الجديد والمشهور هذا، على الأقل ليس بأي طريقة مميزة). وقد حدثني ركسروث أيضاً (باحترام) عن مجموعات من الفوضويين الكاثوليكيين، وحركة دوروثي داي التي سمعت بها في نيويورك، حيث تنشط، تنشر مجلة تشبه Témoignage Chrétien. ومن أعضاء هذه المجموعة هو كاتبنا J. F. Powers شاعرنا Antoninus Brother والذي يشبه بالنسبة لي أبونا Turoldo. إن ركسروث يكتب سيرته الذاتية، وهو يقول إنها سترجم في أوروبا لأنه قد فعل كل الاشياء التي يتوقع الأوروبيون أن يفعلها أمريكي. وهو يعمل الآن كناقد أدبي في إذاعة سان فرانسيسكو (تمتلك سان فرانسيسكو إذاعتها المستقلة وهي جيدة، حرة وتقدم تغطية جيدة للأخبار العالمية. إنها مصدر المعلومات الوحيد هنا، لأن صحف سان فرانسيسكو رديئة، أما صحيفة The New York Times فتصل متأخرة ثلاثة أيام. لقد عشت وما زلت أعيش في هذه الأيام النّكبة الفرنسيّة منقطعاً عن أي مصدر للمعلومات عدا التغطية الضعيفة في الصحف المحلية المهووسة كلها بجريمة فينش).

السّنة الصّينية الجديدة

كنت أتطلع لرؤية موكب نيويورك، ظناً أنه سيكون مهرجاناً عظيماً فيه التنانين الشهيرة، لكن خاب ظني (في الليلة الماضية، ٥ فبراير). كان هناك موكب للبحرية العسكرية، مر فيه السياسيين في ليموزين، ثم رؤساء المجتمعات الصينية الذين لديهم نفس أفراد العصابة، - نظرتهم فاشية كرؤساء المجتمع الصيني - واصطف الفتيان كما يصطف الشباب في حركة

موسوليني للشباب والمنظمات المشابهة. إن التجمع المناهض للشيوعية، وعدد من الشباب كلهم مُأَمْرَكون. وفي نهاية الموكب كان هناك تنين، طويل جداً وجميل، ولكن لم يكن هناك شعور بالعفوية المعتادة، بل كان هنالك جو إمبريالي أو إن شئت تسميته بالفاشية الأمريكية والتي أراها لأول مرة في رحلتي. (أخبرتني مصادر أخرى عن روح أخرى في تشاينا تاون: إنهم يعرضون الأفلام التي تم إنتاجها في Formosa أو هونغ كونغ في السينما الصينية، ويبدو أنهم كانوا قد عرضوا أفلاما أنتجت في الصين الشيوعية على مدار شهرين متتاليين، قبل أن يفطن الأمريكان لذلك).

بإيجاز

توقعت الكثير من سان فرانسيسكو، وسمعت الكثير عنها، وبما أني قد قضيت أسبوعين هنا، وسأغادر الآن - كنت أنتظر زملائي لنغادر في سيارة مع بعضنا ! لا يمكنني أن أقول أنني بتُّ أعرف أكثر مما كنت أعرف قبل الرحلة؛ ربما يجب أن أعرفها بشكل أفضل.. وربما لأنّي لست مهتماً بمعرفتها أصلاً. إن الحياة رتيبة هنا، لم ألتقِ أي شخص مميز - بغض النظر عن ركسروث - ولم أنجح مع أي امرأة (لا لأنّ المدينة جشعة بكنوزها، لكن الأمور آلت إلى هذه النتيجة، لعلي أدخل الآن في دوامة هابطة). ومنذ مغادرتي نيويورك لم أسمع إلا الانتقادات السلبية عنها، كما ننتقد روما تماماً (رغم الاختلاف الكبير بينهما)، لكن المقارنة مبررة. وبالرغم من ذلك، تبقى نيويورك المكان الوحيد الذي شعرت فيه أني في المركز وليس في الهوامش، في الأقاليم، ولهذا أفضل رعبها على جمالها الأخاذ، عبوديتها على حرياتها والتي تبقى محلية ومحددة جداً، والتي لا تمثل النقيض الأصيل.

٢٠ فبراير، لوس أنجيلوس

مذكرات سائق سيارة

لقد غادرت سان فرانسيسكو في السابع من فبراير مع أوليفيه وبينجنت وكلاوس في سيارة فورد استأجرناها إلى نيويورك. كنا نتبادل الأدوار في القيادة وهي ليست صعبة، ولكنها مجهدة قليلاً لأن السيارة لا تثبت بشكل جيد على الطريق. إن نظام القيادة المتوازي أفضل وأقل خطورة من الحارة اليسرى في إيطاليا، وعندما يضيق الشارع ليصبح حارتين في كلا الاتجاهين فيكون التخطي عملي كما في إيطاليا. لكن المشكلة هي البقاء الدائم بين الحارتين، وإذا غيّرت حارتك، فيجب أن تتأكد ممن سيأتي من خلفك. أما حدود السرعة فهي صارمة ويجب أن يُلتزم بها لأن سيارات الشرطة موجودة على الدوام ودراجات نارية بها رادارات. إن حدود السرعة في المناطق المزحومة هي ٢٥ أو ٣٥ ميلاً في الساعة، بينما تكون السرعة بشكل عام ٦٥ ميلاً في الساعة. سيارتنا ليست أوتوماتيكية - فقط السيارات باهضة الثمن أوتوماتيكية - مما يعني أنه لا بأس بها على الطرق السريعة المفتوحة، وأنها مريحة جداً لأنك لن تضطر إلى تبديل ناقل الحركة (الجير) عند الوقوف أمام الإشارات الضوئية الكثيرة في لوس أنجلوس. هناك مشكلة عويصة في ركن السيارات أيضاً؛ لقد ركنّا السيارة في منطقة يمنع ركن السيارات فيها لدقائق معدودات، وعند عودتنا لم نجدها: لقد سحبتها شاحنة مسطحة صغيرة وأُجْبرنا على قضاء نصف اليوم ونحن نحاول استعادتها من كراج يستخدم لهذا الغرض. وكل النظم التي من شأنها العمل على انسيابية المرور سريعة جداً: كنت عائداً مع صديق لي من حفلٍ مبهجٍ ذات ليلة، فتوقفت السيارة عن العمل في طريق منقطع، وكان الجو ماطراً، لكنّنا جرينا إلى الهاتف

العمومي، وهاتفنا خدمة الطوارئ، وعندما عدنا إلى السيارة، وجدنا شاحنة قد سبقتنا وبدأت بسحب السيارة.

ليس بالضرورة أن يكون كل ما يقوله الآخرون صحيحاً

إن الطريقة الوحيدة لرؤية أمريكا هي عبر استخدام السّيارة. وبغض النّظر عن حقيقة استحالة ذلك نظراً لمساحتها الهائلة، إنها طريقة مملّة. بعض الأشياء الخارجية على الطرق تعطيك فكرة كافية عن البلدات الصغيرة، وحتى عن قرى أمريكا التي تشبه قرى حوض المتوسط، بضواحيها الممتدة على طول الطريق السريعة، كما تعطيك فكرة عن القذارة البائسة، وكل تلك المباني المنخفضة، ومحطات الوقود أو المحلات الأخرى التي تبدو مثلها، وألوان الكتابة على لافتات المحلات، عندها ستدرك أن ٩٥٪ من أمريكا هي بلد قبح، وقمع وتشابه، وملل قاتل. ثم مررنا بمناطق مهجورة لساعات وساعات، كتلك التي عبرناها وسط الغابات وسواحل كاليفورنيا، هي من بين أكثر الأماكن جمالاً في العالم بلا شك، لكن ستفقد الاهتمام بها، ربما لغياب العنصر البشري. وأكثر أمر ممل عند السفر عبر السيارة هو قضاء المساء في إحدى تلك القرى الصغيرة والمجهولة، حيث لا يوجد شيء لفعله عدا التأكد مما قيل لك عن الضجر الذي سينتابك في البلدات الأمريكية، بل إنه أسوأ. تفي أمريكا بوعودها: هناك حانة جدارها مزيّن بتذكارات صيد الأيائل وغزلان الرنة. وفي الحانة العامة هناك مزارعون يرتدون قبعات رعاة البقر ويلعبون الورق، ومومس سمينة تغوي صياداً، وسكّير يحاول بدء عراك. لا توجد هذه القذارة فقط في القرى الصغيرة المجهولة، بل أيضا في أماكن قضاء الإجازات الشهيرة مثل Monterey و Caramel بشكل أكثر إغراء. من الصعب إيجاد مطعم يقدم العشاء في هذا الموسم الميّت حتى في تلك الأماكن.

حيث يعيش الكُتّاب، لن أعيش وإن دفعت لي. لا يوجد شيء لفعله غير الشرب. هناك فتى يدعى دينيس ميرفي أو شيئاً من هذا القبيل، والذي كتب رواية The Sergeant الأكثر مبيعاً والتي ترجمت ونشرتها دار Mondadori في سلسلة Medusa – استلم للتو نسخة منها وأراني إياها، مقتنعاً بأن Man-dadori هي دار صغيرة – يصل صباحاً وقبضتا يداه مجروحتان. أما في المساء فهو يسكر ويكسر نوافذ منزله بقبضتيه. أما بالنسبة لهنري ميللر الذي يعيش في Sur Big، فنحن نعلم بالفعل أنه لا يستقبل أي زائر لأنه يكتب. لقد تجاوز هذا الكاتب الكهل السبعين عاماً، وقد تزوج مؤخراً، وزوجته الجديدة تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، ولهذا فإنه يكرس باقي طاقته للكتابة، كي يُنجز الكتب التي لا يزال يود أن يكتبها قبل أن يموت.

فنادق لكبار السن

يتجنب أصدقائي الموتيلات لأنهم مقتنعون بأن تكلفتها عالية – قناعة جانبت الصواب – فآل بنا الأمر للإقامة في فنادق صغيرة وقذرة ومليئة بالبراغيث. وأكثر ما يميز هذه الفنادق هو إقامة كبار السن فيها، حيث يمضون أيامهم في الردهة ليشاهدوا التلفاز. تعتبر كاليفورنيا ملجأ العَجزة الذين صاروا وحيدين من كافة أرجاء الولايات المتحدة؛ إنهم يأتون ليمضوا سنواتهم الأخيرة في مناخ معتدل معتمدين على مدّخراتهم. وأغلب نزلاء الفنادق في نيويورك هم من كبار السن أيضاً، وتحديداً من النساء.

الهادي

محيط مختلف تماماً، فأشرطته الساحلية الصافية لا تتكون من الصخور بل من الطين، وهذه الموانيء حواجزها الخشبية. أما الغطاء النباتي البحري

مختلف تماماً؛ ترمي الأمواج على الشاطئ أعشاب بحر لها ملمس خشبي لكنها مطواعة كالسوط، ويبلغ طولها ثلاثة أو أربعة أمتار، ودعجاء الرأس، حتى أنه يمكنك أن تجلد خصمين بأعشاب البحر هذه. وتحت سطح الماء مباشرة وعلى الشاطئ لا توجد رمال أو صخور، بل كائنات بحرية مسامية تتنفس. إن قاع البحر حي، ويتكون من كائنات عُضوية مفتوحة الأعين، تتمدد وتنقبض مع اهتزازة كل موجة. أما في الأيام المشمسة فتعلو المحيط طبقة من البخار والضباب.

لوس أنجلوس

أخبرني الجميع فور وصولي إلى أمريكا أن لوس أنجلوس مريعة وأنّي سأكرهها، وسأحب سان فرانسيسكو أكثر. وفي الحقيقة، ازددت حماساً فور وصولي: نعم، إنها المدينة الأمريكية.. المدينة المستحيلة.. إنها هائلة المساحة، وهي تناسبني بما أني لا أستمتع إلا بالمدن الكبيرة. إنها بحجم مساحة ميلانو وتورين مجتمعتين، وهي بعيدة مثل كومو شمالاً، وفيرسيللي جنوباً. لكن جمالها معتدل. وبين المقاطعة والأخرى - تسمى مدينة رغم أنها عبارة عن مساحة لا نهائية من المنازل الكبيرة والصغيرة- هناك جبال ضخمة ومهجورة عليك أن تعبرها للذهاب من أحد أطراف المدينة إلى طرفها الآخر، وتسكن هذه الجبال الغزلان وأسود الجبال أو طيور البوم، وفي البحر هنالك شبه جزيرة وأحد أجمل شواطئ العالم. لكنها مدينة هشّة، وجامدة، ولا توجد فيها نصب تاريخية أو ملامح غريبة، إنها لا تشبه سان فرانسيسكو والتي أظن أنها المدينة الأمريكية الوحيدة التي لها «شخصية» أوروبية: يمكن للجميع حب سان فرانسيسكو، ولا مشكلة في ذلك، لكن لوس أنجلوس هي المشهد الأمريكي الحقيقي، وجدت هنا سمة منتشرة جداً لا توجد في كاليفورنيا، لكنها ترتبط بالمدن الصناعية الكبيرة والتي مساحتها كبيرة.ولكن بعد أربعة أيام في لوس

أنجلوس أدركت أن الحياة هنا مستحيلة .. أكثر استحالة من أي مكان آخر في أمريكا، وهي للزائر المؤقت - والذي يفترض أن يستمتع بالمدينة أكثر من القاطنين فيها - مصدر كآبة. تعني المسافات البعيدة أن الحياة الاجتماعية مستحيلة، هذا لا ينطبق على القاطنين في بيفرلي هيلز لأنهم يكونون مجتمعاً خاصاً بهم، كما يفعل سكان سانتا مونيكا أو سكان باسادينا... إلخ، أي أني أعود إلى وجود الأقاليم الشاسعة. وإلا فسأواجه رحلات السيارات لـ ٤٠ دقيقة أو ساعة، أو ساعة ونصف، ويجب أن أعتمد على شخص ما ليقلني، أو أن أقود سيارات أصدقائي، لكني سرعان ما سأمل وسأتعب. ولا توجد وسائل نقل عامة عدا الحافلات القديمة، لأن سيارات الأجرة نادرة هنا وغالية جداً. والنقصان في تشكيلها الجغرافي يتوافق مع نقصان الروح في المدينة: لن تجد هنا الروح المتبلدة كتلك التي في شيكاغو والتي تمنيت أن أجدها هنا. في الواقع هي ليست مدينة بل تكتلات بشر يكسبون جيداً، وظروف حياتهم جيدة. وعلى أي حال، لقد وصف بيوفيني[1] لوس أنجلوس جيداً ولن أسرد الفقرة هنا، وأفضل أن ترجع إلى ذلك الوصف الرائع.

الضّواحي

عندما ترى كيف يعيش هؤلاء البروفيسوارات - الطالح والصالح منهم - في هذه الجنة على الأرض وترى المال الهائل الذي تخصصه الجامعة للبحث العلمي، فيجب أن تخبر نفسك أن هذا يعني موت أرواحهم، ولا شك أنهم يملكون نفوساً قوية هنا، وأظنني سأهلك قريباً. إنها مدينة تتكون من آلاف الضّواحي، كما أن لوس أنجلوس ضاحية في العالم، في كل شيء، حتى في

---

1 - Guido Piovene: روائي وصحفي. كتب روايات دينية كاثوليكية مثل De Ameri-ca.

السينما: لا لأن السينما قد صنعت هنا، بل لأنّ النّاس يأتون لصنع السينما هنا. أنا المهووس دائماً بالإقامة في مركز كل مدينة، ذهبت إلى فندق في مركزها، لكن داون تاون لوس أنجلوس عبارة عن مركز مليء بالمكاتب فقط، ولا أحد يعيش هنا. يريدني أصدقائي في قسم اللغة الإيطالية في UCLA الإقامة في نزل في ويستوود حتى أكون بقربهم. في الموتيلات أشعر أني في منزلي، حتى أنه يمكنني قضاء حياتي كلها هناك. وهذا نُزل يعود لطائفة المورمون، وهو قريب من جميع الأماكن عدا قسم كبار السن، إنّه قريب من منطقة مرتبة يسكنها اليابانيون - الذي يعملون في تقطيع العشب أمام المنازل في الأحياء المجاورة - والمكسيكيين. وعلى الرغم من ذلك فقد فقدت اتصالي ببعض نواحي المدينة الأخرى، ولسبب معين فقدت الرغبة في البحث عن أشخاص محددين كنت أحتفظ بعناوينهم لأسلمهم رسائل (حتى مهاتفتهم صعبة: لكل قطاع دليل هاتف خاص به، ولا يمكنك أن تجد دليل القطاع الآخر هنا، ويجب أن تمر الاتصالات بمُقَسم العمليات كما لو كانت اتصالات بعيدة المسافة)، وبالنسبة لشخص جاء للمرة الأولى إلى أمريكا، لقد سمحت لنفسي بالانجراف في حياة ريبة، بدلاً من الإصرار على زيادة عدد معارفي من السكان المحليين، واستمتعت مع الأساتذة الإيطاليين الذين يعيشون في عالمهم الصغير.

عن السينما.. ليس لدي ما أخبرك به

كان آرثر ميللر هنا عندما غادرت نيويورك، لكنه لم يعد هنا الآن. وقد أخبرتني سكرتيرته، بأن فرصة مقابلة الرجل الأشهر في أمريكا قد فاتتني (إلا أني أتمنى مقابلته إذا عدت إلى نيويورك مجدداً). ومن علاقاتي في عالم السينما تمكنت من الحصول على زيارات رسمية مملة إلى والت ديزني وأستوديوهات فوكس والمدن الغربية المعتادة الي أعيد بناؤها. (أستخدم اسم هوليوود هنا

بالمعنى الأوروبي: فأنت تعلم أن هوليوود الآن هي منطقة مطاعم، ومسارح ونوادٍ ليلية. كأنها برودواي، لكنها لا تملك إلا إنتاج السينما. تقع استديوهات التصوير في مكان آخر). إن هذه الأشْهُر في هوليوود هي موسم ميت، لأن الجميع في كاليفورنيا يسددون ضرائبهم في أبريل، وتأتي مكاتب الضرائب إلى هنا ليعدوا عدد الأفلام التي تم استهلاكها وبناء على ذلك تقدر قيمة الضرائب، ثم يرسلون الأفلام التي استخدموها إلى ولاية أريزونا. وعندما ينتهي تفتيش الضرائب يستعيدونها: إنها حيلة يعرفها الجميع، لكن طالما أن القانون واضح فهم لم يرتكبوا أي جريمة. ولهذا فإن في استديوهات 20th Century Fox كان هناك فيلم واحد يتم تصويره، وهو فيلم خيال علمي. والتفصيل الوحيد الذي لاحظته كان هذا الشاب الواقف وسط التقنيين ويرتدي ملابس رعاة البقر ويحمل حقيبة مليئة بالحصى وجيب مخصص لمسدس. إن دوره هو إخافة البط - مكان المشهد هو نهر- من خلال رمي الحصى عندما يحتاج المخرج إلى مجموعة بط في اتجاه معين.

باختصار، أنا أخبرك عن هذه التفاصيل لأنّي لم أُدعَ إلى حفل فيه مشاهير، أو مخرجين ومنتجين. هوليوود ليست نيويورك، فالناس هنا يخططون للاحتفالات المهمة قبل شهرين، نظراً للمسافات البعيدة التي تفرقهم. وعلى أي حال، لم تعد الحياة هنا كما كانت لأن أسرة تشابلن ليست هنا.

منازل على الأشجار

سبحت في حوض سباحة في منزل لاعبة الأكروبات تشيكيتا في ماليبو. زوجها يمثل دائماً دور الحارس في الأفلام. لقد بنت لنفسها منزلاً جميلاً على شجرة ويتأرجح مع الريح. وكشخص مُنَظّر في هذا الوجود، زرته وصوّرت هناك. واكتشفت لاحقاً أنه ليس فكرة اللاعبة: فالطبيب النفسي الذي زرته في اليوم التّالي يمتلك واحداً في منزله. إن المنازل التي تبنى على الأشجار

منتشرة جداً في كاليفورنيا.

لن أذهب إلى المكسيك

من هذه الولاية كما جئت مع الكُتّاب الآخرين في المنحة. لقد اكتشف أن الفيزا صالحة للدّخول مرّة واحدة إلى أمريكا. ولن أتمكن من العودة مرة أخرى إذا غادرت، رغم أن الآخرين يحملون فيزا لعدد غير محدد من الزيارات، فذهبوا دون أن أرافقهم. يمكنني السّفر إلى المكسيك إذا غادرت الولايات المتحدة، وقبل العودة إلى إيطاليا.. هذا لن يتم قبل أن أُشبع توقي لاستكشاف الجديد.

أفضل وأكبر مزرعة في كاليفورنيا

تمكنت من زيارة عائلة نيوهال. وشاهدتُ مرة أخرى بستانين شاسعة من البرتقال والجوز، دون أي تدخل بشري كما هو الحال دائماً في الزراعة الأمريكية؛ كل شيء تنجزه الآلات، حتى حصاد الجوز. أما قطف البرتقال فاتحاد العمال المكسيكيين هو المسؤول عنه. شاهدت رعاة بقر كانوا يجتازون الحواجز خلف حظيرة الأبقار الكبيرة، كانت الأبقار تشعر بالسأم وهي تمضغ طعاماً صناعياً فُرِزَ بعناية ونقلته قنوات قرب الطاحونة. لن تختبر هذه الأبقار المرح في حياتها ولا حتى رعاة البقر.

حوادث المشاة

«سيُعتقل كل من يَسير في الشّارع فوراً» هذا ما قيل لي على سبيل المزاح عندما وصلت إلى لوس أنجلوس حيث لا توجد حوادث. وقد حاولت ذات مرة التنزه مشياً عبر كَلفر سيتي، وبعد بضع قطع استوقفني شرطي على دراجة نارية. لقد عبرت شارعاً ضيقاً ومهجوراً بينما كانت الإشارة حمراء. ولأتجنب الغرامة أوضحت أنني غريب... إلخ، وأنّي أستاذ وكنت مشتت

الذهن.. إلخ، لكنه لم يتمتع بحس الدعابة، ثار كثيراً وطرح الكثير من الأسئلة لأني لم أحمل جواز سفري معي (لقد لاحظت في أمريكا - قبل هذه الحادثة - أنه ليس للمستندات الرسمية أي أهمية). لم يخالفني، لكنه أبقاني هناك لربع ساعة. السّائر مشتبه به دائماً، وهو كذلك محمي بإمرة القانون: متى ما عبر شخص الشارع عند أي نقطة فعلى السيارات أن تتوقف - كما نفعل في إيطاليا - ولكن فقط على تقاطع المشاة. وبما أن المشاة نادرون كَنُدرة ذوي الشعور الحمراء، فإنهم يحاولون الحفاظ عليهم.

باختصار،

أنت لا تريدني أن أخبرك عن قصور الممثلين الممتدة على طول Sunset Boulevard، أوعن النقوش في المسرح الصيني، أو عن زيارتي الأكيدة لديزني لاند ومارينلاند (وهي زيارة رائعة: لا تتكون عروض السيرك من فقمات ودلافين فقط، بل من أضخم الحيتان!). هذا الجزء من اليوميات صار مملاً قليلاً، لأني صرت سائحاً، ولأني تحررت من رفقة زملائي، منذ الوصول إلى هنا - أكره أن أكون في مجموعة. لا أشعر بأني مسافر إلا إذا كنت وحيداً أو كنت أغير المجموعة باستمرار - لم أقرر إن كنت سأغادر في اليوم التالي أو إن كنت سأبقى لوقت أطول، لم تنجح محاولات السماح لنفسي بالانجراف وراء المغامرات العاطفية والتي تصدقت بها المدينة علي، وإن لم أكن في حالة توتر مستمر ولن أستمتع بأسفاري، وهكذا لست متأكداً من المراحل التالية لرحلتي، أنا في حيرة بين الرغبة في رؤية كل شيء والرغبة في العودة إلى نيويورك في أسرع وقت ممكن، حيث سأستمتع بوقتي دائماً.

سأعبر الآن نيفادا وأريزونا ونيومكسيكو باستخدام الطائرة، وحافلات غريهوند والقطار. وسأكون في نهاية الشهر وبداية مارس في العنوان التالي:

C/o IIE

Main Street 1300

Texas ,2 Houston

وإن لم أكن في العنوان السابق، فسأكون بالتأكيد في عنوان نيويورك:

.C/o F.J Horch Ass

57th St East 325

NY ,22 New York

يوميات من الجنوب الغربي

وصلت إلى لاس فيغاس على متن الطائرة في مساء يوم الجمعة. ولم أجد غرفة واحدة شاغرة في هذه المدينة المليئة بالفنادق والموتيلات. إنها إجازة نهاية الأسبوع (ويصادف يوم الأحد ٢٢ من شهر فبراير مولد واشنطن) ولذلك امتلأت الفنادق عن آخرها، لقد أكّد الناس حجوزاتهم قبل شهر، أناس من جميع أنحاء البلاد وليسوا فقط من لوس أنجلوس، لأن الإقامة في عاصمة القمار هي de rigeur لكل الأمريكان، كالرحلة إلى مكة. تقع لاس فيغاس وسط أكثر الصحاري قذارة في نيفادا، مدينة حفاري الذهب القدماء، لم تعد كبيرة المساحة، وتتكون بصرياً من شارعين، الشارع الرئيسي القديم وفيه أشهر نوادي القمار، والقطاع الطويل الجديد، إنه طريق في الصحراء مضاء بإضاءات النيون حتى أنّ إنارته تتفوق على إنارة برودواي، وفيه موتيلات، وكازينوهات، ومسارح فيها عروض لأشهر المؤديات العاريات في العالم واللواتي جئن من ملاهي Lido، Folies Bergere إلخ، وفيها أيضاً

عروض لأشهر مغني وممثلي برودواي، لكن الاختلاف يكمن في استحالة تجاوز عدد العروض لخمسة أو أربعة عروض في أي وقت، بينما يوجد هنا عشرون مسرحاً حتى أنه يمكنك أن تشاهد ثلاث عروض في الليلة، لأنها تستمر إلى الرابعة فجراً. أما بالنسبة للقمار فهو مستمر طول الوقت، أربع وعشرون ساعة على أربع وعشرين ساعة، وفي كل مكان، لأن كل مكان عام هو كازينو وكل ما تراه هنا هو أماكن عامة، وحيثما هناك روليت أو طاولات قمار هناك صفوف وصفوف من قُطّاع الطرق المشهورين من وقت الرواد، وهكذا ترى أشخاصاً هائجين يلعبون بجنون على هذه الأجهزة، كعمال في مصنع (فقرة بيوفيني التي يصور فيها الفكرة جيداً). وكما تعلم فإن نيفادا هي الولاية الوحيدة التي تسمح بالمقامرة، والدعارة مشروعة، والطلاق يسمح به بعد ستة أسابيع من الإقامة، والزواج يسمح به ما إن تقسم أنك لست متزوجاً بالفعل. لقد وصلت. وركبت سيارة الأجرة مع رجل من واشنطن، وسائق شكّاك وذهبنا إلى كل الموتيلات، لكن هناك لافتة مضيئة كُتِب عليها «لا يوجد شاغر»، فاستأجرنا غرفة في منزل السائق، بيت صغير ومتواضع تشاركت مع موظف واشنطن الغرفة. وأنا سعيد بهذه الفرصة النادرة لرؤية حياة الأمريكي العادي عن قرب من حين لآخر. إنه رجل جاد ومهذب، وهو يقامر قليلاً وبحذر، وهو كذلك يحذر من مرافقة نساء قد يكلفنه مبالغ طائلة، لكن طموحه الوحيد هو أن يرى أكبر عدد من العروض. لقد جاء إلى هنا بالطائرة لذلك السبب تحديداً، وهو يمضي ثلاث ليال دون أن يغمض له جفن من أجل أن يحضر ثلاثة عروض في ليلة واحدة، وأنت تعرف أن بعض العروض مثل Folies Bergere مملة، ثم يرسل البرنامج من كل مسرح إلى أصدقائه وزملائه ليخبرهم عن أفضل العروض التي شاهدها - يمكنك أن ترسل برنامج المسرح كبطاقة بريدية يدفعها المسرح - وسائق الأجرة هذا رجل طيب له أسرة صغيرة ومحترمة،

وزوجته معلمة في مدرسة الأحد. إن أول ما أخبرنا به ونحن في السيارة هو فوائد تشريع الدعارة: «أؤمن بالدعارة المشروعة.» ويجب أن أقول إن لاس فيغاس لم تخيب آمالي: إنها كما قرأت عنها كثيراً؛ كنائس للزواج وسط صالات القمار ومسارح للسخافات وإعلانات تروّج للزواج السريع - حتى إنها أكثر مجوناً مما كنت أتخيل: هذه الكنائس الصغيرة هي عبارة عن أكشاك قانونية شُيّدت لتكون على شكل علب الحلوى وأمامها تماثيل لكيوبيد. ولهذه الأكشاك أسماء مثل نجوم كنائس الزواج ولوحاتها تحمل صورة زوجين يقبلان بعضهما على طريقة هوليوود - لكن الإحساس الغالب هنا هو الحيوية، جموع تحمل الكثير من المال في تحرك مستمر. يجب أن أعترف أني أحب لاس فيغاس. أنا أحب المكان فعلاً، إنه لا يشبه مدن القمار الأوروبية، إنها على عكس ذلك تماما بفضل ابتذالها، يشعر الغربي بشعور مختلف تماماً عن أماكن مثل Pigalle. يمكنك أن تشعر هنا بقوة جسمانية كبيرة، إنه مجتمع منتج، وطائش، ويستمتع بكونه منظومة، وبين الطائرة والأخرى، ويمكنك أن تشعر هنا بإحساس مميز للرواد، والمنقبين عن الذهب، إلخ، الذين شكلوا مدينة القمار هذه في الصحراء. أعلم أني أكتب أشياء تافهة جداً، لكني أسافر عبر دولة تافهة ولا أجد طريقة أفضل من العيش والتفكير فيها بطريقة تافهة. (لن أخبرك أن الصِّبغة المحلية - الغربيين، والرواد، ثورة الذهب، وإنديانا، والمكسيكيين، والهنود - هم مقصد السياح، وقد تم تقطيعها إلى قطع صغيرة كهدايا في كل محلات الكماليات، أشياء تجعلك متخماً لبقية حياتك).

وعلى عكس ما قلته في جزء سابق

ليس هناك طريقة لاستكشاف أمريكا سوى السّيارة. إن محاولة التجول فيها على متن حافلات غريهوند كما فعلتُ في نيفادا، وأريزونا، ونيومكسيكو يعني أن تفوتك أشهر المقاصد السياحية، ما لم تقف عن كل معلم وتحاول

الانضمام إلى مجموعات الاستكشاف المحلية مع دليل سياحي أو تنسيقات مشابهة لذلك والتي ستجعلك تضيع أياماً كثيرة لأن كل الأشياء التي ستراها لا تقع على الطرق السريعة. لكن في الحقيقة لم تشعرني النصب التذكارية بالجمال - نحن نتعامل مع تشكيلات جغرافية دائماً: الوديان، والغابات المتحجرة، إلخ- كل ما هنالك أني أردت التأكد من أشياء كنت قد شاهدتها في السينما. ولذلك قررت تجاهل وادي الموت Death Valley دون أسف والذي قد يكون مجرد صحراء مهجورة أكثر من أي شيء شاهدته في خلال الأيام القليلة الماضية و Grand Canyon والذي قد يكون مجرد واد أكثر من الوديان الأخرى. وفي لحظات معينة من رحلتي استمتعت بتدرجات صحراء أريزونا والقذارة الرومانسية للبلدات الغربية.. وهكذا ذهبت إلى نيو مكسيكو.

منطقة كئيبة

وصلت الحافلة إلى نيو مكسيكو ولقد حل الظلام فتوقفنا عند أول بلدة، في الحانة المعتادة حيث تناولنا وجبات خفيفة، لقد تغير كل شيء فعلاً: يحيط الفقر بكل شيء هنا - نسيته تماماً في كاليفورنيا - يرتدي أغلب الناس ملابس الهنود الحمر.. نساء فقيرات مع أطفال ينتظرون الحافلة، وسكارى، ومتسولون، وشعور مألوف يصعب تعريفه في الدول النامية. تعتبر نيو مكسيكو محمية هائلة لكل الخارجين عن القانون، وتفيد غرابتها مثقفي وفناني الولايات المتحدة (رغم أن أغلبهم يفضلون المكسيك الحقيقية والقوية أكثر، والتي هي الآن مقصد إلزامي لكل إجازات المثقفين، ومصدر غني للتأثيث والديكور مما يعني أن منازل مثقفي نيويورك هي متاحف مكسيكية صغيرة. لقد شغلت المكسيك بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية الدور الذي تشغله اليونان بالنسبة لأوروبا، وهو في الواقع - من ناحية طغيان

ثقافتها؟ الآثار قبل الإسبانية قليلة جداً في عددها وليست كبيرة. ومع الآثار الإسبانية الحديثة لن تميز الحقيقي من المزيف - لم أذهب إلى استديوهات هوليوود عبثاً! إن مدينة Albuqueque عادية، أما سانتا في فهي جميلة جداً، رغم أنك عندما تدقق فيها عن قرب تجدها معروضة بشكل جيد، تعطينا لمحة عما تكون عليه الحياة في الدول المتخلفة - من الصعب تخيل أن هناك منطقة أكثر تخلفاً من هذه - صورة مرتبطة بأكثر دول العالم تخلفاً.

٢٥ فبراير

ذهبت إلى Taos اليوم وأحببتها حباً جماً: إنها مذهلة كمنطقة جبلية، وهي ملجأ المثقفين وليست مزيفة، والهنود الحمر حقيقيون، والمثقفون لطيفون هنا وليسوا تجاريين، لا تزال ذكرى د. هـ. لورنس ملموسة، طالما أن جميع أصدقاءه ما زالوا على قيد الحياة، هناك مجموعات رائعة من الهنود وبضاعة الهيسبانك الجدد (الأشياء الهيسبانك هي من قسم الذين يجلدون أنفسهم المشهورين وهم على قيد الحياة هناك) وهناك منتزهان للتزلج على بعد أميال قليلة؛ باختصار: إنه مكان لا أمانع الإقامة الدائمة فيه أبداً. لقد دعيت اليوم إلى منزل مصمم أثاث ومعماري فرانكفوني - أمريكي والذي كان قد ولد في فلورنسا في سانتا في. إن منزله مليء بالأشياء البسيطة والرائعة، أشياء حقيقية تعود للمكسيكيين أنفسهم، أمور غير متوقعة تماماً ولم أشاهد مثلها قط. هنالك احتفال اليوم، لأنه سيتم عرض باليه Ballet Russ من مونتي كارلو! وسيكون العرض الوحيد لهذا العام. لن أذهب لأنّي أمر بحكمة اقتصادية نادرة، والطريقة الوحيدة للحصول على تذكرة هي أن يبيعها شخص ما. ومع ذلك، شاركت في الجو العام المثير لمجتمع صغير من المنافي الاختيارية: أنا أستمتع بوجودي في فترات غير اعتيادية.. يكون فيها الناس سعداء ومبتهجين، ولهذا كنت أتحدث عن كونها ولاية نامية: إنها أرض خراب

بلا شك، والزراعة فيها لا تتعدى الخضروات والفاكهة قليلة للاستهلاك المحلي، والمصانع فيها نادرة، ومع ذلك فالهنود الحمر يستمتعون بمنافع بسبب الصفقة الجديدة The New Deal وتأنيب الضمير الشديد، ولهذا تقدم الإعانة المالية للعاطلين عن العمل، وهم معفيون تماماً من ضرائب الأراض والغابات ومحميات الصيد - إنهم يعيشون في شيوعية بدائية وجهود السلطات لتعليمهم إيجابيات أن يبادروا ليس لها فائدة - وعلاجهم مجاني في المستشفيات، والمدارس، ولهم الأولوية في التوظيف (إضافة إلى أنهم مقصد سياحي عظيم في هذه الولاية). لا تفهمني خطأ، إن الفقر هنا مدقع، لكنك عندما تتفكر في الظروف الجغرافية والتي هي أسوأ من أي بقعة في الجنوب الإيطالي، سيحلم سكان باسيليكاتا بالعيش مثلهم. لعل حكماء الهنود هم الوحيدون الذين يعيشون في هذه المنطقة الكئيبة ومأهولة بالسكان رغم أنها أرض قفار، كانت في طريقها للانقراض، لكن ازداد عددهم قليلاً في الأعوام القليلة الماضية.

الهنود الحمر

ذهبت إلى الهنود الحمر في سان دومينيغو قرب ألبوكوِرْك فشاهدت مشهداً مألوفاً: مشهد ذكرني بضواحي الأحياء الفقيرة والمتماثلة في روما. إن منازل الهنود الصغيرة والمنخفضة هي ضعف عدد تلك الموجود في بييترالاتا أو في مقاطعات تيبورتينو في روما، غير أنها تبنى من الطوب - لبنات الطين التي تعلم الهنود صناعتها من الإسبان هي جوهر أساسي في المعمار المكسيكي - لكنها صُبِغت فيما بعد باللون الأبيض لتبدو متشابهة. ويبدو الناس هنا متشابهي الشكل لأنهم يتدثرون ببطانياتهم بحثاً عن الدفء، والأطفال يلعبون بالطين - لكنهم نظيفون - وقد يأتونك ليسألوك الصّدقة أو ليبيعوك الحصى الملون. وهناك كنيسة مزينة برسوم هندية رائعة في

منطقة الهنود الحمر، فكما تعلم، كانت هذه المنطقة مأهولة بالإسبانيين الذين يعتنقون كلا من الكاثوليكية والوثنية. يجب أبقى هنا إلى يوم الأحد لأشاهد احتفالاً دينياً شهيراً، لكني لم أسافرلأمريكا لأدرس التاريخ البدائي. في تاوس حيث يوجد أكبر عدد من الهنود الحمر توجد عشوائيات للسكن متراكم بعضها فوق الآخر، وهذا يمنحها شكلاً يشبه القرى الجزائرية (لكنها بلون الطين، وليست بيضاء)، والتشبيه واقعي، فأشكالهم إسلامية لأنهم متدثرون حتى أنوفهم ببطانيات متعددة الألوان في هذه الأيام الباردة. على أي حال، إن كل شيء مثل Alberobello: حتى تصميم المنازل الداخلي هو مثل trullo. يمتلك الهنود سيارات، لكن نزولاً عند رغبة كبار السن لا يمتلكون الكهرباء، أو أي مصدر للتدفئة، أو ضوء في منطقتهم عدا مواقد النار داخل منازلهم الصغيرة وأفران الطبخ في الشارع. وتبعاً لذلك، لا يوجد أي مذياع أو تلفاز هنا. (من الواضح أنه لا مستقبل للمجتمعات الهندية ولا خلاف فيما سيحدث لهم في البلاد كلها، هناك من يفضلون المحافظة على مجتمع الهنود بأي ثمن وينادون باندماجهم بالمجتمع الأمريكي، لكن الهنود نادراً ما يهجرون أراضيهم القاسية، كما أنهم أكثر الناس تردداً في الاختلاط بغيرهم، ومع ذلك صار أطفالهم يدرسون اليوم في المدارس الثانوية، وبدأوا يصبحون أمريكيين. هذا هو المكان الوحيد في الولايات المتحدة الذي لا تزال فيه قضية استعمار الناس قضية جدلية - رغم أن يصعب تحديد أبعاد تلك القضية.

تقليد محلي

حافظ عليه الأمريكيون الأنجلو- ساكسون، وهو إنشاء المتاحف - في الثلاثين عاماً الأخيرة فقط - لتضم لوحات تصوّر حياة النافاجو[1] اليومية،

1- نافاجو: ثاني أكبر قبيلة في الولايات المتحدة، ويزيد عدد أفرادها عن 300.000 فرد.

ولتوضح اهتمام حكومة الولايات المتحدة بالأمور الثقافية، وذات الأمر ينطبق أيضاً على آثار الهيسبانك وعلى الطريقة التي انتقل بها العمران المكسيكي - الهيسبانك لمعماريي اليوم. ورغم ذلك، فإن ذوي الأصول الإسبانية غير مهتمين بالحفاظ على آثار حضارتهم. بَنى المعماريون البروتستانت كنائس من الطين على الطراز المكسيكي - الهيسبانك وفيها عُلّقَت القطع الفنية مثل التماثيل الخشبية للشخصيات الدينية المشهورة. لكن الكهنة الكاثوليكيين يتخلصون من المصورات الدينية الحالية.

Lawrenciana

ولأني في منطقة تاوس، ذهبت لأرى Angelino Ravagli زوج Frieda Lawrence التي توفيت قبل ثلاث سنوات، والرجل الذي يُعتقد أنه قد ألهم شخصية بائع الخضار في رواية عشيق السيدة شاترلي. لقد تحدثت إليه باللهجة الليغورية لأنه يقيم في مدينة سبورتونو (رغم أنه روماني المولد). لقد قابل عائلة لورنس عندما استأجر لهم منزلاً هنا ثم تتبعهم حول العالم، وصولاً إلى تاوس (إلى مزرعة في الجبال أهدتها معجبة لا تزال على قيد الحياة إلى د. هـ. لورنس. وقررت فريدا دفع ثمنها من خلال بيع مخطوطة رواية أبناء وعشاق، لكنها أوصت بنقل ملكية المزرعة بعد وفاتها إلى جامعة نيو مكسيكو. وترسل هذه الجامعة الكُتّاب الشباب إلى المزرعة كل صيف ليكتبوا). وعندما مات د. هـ. لورنس تزوج رافالي من فريدا وهو كذلك منفذ وصية فريدا وشريك مع أبناء فريدا وزوجها الأول - الألماني - في الحقوق الأدبية لكتب لورنس (القلة الباقية من كتبه التي لم تنشر حتى الآن). وهو نادم فعلاً على المال الذي كان من الممكن أن يجنيه من رواية السيدة شاترلي في أمريكا، لكن فات الآوان: لعله يستطيع جني المال إن وافق الوكيل الأدبي.. إلخ، لن تحتاج إلى شرح هذه المسألة - لا يفهم أحد حقاً مسألة

الحقوق الأدبية الخاصة بلورنس في الخارج - لقد باع المنزل الذي أقاما فيه بعد موت لورنس وهو لا يعرف ما يمكنه أن يفعله وحيداً هنا في تاوس، وسيعود إلى إيطاليا حيث تنتظره زوجته، لأنها كانت لا تزال على ذمته طبقاً للقانون الإيطالي، وسيعود أيضاً لأبنائه السبعة وهم جميعاً أساتذة. تخرج أحدهم في كلية الزراعة في تورين وقد أعطاني عنوانه. إنّ أنجي رجل بسيط، وليس هندياً أحمر، كما ظن أفراد أسرة لورنس، لكنه برجوازي صغير (كان مسؤولاً في الجيش الإيطالي، ومهتماً ببرنامج مالاجودي[1] الانتخابي. ولديه لوحة في غرفة نومه رسمها بنفسه لأيزينهاور، لأنه قد بدأ الرسم الآن). وهو بالطبع رجل لطيف وودود جداً مع كل فوضى هذا الوجود الغريب، كما أنه مشهور جداً هنا في تاوس: يأتي كثير من الناس ليكونوا قريبين من أسرة لورنس، مثل الشاعر الفضولي سبود جونسون Spud Johnson الذي استولى على صحيفة تاوس وسماها باسم غريب El Crepusculo. لقد جاء ألدوس هكسلي إلى هنا مع زوجته وجوليان، وأمضيا عيد الميلاد مع أنجي. اشترى ألدوس بمساعدة أخت زوجته الإيطالية شقة في Torre del Mare قرب سبورتونو.

شؤون ذَرِيّة

إنها أرض ملعونة لسبب غامض، ولهذا من الطبيعي أنهم ما زالوا يصنعون القنبلة الذرية سراً في هذه الصحراء المخصصة لهذا الغرض، ويقال إنه توجد هنا قوى قادرة على تدمير الأرض كلها. لقد اكتشف اليورانيوم هنا تحديداً، وهو أمل هذه المنطقة الوحيد في الثراء. لقد تمكنت من مشاهدة مواقع المختبرات من الخارج - وهناك مختبرات تبحث في مقاومة الإنسان

1- Malagodi Giovanni: (١٩٠٤-١٩٩١) سياسي. كان سكرتير الحزب الليبرالي الإيطالي (١٩٥٤-١٩٧٢) ثم صار رئيساً له.

للرحلات الفضائية وعلى تأثير الإشعاع على الحيوانات والخضروات - ولم أتمكن من الاقتراب من أي عالم في تلك الأيام، وأنا نادم على ذلك، لكن لعلها ذلك أفضل. فمن اللمحات البسيطة التي رأيتها كونت فكرة عن المجموعة الوحيدة من العلماء الذي توصلوا لشيء جديد في أمريكا، لأن كثيراً منهم يمتلكون خبرة تقنية متقدمة ومعرفة متطورة بالإنسانيات، وفوق ذلك هم المثقفون الوحيدون الذين يمتلكون سلطة، ودون إسهاب في الحديث، بت أخشى الالتقاء بهم، فعلاقة العلماء بالأدباء ليست طبيعية، سألت من حولي عن ذلك، وقد أكدوا لي ذلك. وبالرغم من ذلك، فإن المسائل الذرية تظل مكتنفة بالغموض كما في الأساطير الهندية. لقد أراني رجل جاد جداً ناحية الغابة حيث كان الجواسيس يلتقون فيها لتبادل المعلومات الذرية، لكن مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI اكتشفهم.

الناس هنا

للتجول في هذا المكان عبر تجنب استخدام السيارة فوائد كثيرة تجبرني على التنقل في هذه البلدة كلها على قدمي، لكن لا زال الأمر ذاته بعد كل تلك الأشهر. لقد أرسلتني سيدة كبيرة السن إلى سيدة أخرى تدير متجراً للتراث الهندي، وإلى المكتبة، وإلى مؤسسة ثقافية، لكني صرت على علم بجمود الحياة الأمريكية، وصرت أفهم الناس الذي يجيئون للإقامة هنا أكثر، كما صرت أفهم الطريقة التي يحبون بها إيطاليا والتي كانت تزعجني سابقاً.

تكساس

ما هي الصورة التي ستكونها عن تكساس؟ هذا ما سألته لنفسي طول تلك الأشهر، مقتنعاً بأن هذه الولاية مميزة جداً من ناحية روحها وحياتها الاقتصادية ومن الصعب في الحقيقة الإلمام بها في فترة قصيرة جداً، كالتي خصصتها لها. إنّ المكوث في مدينة كبيرة يعني أني سأشاهد مدينة كأي مدينة

أخرى وليس تكساس الحقيقية، بينما تعني الإقامة في بلدة صغيرة من بلدات تكساس أني سأفوّت العديد من نواحي هذه المدينة. ونظراً لذلك، قررت الإقامة في هيوستن، وهي أكبر مدينة في أكبر ولاية، لم أتوقع أن تلقى صدى في قلبي؛ لقد وصلت في وقت عرض مسابقة رعاة البقر، وهي أكبر مسابقة تقام هنا. أي أني وصلت والمدينة مليئة برعاة البقرة المجتمعين من كافة أرجاء تكساس، ومن كل الولايات التي تربي الماشية، وكانوا جميعاً يرتدون ملابس رعاة البقر، حتى كبار السن، والنساء، والأطفال. تجعلك روح تكساس هذه تفتخر بهذا المكان، إنها مختلفة تماماً عن باقي الولايات. لا داعي لإجراء إحصائية للتأكد من رغبة الولاية في الاستقلال؛ لقد كتب على سيارات كثيرة عبارة «صنعها التكساسيون في تكساس»، وعلى ساريات الأعلام يمكنك أن تجد أن عدد أعلام تكساس يفوق عدد أعلام الاتحاد عدداً. مما يمنحك إحساساً في أنك في دولة مستقلة، تتظاهر عائلات الطبقة الوسطى ويرتدي جميع أفرادها قبعات رعاة البقر وسترات مهدّبة، معربين عن اعتزازهم وفخرهم بانتمائهم، ومجاهرين بعدائهم للتقدم الذي تسرب إلى أساطيرهم، ومؤكدين على تعصبهم، ومعلنين عن تأهبهم للحرب. ولحسن الحظ إنها أساطير مرتبطة بالعمل المستمر، والإنتاج، والتجارة، وتربية المواشي المزدهر هنا. كان في المظاهرة مئات الطلاب الباكستانيين الذين جاؤوا إلى هنا لدراسة الزراعة، ويقول بعضهم إنهم سيناصرون تكساس إذا استدعى الأمر إعلان الحرب على روسيا، لكن ستكون اليد العليا للعقلية الزراعية الفردية (كما تعلم، فإن تكساس كانت قد قررت مساندة ألمانيا في حربها قبل حادثة بيرل هاربر بعام، من خلال إرسال فيالق من المتطوعين مع القوة الجوية الفرنسية).

مسابقات رعاة البقر

والتي تقام في أستاد داخلي كبير بحجم Vél d'Hiv، هي أيضاً خليط

من العمليّة والأسطورية. وأغلب الأمور التي يقوم بها رعاة البقر هي من صميم عملهم اليومي: كركوب الخيول بسرج أو بدونه، والإمساك بأكبر عدد من العجول أو الثيران بحبل في أقل وقت. لكن تكون هناك فواصل من الأساطير الغربية المزيفة تماماً بين كل مسابقة وأخرى: مثل رعاة البقر الذين يغنون في التلفاز، الذين تتم تحيتهم بحماس كبير. إن طريقتهم في الصيد فعّالة: فالراعي يلاحق العجل وهو على ظهر حصان، ثم يصطاده بحبل، ثم يقذف نفسه فوقه ويقلب العجل فوراً على ظهره، ويربط أرجله بمساعدة الحصان لكي يبقي الحبل مشدوداً.

نحن الآن في الجنوب

على الرغم من روح تكساس، فإن السائق الذي أخذ على عاتقه أن يريني المدينة - لا شيء يستحق رؤيته: ذات المدينة المليئة بالمنازل والمزارع الصغيرة التي ليس لها شكل واضح، والمناطق السوداء التي لها هواء الفقر من الجنوب - ارتدى حزام الأمان عندما قاد السيارة، لأن الإحصائيات تظهر أن أغلب الحوادث.. إلخ. إنه رجل صالح، وموظف مالي يعمل لصالح الديموقراطيين: وهو الوحيد الذي يشغل هذا العمل هنا، وهو كذلك أحد الليبراليين القلة الذين يحاربون من أجل حق السود في التصويت. لكني سوف أحدثك عن ذلك عندما أصل إلى لويزيانا أو ديب سوث. أغادر اليوم إلى نيو أورلينز التي تقع على ماردي غراس.

٦ مارس، مونتغومري، ألاباما

نيو أورلينز

وصلت إلى نيو أورلينز دون أي حجز فندقي رغم تحذيرات الجميع في يوم الإثنين ٢٩ مارس، وسط احتفالات ماردي غراس (ماردي غراس في أمريكا – أو في نيو أورلينز: هو المكان الوحيد الذي يتم الاحتفال فيه بهذا المهرجان الديني – وهو مصطلح مطاط لما نسميه كرنفال، رغم أن كرنفال تشير إلى المتعة). وصلت باكراً في الصباح وكانت كل الفنادق ممتلئة عن آخرها فبدأت التجول في Vieux Carré ، والذي يبدو كما في الصور الفوتوغرافية تماماً، وأعمدة شرفات كل المنازل مصنوعة من الحديد. اعتدت أن أشاهدت أشياء معتّقة في أمريكا بنسب قليلة، والتي تُضخّم وتُزيّف عادة بالمبالغات والدعايات. يجب أن أعترف أن نيو أورلينز هي نيو أورلينز بحق، باليه ونتنة وكريهة الرائحة، لكنها على قيد الحياة. والسؤال الجدلي هو إن كان أسلوب بنائها إسبانياً أم فرنسياً: فالمظهر الحديث للبلدة القديمة هو الذي منحها إياه الإسبانيون الذين حكموها لستين عاماً، قبل أن يستولي الفرنسيون عليها لبضعة أشهر في عام ١٨٠٣، ويبيعها تاليراند إلى جيفرسون. لقد أبرز فرانكو القرية الآن بلوحات خزفية عليها أسماء الشوارع منذ الهيمنة الإسبانية، ولهذا فإن الروح الفرنسية المتبجحة يمكن أن ترى في زاوية كل شارع (حافظت الكثير من الأسر على تاريخ نابليون كما رأيت من خلال الأثاث). ولاختصار قصة طويلة، وجدت غرفة مخيفة كلفتني مبلغاً كبيراً في فندق وسط رويال ستريت، ومن عالم الموتيلات النّظيفة والمعقّمة التي اعتدت عليها ! لقد عشت في جو تينيسي ويليام الذي

يتحلل فيه كل شيء إلى قطع عبر زمن عتيق وقذارة. هناك خزانة قاتمة اللون في غرفتي، والشرفة التي أمامي تعود لامرأة عمرها تسعون عاماً تبقيها مغلقة طول اليوم - إن Garden Distrect التي عاشت فيها الأسر الفرنسية في القرن التاسع عشر مختلفة تماماً، ومنازلها كبيرة تشبه في تصميمها البيوت الزراعية التي فيها أعمدة (بينما أصبحت Vieux Carré منطقة للسود منذ ما يقارب عشر سنوات، قبل أن يعاد استكشافها كمقصد سياحي في الجنوب حيث صارت مكاناً لمحلات الأثريات، والفنادق، والنوادي الليلية). يُغلّف الغرور الأرستقراطي الفرنسي نيو أورلينز، أما ويلات الحرب الأهلية فقامت بالباقي، فظلت إحدى أفقر المدن والأكثر رجعية بين الولايات. لكنها تحاول استعادة ازدهارها الآن لأنها مدينة نفطية وميناء لتصدير الفاكهة والمعادن للجنوب الأمريكي. ويوجد الميناء في القطاع الإيطالي في قلب أحد أقدم المستعمرات الإيطالية في الولايات المتحدة، وفيه أسر تنحدر أصولها من صقلية وجزر ليباري، لكنهم لم يتحدثوا باللغة الإيطالية في الأجيال السابقة ولا يملكون أي فكرة عن جذورهم عادةً. لكني هنا لأرى مهرجان ماردي غراس الشهير.. وهي في الواقع بلدة مميزة يعود تصميمها إلى القرن الثامن عشر ويشبه تصميم فينيسيا. حتى الطبيعة هنا ترتدي قناع الاحتفال: لقد غطت أشجار البلوط والجميّز طحالب، وطفيليات متعلقة وأكاليل في الحدائق الكبيرة. ويستمر مهرجان ماردي غراس الديني أسبوعاً كاملاً تشل خلال البلدة كلها، ويتكون من سلسلة مواكب على عربات بعيدة كل البعد عن كرنفال العربات في فياريجو أو نيس؛ لأن العربات والأقنعة هي أساساً من كرنفال فيارجو في العام الماضي: تقوم شركات متخصصة بتصديرها من إيطاليا بعد المهرجان هناك وبيعها هنا. وحتى العنصر الأسود الذي توقعت أن يكون أحد أهم عوامل الجذب السياحي، لم أجده بارزاً. هناك أشخاص سود بين هذه الجموع بلا شك، وموسيقيون سود في العربات،

وآخرون يرقصون بارتجال في الشوارع، لكن أعدادهم قليلة ويحمل السود مصابيح كبيرة الحجم في المواكب الليلية والذين يتحركون عادة بطريقة تؤكد على طقوسهم الرمزية البدائية. وفي الواقع، للسود ماردي غراس خاص بهم في أحيائهم، ولا أحد يرغب في اصطحابي إلى هناك لأن خطر السكارى السود كبير. وعلى الرغم من ذلك، فقد سمعت أن هنالك سياحاً بيض ينظمون حملات لمناطق السود ليشاهدوا كرنفال السود (لكن دون النزول من سياراتهم): سيسلكون طريقاً طويلاً ولن يعلم أحد بزيارتهم مسبقاً. لا بأس، لقد شاء الحظ أن أكون بلا رفيقة في ليلتي الأولى هنا، شعرت بالملل فقررت أن أذهب من تجمع مضحك إلى آخر وأنا أشرب نبيذاً سيئاً ومحاولاً البدء بحوارات مع الراقصات عن الاتحاد، لكنهن كن مهتمات بالشرب على حسابي فقط، بابتزاز معتاد، إلى ما هنالك. إلا أنه في اليوم التالي والذي يصادف يوم ماردي غراس نفسه وجدت سكان البلدة، إضافة إلى مليون زائر قد جنّوا لأربع وعشرين ساعة، وأظن أن هذا أمر عظيم وفريد - حتى عند مقارنته بالمعايير الأوروبية - لأن الأبطال هنا هم الناس أنفسهم، وهم يظهرون براعتهم في التّخيل وتزيين أقنعتهم وانحرافهم النشط. باختصار، إنه مشهد تجمعات مدهشة: فيها الخيال، والمرح، واللّذة، والفحش.. كلها بنسب مناسبة، وكلها تفعل بطريقة يسترد فيها الجو العام المنحل موجات من الشعور المشترك. باختصار، لم تكن فينيسيا في القرن الثامن عشر لتكون بهذا الجمال، كما حاولت أن أشرح في مقابلة مع قناة محلية. ورغم أن البرد قارص، إلا أن أغلب الناس عراة. ولسوء الحظ، فإن عدد الرجال الشّاذين يفوق عدد النساء الجميلات؛ تعتبر نيو أورلينز أكبر مركز لنوادي المنحلين، وهم يتجمعون من كل أنحاء أمريكا هنا، وهذا المهرجان هو فرصتهم ليظهروا براعتهم في ارتداء الفساتين تحديداً. كان الناس يشربون النبيذ والعصائر في أقداح طويلة، وكانوا يرمون علب البيرة بعد شربها على الأرصفة كبُشرى

على إقفار أربعاء الرماد، ورموا كذلك عقود لؤلؤ عليها بطاقات كتب عليها صنعت في تشيكوسلوفاكيا - غريبة هي بضاعة المهرجان - إن نيو أورلينز هي مكان منحل وجميعنا يعرف ذلك، ويمكنك أن تعيش هنا فقط إن كنت تعرف كيفية استغلال هذا الانحطاط، أي أن تستغل بائعي الأنتيك أو الأثاث، إلخ. لقد نسيت أن أذكر أن أغلب القصص التي يحكيها المرشدون السياحيون هي من وحي خيال فوكنر، لأنه كان قد أقام هنا في شبابه لسنوات طوال وعمل مرشدا سياحيا. كانت قصصاً متخيّلة، إلا أنها كانت ناجحة لدرجة أن باقي المرشدين صاروا يحكونها للسياح وهي الآن جزء من تاريخ لويزيانا. ولقد دعيت أيضاً إلى قصور الطبقة العليا. وكانت أكثر القصور فخامة في هذا البلد هنا (شُيّدت قبل عدة سنوات وجميعها على طرازPlantation Style وكل الكماليات فيها أصلية). لقد زرت سيدة كنت أحمل لها رسالة توضح لها من أنا - لم تكن تعرفني - ولقد دعت خمسة أو ست رؤساء شركات كذلك في حفل، وأجبروني على الاستماع إلى أكثر الحوارات تخلفاً ورجعيةً في كل هذه الرحلة: حوارات كفيلة بإصابتك بالاكتئاب، لأن الطبقة المسيطرة في أمريكا لا تفهم إلا سياسة القوة، وهي لا تفكر بأن في العالم دولاً أخرى لديها مشاكل يلزم حلها أيضاً، حتى أن الروس يعرضون الحلول وهم لا يفعلون. وإصدار الأحكام القضائية التي أيدت أو عارضت نيكسون أُصدرت بهذه الطريقة. ولقد ساند رجل من التمويل والأمن نيكسون، لأن هذه المرحلة تحتاج رجلا قاسياً وقوياً. وعلى أي حال، فالجنوبيون يتكلمون كثيراً، كما تخيلتهم. لقد رافقني إلى المطار في ليموزين بعض الرجال العائدين من اجتماع للحزب الديموقراطي المحلي.. كما أظن. وفي أي موضوع كانوا يتحدثون برأيك؟ كانوا ضد اليانكيز والإيسترنرز الذين يثيرون السود، لأنه لا يوجد إلا عدد قليل من السود حيث يعيشون، لكننا نود أن نراهم هنا حيث يفوقنا السود عدداً، أربعون لكل أبيض واحد... إلخ، إضافة إلى كل الأشياء التي

تسمعها من الغربيين. حتى الأشخاص الراقين والمخاطرين تحدثوا عن هذا الموضوع أيضاً، لكنهم فعلوا ذلك بسخرية وأعربوا عن وجهات نظرهم المناهضة للفصل العنصري. هؤلاء الرافضون للفصل العنصري يوسعون على الوجود الأعزل والبائس للتقدم الأمريكي. (سأخصص جزءاً كاملاً من هذه اليوميات عنهم، لحالتهم كمنفيين)، أو إن كانوا أغنياء أو مرفهين فإنهم يعيشون في عزلة ولا يقابلون أحداً وحذرون في إبداء آرائهم كالفيلسوف جيمس فيبلمان - صديق أبانيتنو - الذي كتب اثنين وعشرين كتاباً أغلبها عن الأخلاق، ويملك منزلاً جميلاً مليئاً بالتماثيل: ٤ صنعها إبستنز، وواحد صنعه مانزو، وواحد من عمل النحات ماريني. جمال المنزل قاتل. والشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو أن تتصرف كأستاذ في اللغة الإيطالية في جامعة محلية. قابلت شخصاً يدعي كيشيتي وأجهل إن كان ناقداً أدبياً جيداً أم لا، لكنه متحفظ في أرائه قال يوماً «لن أرسل أبنائي لمدرسة فيها أطفال سود، وذلك لا يعود لأسباب عِرقية بل إلى كما تعرف.. لأسباب إجتماعية.. فالسود ينتمون لطبقة اجتماعية أقل». لكن هذا الناقد يفعل الشيء الوحيد الذكي ليبرر إقامته هنا في أمريكا: إنه يستثمر أمواله في البورصة. ممضياً صباحاته وهو يراقب أشرطة التداولات في سوق نيويورك للأوراق المالية، ومراقباً للتقلبات على شريط الملاحظة، ودارساً بدقة للحظة المناسبة للشراء والبيع بوجود شاشة في الغرفة تعرض آخر الأخبار استناداً إلى تعاملاتك، ومراقباً لصعود وهبوط المؤسسات الكبرى في أمريكا، كما أنه يقرأ صحيفة The Wall Street فور وصولها، وهذه هي الطريقة الوحيدة لتعيش في دولة رأسمالية ضخمة دون أن تكون مجهولاً فيها، إنها في الواقع طموح أمريكا الديموقراطي الحقيقي، لأنه حتى لو لم تعطك فرصة في المحافل المؤثرة، أو في أي سوق مالي، إلا أنها تبقيك في المنطقة النشطة التي تتطلب انتباهك الدائم لكل المجالات في هذه الدولة ذات الاهتمامات المحلية والإقليمية. لن

أتردد في الإفصاح عن أن أغلب المتحدثين أو الخطباء في هذا البلد هم ذوو اهتمامات رجعية دائماً، حتى اتحاد العمّال يرفض التفكير بشيء خارج نطاقه الاقتصادي. والناس - أغلب الناس - يتداولون بأسهم قليلة، ويشكل السماسرة الصغار في نظام التداول الحساس هنا، مخططاً لأكثر المتمدنين حداثة.

٦ مارس، مونتغومري، ألاباما

لن أنسى هذا اليوم ما حييت. لقد رأيت ما هي العنصرية، ورأيتها مقبولة كأحد قوانين المجتمع الأساسية. لقد حضرت أولى صراعات الجنوبيين السود والتي انتهت بهزيمتهم. أجهل إن كنت تعلم أن اعتصامات السود قد بدأت هنا بعد عقود من الجمود التام، في ولاية فيها أسوأ فصل عنصري في البلاد: نجح بعض هذه الاعتصامات في تحقيق غايته بقيادة مارتن لوثر كنج - معمد في الكنيسة - ومؤيد للاعتصامات السّلمية. ولهذا السبب جئت إلى مونتغومري أول أمس، لكني لم أتوقع أن أجد نفسي وسط هذه الأيام العصيبة من الصّراع.

مشهد اليوم هو في مبنى برلمان ألاباما - كان أول برلمان اتحادي، في شهور الإنفصال الأولى، قبل أن تنتقل العاصمة إلى ريتسموند - وهو مبنى أبيض يشبه برلمان واشنطن، ويقع على شارع دكستر العريض. أعلن الطلاب السود - من جامعة السود - أنهم سيذهبون إلى عتبات البرلمان لاعتصام سلمي ليعربوا عن رفضهم التام لطرد الطلاب التسعة السود من الجامعة، والذين حاولوا الجلوس في مقهى مخصص للبيض في Court Hall، مبنى محكمة الولاية. كان هناك اجتماع مع الطلاب عند الكنيسة المعمدانية المقابلة للبرلمان عند الساعة الواحدة والنصف (كان كنغ قسيساً فيها، لكن أتلانتا

هي مركز عمله الآن ومنها يوجه حركة السود كلها). لكن البرلمان كان قد امتلأ برجال أمن يحملون الهراوات، أما رجال الأمن على الطرق السريعة فقد ارتدوا قبعات رعاة البقر، والسترات التركوازية وبناطيل خاكية اللون. أما الناس البيض فقد احتشدوا على الأرصفة، أغلبهم من البيض الفقراء وهم أسوأ العنصريين؛ فهم شباب همجيون، مستعدون لاستخدام قبضاتهم للضرب، ويعملون في حركة تنظيم سري تدعى Ku Klux Klan، ويحتشد على الأرصفة أيضاً ذوو بشرة بيضاء ينتمون للطبقة المتوسطة، وعائلات مع أطفالها، اجتمعوا كلهم للمشاهدة وللمناداة بشعارات يستخدمون فيها الكلام البذيء بحق السود المحبوسين داخل الكنيسة، إضافة إلى عدد كبير من المصورين الهواة الذي يصورون أحداث يوم أحد غير عادية. وتراوحت مواقف حشود الناس بين السخرية كما لو أنهم كانوا يشاهدون قردة يطالبون بحقوقهم المدنية (سخرية حقيقية من أناس لم يتوقعوا قط أن أفكاراً كهذه تدور في خلد السود)، فراح البلطجية ينتشرون هنا وهناك على الأرصفة، وينعبون كما تنعب الغربان بكراهية، وعبارات استفزازية. وهناك أيضاً مجموعات صغيرة من السود الواقفين المنعزلين، نساء ورجال يرتدون أفضل ملابسهم ويشاهدون الموقف بصمت وثبات، في رد فعل ينم عن رباطة جأشهم. وشيئاً فشيئاً صار الانتظار لا يطاق، ويجب أن يُنهي السود تعبدهم ويستعدوا للخروج. لكن رجال الشرطة كانوا قد أغلقوا مدخل البرلمان، وازداد غضب البيض الواقفين على الأرصفة فبدأوا يصرخون: «اخرجوا يا زنوج!»، حينها بدأ السود في الخروج واحداً تلو الآخر من الكنيسة ويهم يغنون ترنيمة دينية. لكن البيض أثاروا المزيد من الصخب، وبدأوا بالعواء وإهانة السود. حينها وصل رجال الإطفاء وهم يحملون مرشات الماء، وانتشروا في المكان. ثم أصدر رجال الشرطة أمراً بإخلاء الشارع، أي لينبهوا البيض من أن البقاء سيعرضهم للخطر، بينما اختفت مجموعات

السود. سمعنا بعدها صوت حوافر خيول واخترق المشهد صوت رعاة بقر يرتدون شارات الدفاع المدني، وهي مليشيا متطوعين للحفاظ على النظام العام، مدججين بالعصي والبنادق. إن هدف الشرطة والميليشيا هو تجنب الحوادث ومراقبة السود، لكن في واقع الأمر، ظل البيض مسؤولين عن الشارع، وأما السود فقد ظلوا في الكنيسة ينشدون الترانيم، وتمكنت الشرطة من إبعاد البيض المسالمين فقط، أما الدمويون فصاروا يهددون ويتوعدون. وأنا الذي كنت مهتماً بنتيجة هذا الحدث، صرت محاطاً بأناس أعنف وأقوى شيئاً فشيئاً (وبطبيعة الحال، كنت وحدي، فالبيض المناصرين للسود لا يمكن أن يكشفوا عن هوياتهم أبداً)، كما أُحطت بناس كانوا هنا كما لو كانوا سيشاهدون شيئاً مضحكاً، وليثيروا الجلبة فقط. (سأعرف لاحقاً - ورغم أني لم أره - أن بين الحشود كاهن الكنيسة المنهجية وهو الوحيد الذي يمتلك الشجاع في مونتغومري ليقف إلى جانب السود. وقد فجرت جماعة KKK منزله المقابل للكنيسة، وساعد السود للخروج بسلام من باب الكنيسة إلى السيارات، وأكرر أنني لم أره بأم عينيّ. كل الصور التي في ذهني لها علاقة بهذه الحرب العرقية المتطرفة.) بدأ بعد ذلك أصعب جزء شاهدته: خرج السود من الكنيسة فرادى، وقد توجه بعضهم إلى الشارع الجانبي الذي لا يمكنني رؤيته، لكني أظن أن الشرطة قد أخلته من البيض، وتوجه الآخرون إلى دكستر أفنيو في جماعات صغيرة في طابور على طول الأرصفة التي تجمّع عليها البيض، وكان السود يبتعدون في صمت وأيديهم مرفوعة عالياً وسط صيحات تهديد وسخرية، وإهانات وإشارات جسدية يقوم بها البيض. وعندما يقول أحدهم نكتة عن السود، ينخرط النساء والرجال في نوبة ضحك هستيري، وقد يحدث هذا دون سبب، وهؤلاء الناس كما علمت هم أسوأهم. لقد اختلطت العنصرية مع ود وألفة السود. وأكثر المحبوبين كن الفتيات السود: فقد خرجن إلى الشارع كل اثنتين أو ثلاث مع بعضهن

والبيض يبصقون على الأرض عند أقدامهن، وكانوا يقفون وسط الأرصفة ويواجهون الفتيات بطريقة تجعل الفتيات يمشين في خط متعرج ليسقطن، لكن الفتيات السود واصلن حث بعضهن البعض ليمشين بطريقة لا توحي بأنهن يتجنبن أولئك البيض، ولكي لا يُغيّرن طريقهن إن اعترضهن البيض، كما لو أنهن معتادات على هذه المشاكسات منذ ولادتهن.

لكن البيض هم من لم يعتادوا على هذه المشاهد، لأن السود لم يجرؤوا قط على فعل مثل هذه الأشياء، وهم بلا شك يجهلون ما يمكن قوله عدا أنه كان هناك تسلسلاً سببه الشيوعيون. في السنة الماضية، كانت أولى المواجهات، حيث قاطع البيض ركوب الحافلات بعد حادثة (القاء القبض على فتاة سوداء أرادت الجلوس في مقعد مخصص للبيض) تلتها مظاهرة كبيرة وناجحة للسود. بعدها حاول السود اللجوء للتصعيد القانوني لتفتح حدائق البيض العامة أبوابها ومسابحهم... إلخ للسود. وقد نظّم هذه المظاهرات النّاشط السّياسي والشّاب الأسود لوثر كينغ. لم يمتلك لوثر كنغ أي برنامج اجتماعي أو سياسي محدد سوى المطالبة بحقوق تساوي السود بالبيض. ولا شك أن ما إن ينال السود حقوقهم، فإنهم سيكونون محافظين أكثر من البيض، كما حدث مع الأقليات الأخرى التي ظهرت من الفقر كالإيطاليين والإيرلنديين. لكن روح الصراع هذه تُميّز أمريكا اليوم، وهي كذلك مهمة لأن هناك تحركاً يقوم به الطلبة والطالبات السود، وهم يؤمنون بنجاحهم ولا يسعون وراء إثارة الانتباه فقط. لقد عاشت المدينة توتراً شديداً أمام سلسلة المقاهي المواجهة لدار القضاء في الأسبوع الماضي. فجماعة KKK كانت قد فخخت عدداً من منازل السود (زرت بعض جرحى التفجيرات) وقبل بضعة أيام ضرب أحد أفراد هذه العصابة امرأة سوداء على رأسها بمضرب بيسبول. ولم يجد القاضي ذلك الشاب مذنباً رغم شهادة الشهود، والصور الفوتوغرافية،

إلخ. وأصعب شيء يحاول الأوروبي فهمه هو الأشياء التي يمكن أن تحدث في بلد ٧٥٪ ليس به فصل عنصري، وكيف يمكن أن يكون للسود مساحة خاصة بهم لا تتواصل مع باقي الدولة. لكن الولايات ذات الحكم الذاتي أبعد ما تكون عن اهتمام واشنطن أو رأي العامة في نيويورك - لنقل على سبيل المثال - من الشرق الأوسط. ويستحيل على السود (أو ربما ينقصهم) إيجاد حلفاء يساندون كنغ أو ناشطي الجناح الأيسر الذين يؤمنون أن النقطة الفاصلة في صراعهم هذا هو السماح لهم بالتصويت. يقف في صف كينغ الآن حلفاء من حركة البلاد المستعمرة، لكنهم يقدمون الدعم المعنوي فقط. لقد سافر كنغ في الفترة الأخيرة إلى غانا، ومصر، والهند. ودُعي كذلك إلى روسيا لكنه رفض الدعوة لسبب ما. وفور وصولي إلى مونتغومري - أشد البقاع توتراً - علمت أن كينغ كان في البلدة وطلبت مقابلته. كان رجلاً قوي البنية وشديد البأس، ويشبه بورقيبه قليلاً من الناحية الجسمانية، وله شارب خفيف: ولا توجد علاقة بين كونه قساً بمظهره الجسماني (ووريثه والرجل الثاني في السلطة شاب سمين وله شارب خفيف أيضاً، ويبدو كأنه عازف جاز) هؤلاء السياسيون لا يملكون إلا سلاحاً واحداً وهو منبر الخطابة، وحتى سِلْمِيَتهم لا يحيط بها هالة غموض؛ إنها الشكل الوحيد الممكن للصراع وهم يستخدمونه بمهارة سياسية مُتَحَكّم بها، حيث تعلموها من الظروف القاسية التي عاشوها. إن هؤلاء القادة السود ‖ وقد تعرفت على بعضهم في الأيام الماضية ومن ميول سياسية مختلفة ‖أشخاص فصيحون وحازمون، لا يشفقون على أنفسهم لأنهم سود (رغم أني كنت أجنبياً غير معروف تطفل في أيام حافلة بالأحداث بالنسبة لهم). إن المسألة العرقية مشينة: لم تتحدث أو تفكر منطقة كبيرة مثل الجنوب في أي شيء آخر لقرن كامل، إلا بهذه المسألة، سواء أكانوا تقدميين أو رجعيين. ذهبت بعد ذلك إلى الكنيسة بِمعيّة سود وكان كنغ هناك وقائد أسود آخر لحضور اجتماع

مجلس الحرب ليناقشوا أحداث يوم الأحد التي كتبت عنها. ثم ذهبنا إلى كنيسة أخرى اجتمع فيها كنغ مع طلبة لإعطائهم تعليمات، وشاهدت هذا الاجتماع المؤثر وكنت الأبيض الوحيد وسط ثلاثة آلاف طالب، ولعلي الوحيد الذي فعل ذلك في تاريخ الجنوب كله. جئت إلى هنا لأسلم رسائل لسيدات رجعيّات من الطّبقة الرّاقية. لقد قَسّمت وقتي بمهارة فائقة كي لا يعتبروني جاسوساً (علاوة إلى أن جميع البيض ممنوعون قانونياً من دخول منازل السود أو سياراتهم). ذهبت بعد الكنيسة إلى مسرح المدينة حيث يجتمع بعض المحترمون لمشاهدة العرض الأول لباليه شيكاغو. وقد دعاني صحفي في صحيفة محلية صفراء لأنه صديق جيد لمخرج العمل الدومينيكاني Trujillo. وبعد أحداث مبنى البرلمان وعواطفه الجيّاشة، تمكنت من الحصول على عشر دقائق من السكينة، ثم جاءت سيدة من الطبقة الراقية لتصطحبني بسيارتها وتُريني مصنعهم المُخصّص للخيار المُخلل الصّغير. كانت تُلمح بكل وضوح إلى أن مُسَبّب مشاكل هذه الأيام هو لوثر كينغ. لقد أعطاني المجتمع الأرستقراطي في الجنوب انطباعاً عن غبائهم الشديد لأنهم يريدون الرجوع إلى أمجاد الكونفيدرالية. فالولاء للكونفيدرالية لا زال موجوداً فيهم حتى بعد مرور مئة عام، وكانوا يتحدثون عنه معي بنبرة واثقة، كما لو كانوا يتحدثون عن أيام شبابهم، وهذا أمر سخيف ولا يطاق بتاتاً.

٨ مارس ١٩٦٠

لقد عبرت في يوم الأحد ٧ مارس ألاباما وجورجيا مستقلاً الحافلة، ومررت بمناطق شديدة الفقر في الريف. إنها أكواخ السّود الخشبيّة في قرى صغيرة ومُزرية الحال. إن الاستنتاج المحزن هو أن ليس للاقتصاد الأمريكي أدنى قدرة على حل مشكلات المناطق النامية، وأي محاولة لتحسين المعيشة هنا كانت في فترة «الصفقة الجديدة»، ولم تحدث أي تنمية بعدها مطلقاً،

وانهيار اقتصاد الجنوب قد يفاجئك. لكنني لست مدهوشاً من حقيقة أنهم لازالوا يتحدثون عن الحرب الأهلية كما لو أنها كانت بالأمس. لا توجد أي محاولة لإعادة بناء الجنوب بعد الحرب الأهلية الأمريكية منذ مئة عام.

ولهذا، كان انطباعي عن الجنوب ليكون مجهولاً، لو لا أنّي اكتشفته بنفسي.

سافانا

توقفنا عند سافانا، جورجيا للنوم ولرؤيتها. وقد جذبني إليها اسمها الجميل وشيء من إرثها التاريخي، والأدبي، والموسيقي فقط. لكن لم ينصحني أحد بزيارتها.. ولا أي شخص في أي ولاية من الولايات المتحدة. ووجدت أجمل مدينة في الولايات المتحدة. ولا يمكن مقارنتها بأي مكان آخر. لم أرى شارلستون وساوث كارولينا حتى الآن، وسأزورهما غداً، وهما أكثر شهرة من سافانا. إن سافانا منطقة لا يزورها الكثيرون (عدا نخبة السياح الذين ينتقون الأماكن السياحية بعناية فائقة فهم يربطون التاريخ بمخطط البلدة - لكن لعل سبب سحرها، هو أن السياحة الداخلية الأمريكية لم تمسسها حتى الآن، والتي هي في أغلب الأحيان زائفة). إنها بلدة لم تمسسها يد التغيير، ولا زالت كما كانت في عهد الجنوب المزدهر في بداية القرن التاسع عشر، في أيام ذروة تجارة القطن. وهي إحدى المدن الأمريكية القليلة التي تم تخطيطها عمرانياً بشكل مميز، فتخطيطها منطقي جداً ومتنوع ومتجانس. وعند كل تقاطع هناك ساحة من الأشجار المصطفة والمتماثلة في طولها، لكنها مختلفة في نوعها، بتنوع البنيان الذي تم بناؤه في الفترة الممتدة من فترة الاستعمار إلى فترة الحرب الأهلية. بقيت هناك يوماً واحداً تجولت فيه من شارع إلى شارع، مستمتعاً بنشوة الإحساس بالمدينة الذي نسيته. ولا يمكنك فهم تاريخ الجنوب إلا برؤية سافانا، فمدينة نِتاج تاريخ. وبلا شك هي إحدى المدن التي فيها ملل قاتل، لكنه ملل مغلف بشيء من العقلانية والبروتستانية

الإنجليزية. هي مدينة مملة وأنيقة، وفي فنادقها إرشادات تفصيلية توضح لك خطوات التصرف عند سماع إنذار غارة الطيران. وأشهر شخصية ولدت هنا هي مُؤسّسة منظمة Girl Scouts.[1] وفي منزل زرته (بدافع الفضول لأتعرف على السكان) قدموا الشاي لي، أعني شاياً وليس ويسكي، وليس نبيذاً.. مجرد شاي، وهي سابقة في هذا البلد. وهنا أيضاً، كما في كل مكان آخر في الجنوب، لا تتحدث العجائز إلا عن أسلافهن، ورغم أنك تعي تماماً معنى أن يكون الجنوبي سيداً نبيلاً أو سيدة نبيلة، بينما في مونتغومري هم غير مألوفين رغم ثرائهم وهم أغنى من نظرائهم في الجنوب. بينما يشير كل شيء في الجنوب إلى الفقر المدقع والنزعة الأبوية للتحكم بالسود (تقع المدينة قبالة الميناء، وهو أول ميناء ألمس فيه أمريكا العتيقة). سأخبرك عن ذلك غداً.

٩ مارس ١٩٦٠

شارلستون

مليئة بروائع تسمى بمنازل (ما قبل الحرب) ويعود بعضها إلى القرن الثامن عشر، لكنها قذرة وآيلة للسقوط. وكمدينة لا يمكن مقارنتها أبداً بسافانا.

أما الآن؟

فيمكنني أن أعود إلى شمال كارولينا حيث

دعيت للجامعة في تشابل هل.

1- منظمة للفتيات الأمريكيات واللاتي يعشن خارج الولايات المتحدة لإكسابهن القيم وتعليمهن مهارات الحياة وتم تأسيسها في عام ١٩١٢. (المترجمة)

أو العودة إلى الغرب، حيث دعيت إلى كولورادو.

ومن هناك سأسافر إلى يومنغ، حيث

دعيت إلى مزرعة.

ومن هناك سأسافر لأقصى الشمال الغربي، إلى سياتل

في ولاية واشنطن.

ولن أغفر لنفسي خطيئة عدم زيارة الشمال الشرقي.

وسأعود، زائراً شيكاغو، حيث سأبقى لعدة أيام بالتأكيد

هنالك المزيد ليتم اكتشافه.

لكني أود بالتأكيد أن أعود

إلى المدينتين الكبيرتين في كاليفورنيا.

أود أن أواصل السفر في طريق متعرج

حول القارة، كما كنت أفعل في الشهرين الأخيرين.

لكن عوضاً عن ذلك،

سوف أعود إلى نيويورك لأمضي فيها الشهرين اللذين يفصلاني عن أوروبا. لأن نيويورك مدينة لا جذور لها. وهي الوحيدة التي أفكر بالإقامة الدائمة فيها. وعلى أي حال فترة شهرين ليست كافية.

شهران سيقْصُران بسبب دعوات متتالية،

كل دعوة ستحتاج ثلاثة أو أربعة أيام ولهذا

دوّنت التزاماتي ومواعيدي بدقة:

في كلية الفتيات المليونيرات

في بينينغتون، فيرمونت

في جامعة ييل

ثم سأعود مجدداً إلى جامعة هارفرد

ومرة أخيرة إلى واشنطن.

وهكذا أنا الآن معذب بفكرة

أن أيامي

في نيويورك سوف تنقضي بطرفة عين،

والشيء الوحيد الذي ندمت عليه

هو عدم قدرتي على البقاء مدة كافية في هذه المدينة

التي لم أسمع عنها سوى نقد سلبي، وقد أخبرتك عنه.

[يوميات لم تنشر. يسرد فيها كالفينو تفاصيل رحلته إلى الولايات المتحدة في رسائل بعثها إلى دار أينودي للنشر والتوزيع]

الشّيوعي المَشطور

لقد قابلت إيتالو كالفينو في سان ريمو. هذه مقابلة قصيرة معه في أيام الصيف: لم تتجاوز عشر دقائق ساد الصمت معظمها. لكن القاعدة التي فرضت منذ سنوات لم تعد سارية المفعول هذه المرّة: وهناك أسباب عدة تستلزم استثناءً. أول هذه الأسباب هو كتاب ضخم صدر بعنوان أسلافنا عن دار أينودي، وهو يضم روايات عدة من بينها: الفَيْكونت المشطور، والبارون فوق الأشجار، والفارس الخفي. كما يضم أيضاً تفاصيل رحلة هذا الكاتب إلى أمريكا. لا أعلم من أين يجب أن أبدأ، لكنني أعلم علم اليقين الهدف المنشود من هذا الحوار مع كالفينو لقرائنا، وأجد فجأة من خلال تخطيط ذهني لسيرة حياة هذا الكاتب اللّيغوري[1] صورة تشيزاري بافيزي. إنها نقطة أساسية يجدر الرجوع إليها، وهي طريقة تعود بكالفينو إلى جذوره بدلاً من البدء بالتعرف على مراحل تطوره ككاتب (من خلال محاولة ربطه بليغوريا التي نشأ فيها) وتكوينه الفكري، وربما أشياء أخرى. وهناك تاريخ مهم بهذه المناسبة، تاريخ يُمهد لحقبة طويلة في تاريخنا.. إنه تاريخ الذكرى العاشرة لوفاة بافيزي والذي يصادف السابع والعشرين من هذا الشهر. أعود بكم إلى ألم ومفاجأة تلك الأيام من خلال مراجعة كل الأحداث منذ ذلك الوقت، وما أصبحنا عليه كأفراد وأسَر، وهو السؤال الأول في هذه المقابلة الذي سأوجهه لكالفينو. وستأتي الأسئلة الأخرى تباعًا: أعماله، ورحلته إلى أمريكا، وأفكاره السياسية. في الحديث عن بافيزي غوص في تاريخنا. فما هو رأيك في أعمال بافيزي بعد عشرة أعوام من وفاته؟

---

١ - من ليغوريا. (المترجمة)

جاء رفاق من روما إلى تورين قبل بضعة أسابيع ليُصوروا فيلماً وثائقياً عن مدينة بافيزي. واصطحبتهم إلى هناك حيث ذهبنا إلى نهر بو، والحانات، والتّلال. لقد تغيّر الكثير خلال عشر سنوات تغيّراً فاق تصوري. وهناك فعلاً ما يُعْرف بـ «عصر بافيزي» وهو عصر طويل - دام عشرين عاماً من ١٩٣٠ إلى ١٩٥٠ - وهي سنوات لها سحنة الحرب، سحنة ألقت بظلالها على الشوارع، وعلى تصميم الأشياء، وعلى هيئة النّساء، وعلى تصرفات النّاس، وعلى المناخ النّفسي وعالم الأفكار، وجميع ما سبق ذكره هو سبب رئيسي لإحالة بافيزي إلى الماضي، وللتأكيد على قيمته الأدبية، لأننا لم نُعره أي اهتمام سابقاً: كان كاتباً قد وثّق فترة حياته بتفصيل لا مثيل له عبر تسع روايات قصيرة، ولو جمعنا هذه الرّوايات في مجلد واحد لكان عنوانه الأنسب «الكوميديا الإنسانية». لقد استعصى علينا فهم الكثير من كتاباته، لكن تبيّن فيما بعد أنها تحمل قوة شعريّة مذهلة! هل يوجد شاب في هذه الأيام يتألم لأن الليالي تؤرقه، ولأنه يجهل ماذا عليه أن يفعل وأين عليه أن يذهب؟ أيوجد شاب لا يشغله موضوع عذريته وملّ من سطحية الآخرين، لا لأنّه تشبّع بالماديات، بل لأنّ هناك حشداً من الناس داخله؟ إنها آلام صادقة ويصعب تخيلها، ومع ذلك نشعر بها ونحن نقرأ بافيزي! هل العزلة مؤلمة لهذا الحد؟ كانت كتابات بافيزي جلِيّة ومؤلمة وصعبة الفهم، كما كانت كتابات ليوباردي جلِيّة، ومؤلمة، وصعبة الفهم.

تتمتع روايات بافيزي التسع بأسلوب مميز ووحدة موضوعية مكثّفة جداً، ومع ذلك فكل منها يختلف عن الآخر. كنت أظنّ أن روايَتَيْ La Casa in Collina (منزل في التل)، وTra donne sole (بين النساء فقط) أفضل رواياته. لكني أعدت قراءة رواية Il divolo sulle colline (الشيطان في التلال) مؤخراً، والتي كما أذكر.. كانت رواية لم أفهمها عندما سلّمني

بافيزي مخطوطها لقراءته. يتضح لي الآن أنها قصة لها عدة طبقات ويجب أن تُقرأ على هذا الأساس، ولعلها أثرى رواياته فهي تحمل بين طياتها تعقيداً ونقاشاً فلسفياً حياً (رغم إسهابها قليلاً)، كما تحمل أيضاً روح بافيزي المُفكّر بين صفحاتها.. بافيزي صاحب اليوميات والمقالات.

لم يسلك أي شخص في الأدب الإيطالي طريق بافيزي طبعاً، لا من ناحية اللغة، ولا من ناحية استخلاص التّوتر الشعري من قصة حقيقية وموضوعية، ولا حتى في يأسه، والذي بدا العنصر الأهم في حياته. (حتى معاناته الداخلية كانت شيئاً موسمياً. من يريد أن يعاني اليوم؟) صار بافيزي الصوت الأكثر عزلة في الشّعر الإيطالي، كما ورد في مقدمة طبعة قديمة من كتابه Lavorare stanca (عمل متعب)، وهو تعريف أنا من كتبه.

حتى أنا، من قُدّر لي أن أتتلمذ على يديه، بأي حق أستحق ذلك التّصنيف؟ إن ما يربطني ببافيزي هو سعينا الحثيث وراء أسلوب شعريّ وأخلاقيّ، نوع من الخشونة، وحب يشترك به العديد من الكتاب: كل الأشياء التي ورثتها عنه، خلال خمس سنوات من اللقاء اليوميّ به، ليست بالأمر البسيط. لكن في عملي الخاص - خلال السّنوات العشر الماضية - ابتعدت عن عادة أن يكون بافيزي القارئ الأول النّاقد على كل ما أكتب. لا يعرف أحد ماذا سيقول لي الآن! إن بعض النّقاد لا يفهمون كتاباتي أبداً، فهم يقولون إني استوحيت قصصي الخيالية من آراء بافيزي عن الأساطير. ما شأنهم من أين استوحيتها؟ في الواقع، لقد أكد بافيزي في مقالاته الأخيرة على فكرة أن الكاتب لا يجب أن يمنح أي صورة استعارة (كان ليستخدم كلمة أسطورية) من عصور أو ثقافات أخرى، بل عليه أن يستمدها من عصره وثقافته، أي أنه لم يُجنّد ذلك النوع من الأدب الذي كنت أكتبه وصرت أستخدمه بشكل أقل بعد وفاته. إنّ أساليبنا في العمل مختلفة جداً؛ فأنا لا أبدأ من المنهج الشعري وأسلك دائماً

دروباً فيها مجازفة، على أمل النجاة بسبب قوتي الفطرية. ولم يفعل بافيزي ذلك، فهو لم يؤمن بوجود شيء يسمى غريزة الكاتب. ويجب أن يكون للكتابات أساس صلب وواضح، ولم يُقْدِم بافيزي على خطوة ما لم يكن أكيداً منها في الأدب. ليته كان كذلك على أرض الواقع.

- بما أنك قد تطرقت للموضوع، هل لك أن تخبرنا عن السبب الذي جعلك تفضل الصور المستمدة من الواقع على الخيال لفترة ما في كتاباتك، وابتعادك أيضاً عن الموسيقى المباشرة والفورية للأشياء.

- لقد حاولت الإجابة على هذا السؤال في مقدمة كتابي أسلافنا والذي يضم رواياتي الثلاث: الكوميدية والملحميّة والشّعرية معاً: الفيكونت المشطور، والبارون فوق الأشجار، والفارس الخَفي، وبما أن الثلاثية قد اكتملت، فهي الآن موجودة لمن يريد دراستها أو الاستمتاع بها، ولم يعد ذلك من شأني أبداً. إن ما يهمني فقط هو خطوتي التالية، ولا أعلم ما هي الآن. لكن وكما أخبرتك سابقاً، لا أبدأ من فكرة منهجها شعري بحت، ولا أقول لنفسي أبداً: «سوف أكتب الآن قصة واقعية أو موضوعية أو قصة نفسية». ما يهم هو ماهيّتنا والطّريقة التي تُمكّننا من تعميق علاقتنا مع العالم ومع الآخرين، وأن نحب كل الكائنات ونرغب بتطورها. بعدها ضع قلمك على الورقة البيضاء، وابدأ الكتابة من نقطة محددة، وستنتج علامات سوداء لها معنى، بعدها انتظر نتيجة هذه العملية. (ومن الصواب أيضاً تمزيقك لكل ما كتبته).

- لقد سمعت أنك تكتب كتاباً تضم فيه انطباعاتك عن رحلتك للولايات المتحدة. هل تظن أن السفر يساعد الكاتب في هذه الأيام؟ وما الإيجابيات والسلبيات التي استخلصتها من تجربة السفر إلى أمريكا؟

- كنت قد أقسمت أنّي لن أكتب كتاباً عن أمريكا عندما شددت الرّحال

إليها وخلال إقامتي فيها (كتبتُ الكثير عنها!). لقد غيّرت رأيي. إن كتب الرحلات مفيدة، وبسيطة، وهي نوع آمن من الكتابة. إنها كتب لها استخدام عملي، حتى لو أنها - أو لأنها تحديداً - تتحدث عن دول تتغير من عام لعام، ومن خلال كتابتك عنها فإنك توثّق جوهر تغيراتها، وفي كتب كهذه يمكنك أن تعبر عن شيء يتعدى وصف الأماكن التي شاهدتها، إنها علاقة بين ذاتك والواقع، إنها عملية معرفة.

هذه أمور صرت أؤمن بها في الآونة الأخيرة. فحتى الأمس كنت أظن أن للسفر تأثيراً غير مباشر على المادة التي أكتبها. ما يهم هنا، هو أنه كان لدي بافيزي كمعلّم، وهو عدو السّفر الأول. كان يقول لي إن الكتابة تأتي من جرثومة تحملها فيك لسنوات، وربما منذ خلقت. ما أهمية يوماً أو أسبوعاً قضيته هنا أو هناك على عملية النضج البطيئة هذه؟ إن السفر تجربة حياة بلا شك، يمكنه أن يُنْضِج أو يُغيّر شيئاً فينا كأي تجربة أخرى، والسفر رحلة تعلمنا أن نكتب بشكل أفضل، لأنه يضيف إلى معرفتنا شيئاً عن هذه الحياة. فعلى سبيل المثال، إذا سافر تلميذ إلى الهند، فإنه سيكتب - لنقل - عن يومياته في أول يوم له في المدرسة بشكل أفضل. وعلى أي حال، طالما استمتعت دائماً بالسفر بغض النّظر عن تأثيره على الأدب. ولهذا سافرت إلى أمريكا: لأني كنت مهتماً بالولايات المتحدة، وكيف تبدو، وليس لأني أردت القيام بحج أدبي أو أردت إلهاماً.

وعلى الرّغم من ذلك، هيمنت علي رغبة لم أعرفها قبلاً في معرفة واكتساب حقيقة متعددة الأشكال ومعقدة في الولايات المتحدة. ما حدث كان أشبه بالوقوع في الحب. فالعشّاق كما يعرف الجميع يمضون الكثير من الوقت في الجدال. وأجدني حتى بعد عودتي من السّفر في جدال مع أمريكا في قرارة نفسي. وعلى أي حال، أنا أواصل العيش داخل تلك التجربة، أقذف بنفسي

بتوق على كل ما أسمع أو أقرأ عن أمريكا، وهي الدولة الوحيدة التي أظنني أفهمها.. أرى الآن أن موسيقى الأشياء استولت علي كما ذكرت يا كارلو، ويجب أن أسرع في تدوينها على الورق.

نواح سلبية للسفر؟ سيخبرك الجميع أنه يلهيك عن مجموعة الأشياء التي تكون عالمك الشعري. إنه يفرقك عن التّركيز الذي يُفضي بك إلى الخلق الأدبي. ولكن حتى لو كان تفريقاً، فما الضّير؟ بمفهوم بشري، من الأفضل أن تسافر على أن تبقى في المنزل. عليك أولاً أن تعيش التجربة، ثم تُفلسفها، ثم تكتبها، وفوق هذا كله، يجب أن يعيش الكُتّاب تجربة تؤثر على إدراكهم لحقيقة العالم.. وهذه التجربة هي ما ستُكوّن أدب هذا العصر وليس أي شيء آخر.

-إذن ماذا تعني العودة إلى الوطن بالنسبة لك، وما القيمة التي تعتز بها بصفتك مواطن من ليغوريا؟

ينقسم الليغوريون إلى قسمين: أولئك المتعلّقون بمكانهم مثل بطلينوس عالق على صخرة لا تستطيعُ أن تزحزحه عنها أبداً. وأولئك الذين يعتبرون العالم منزلهم، وأينما ولّوا وجوههم سيجدون أنفسهم في المنزل. لعلي أنتمي إلى النوع الثاني ولعلك أنت كذلك تنتمي إليه.. تعود للمنزل ويزداد تعلّقك بأرضك أكثر من السابق، لكن صار التعرف على منطقتي الريفييرا الشرقية صعباً في الخمسة عشر سنة الماضية، وقد يعود سبب ذلك إلى رغبتي في إعادة استكشاف ليغوريا في ذاكرتي تحت كل هذا الإسمنت، إنه عملية التزام وطني خان حتى عشقي لهذا المكان. إنها عملية تشبه إلغاء هيمنة العقلية التجارية بغية إيجاد أساس أخلاقي قديم كانت عائلاتنا تملكه، ولا بد أن هذا يعني الكاثوليكية مع معان جنسانية إضافية بالنسبة لك يا كارلو، بينما يعني لي ذلك موروثاً علمانياً يرجع أصله إلى المازينية وأصول التفكير الماسوني

الحر، وكلاهما يوجهنا إلى أخلاقيات «الإنجاز». إن ما يربطني بالوطن هو الأرض التي امتلكناها في سان ريمو، وذكرى أبي التي صارت أبعد شيئاً فشيئاً، إنه أحد أغرب الشخصيات، كما يربطني بالأرض خصائص جيل نشأ بعد Resorgimento[1]، وآخر ليغوري يمثل ليغوريا التي ما عادت موجودة (وهو مثالي رغم أنه قد قضى ثلث حياته في الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي).

أنا أدرك أنها عوامل عاطفية، حيث أني أسعى دائماً للنظر للأشياء من نواح متقدمة تخص العالم المنتج، وقطاعات المجتمع هي الأهم في التاريخ الإنساني، سواء أكانت في أوروبا الصناعية أو أمريكا أو روسيا. لقد شغلني هذا التعارض كثيراً عندما كنت أكثر شباباً: لو أني كنت أعلم أن ما يهم هو العالم الذي وصفته قبل قليل، لما بقيت مرتبطاً بالريفييرا التي تعتمد أساساً على الاقتصاد المالي، ولما بقيت عالقاً بين سياحة مزدهرة وزائفة والزراعة المهمة لتلك المنطقة؟ ومع ذلك، عندما كتبت قصصاً كانت أحداثها في الريفييرا، كنت قد شاهدت الصور بوضوح في ذهني، وعندما صرت أقل تركيزاً وصارت الصور رمادية، بدأت أكتب عن العالم الصناعي. في الحقيقة نحن نكتب جيداً عن الأشياء الي تركناها خلفنا، لأنها تمثل شيئاً مكتملاً بالنسبة لنا (رغم أننا سنكتشف عدم اكتمالها لاحقاً).

يجب أن تبدأ دائماً من تاريخك. قد يؤدي النقد السوسيولوجي إلى تكوين أساسٍ صلبٍ بدل التحرك على غير هدى. ويعرف الجوهر الحقيقي لكل كاتب من آرائه، وسوف يعري التاريخ الاجتماعي الزيف لأنه سيختلف اختلافاً تاماً مع الجوهر. وفي حالتي سيكتشف النقاد أني ريفي ومزارع، وعامل مجتهد، ولئيم، وكريم مع الدولة وجامع الضرائب، سيكتشفون أني

1- حركة إيطالية سياسية. (المترجمة)

ناقم على اقتصاد زراعي لا يعود بفوائد، وسيجدون تأنيب ضمير شعرت به لتسليم بلدي إلى المستأجرين، ومقترحات وحلولاً لمصيبة ما: لعل الشيوعية أو العالم الصناعي أو الحياة عديمة الجذور لمثقفي عصر السرعة تعيد استكشاف التناغم المفقود في العالم الحقيقي.

إن كان عليك كتابة ملخص عن خبراتك السياسية، فعلى أي النقاط ستؤكد؟ وأي صداقة ساعدتك على أن تكون ما أنت عليه، وأيهما أكثر أهمية الأفكار أم البشر؟

لقد عدت من أمريكا قبل أشهر قليلة، وكانت هناك سلسلة محاضرات في تورين عن الفاشية ومعاداة الفاشية، قُدّمت جميعها كلها على تياترو ألفيري، وتعرفت على وجوه أشخاص من الحضور كانوا ينتمون لعالم صغير كبير يعادي الفاشية.. إنهم رجال «المقاومة». لقد اجتمعوا مجدداً رغم أنّ كلا منهم قد سلك درباً مختلفاً في الحياة، كما حضر كثير من الشباب. من الرائع أن نجتمع جميعاً هنا، وما زال الرفاق مهمين، وامتلكنا البرهان على ذلك بعد فترة قصيرة.

إن البشر أهم من الأفكار دائماً. وللأفكار أعين، وأنوف، وأفواه، وأذرع، وأرجل بالنسبة لي. أجد أن التاريخ السياسي هو تاريخ حضور الإنسان قبل كل شيء. ستدرك أن إيطاليا مليئة بأشخاص رائعين عندما لا تتوقع ذلك.

لا بأس بجيلي حتى لَو لمْ يقمْ بالكثير، لقد حافظ السّياسيّون من رفاقي على أهميته، رغم مشاغلهم في الحياة، وهذا الشّغف بالمجتمع المدني هو عصب تطور جيلنا الثّقافي: وإذا كانت اهتماماتنا كثيرة ومختلفة، فقد ذلك يرجع إلى سبب واحد. وإن نظرنا إلى أوروبا، وأمريكا، وإلى المعاصرين وأولئك الذين يصغروننا سناً، فيجب أن أقول إنّنا كنّا محتالين. فالشباب الذين نشأوا في إيطاليا بعدنا واسعو الاطلاع ويعرفون أكثر مما كنّا نعرف، لكنهم نظريون،

ويستمدون شغفهم الأيديولوجي من الكتب، بينما كان شغفنا الأول هو الأفعال.. هذا لا يعني أنّنا كنا سطحيين، بل على العكس تماماً.

وكما ترى، فأنا أحاول هنا إعطاء وصف عام لتحديد الاستمرارية بين الوقت الذي كُنت فيه عضواً في حزب والوقت الحالي الذي أنا فيه حر. لأن الاستمرارية هي ما يهم، وهي العنصر المميَّز في أي واقع. ما هي أفكاري السّياسية الآن؟ لعلي لا أفهم الكثير من المسائل حالياً، لكنّي أعتبر نفسي مواطناً مثالياً في عالم مبني على الفهم المشترك بين أمريكا وروسيا. وهذا بلا شك يعني أن العديد من الأشياء ستتغير في الطّرفين، كما يعني الاعتماد على رجال جُدد ينشأون في كلا الطرفين. وماذا عن الصّين؟ إن تمكنت كل من أمريكا وروسيا على التعاون لحل مشكلات العالم، فإنه يمكن تجنب الكثير من الدروب المؤلمة.. هناك ما يكفي من الألم أصلاً. وماذا عن إيطاليا؟ وأوروبا؟ لا أعلم، إنْ كنّا نستطيع التّفكير بطريقة ليست محدودة بل على مستوى العالم فإنّنا حينها لن نكون بيادق مُغيّبة في المستقبل، بل زعماء حقيقيين.

[مقابلة مع إيتالو كالفينو أجراها كارلو بو، ٢٨ أغسطس ١٩٦٠]

سيرة سياسية لشاب

١. ما الأفكار التي نشأت عليها قبل الحرب؟

٢. ما هو تأثير الحرب على تطورك؟ هل كانت تعني انهياراً، أم تغييراً، أم تأكيداً على أفكارك؟

٣. متى، أو لماذا انخرطت في النشاط السياسي، وما الاعتبارات التي أثرت في اختياراتك؟

٤. اذكر إن أمكن القيم التي آمنت بها آنذاك، وتلتزم بها إلى الوقت الحالي.

ا. طفولة تحت ظلال الفاشية:

١) كنت في السادسة عشر من عمري في عام ١٩٣٩، ولذلك فإن الإجابة عن السؤال المتعلق بالأفكار التي دارت في رأسي قبل الحرب يعني أنه علي الانتباه إلى التعميمات، وعلي أن أعيد بناء مجموعة من العواطف عوضاً عن مجموعة من الصور.

إن خطر كتابة السير الذاتية كمفتاح سياسي يكمن في ثقلها السياسي الهائل مقارنة بثقلها الهائل والحقيقي في فترة الطفولة والشباب. يمكنني أن أقول إن أول ذكرى خطرت في ذهني عن حياتي هي لذلك الاشتراكي الذي ضرَبته عصابة من الفاشيين، وهو أمر يتذكره عدد قليل من الأشخاص الذين ولدوا

في عام ١٩٢٣. يجب أن أشير إلى المرة الأخيرة التي استخدمت فيها عصابات الفاشية الهراوات - في عام ١٩٢٦ - بعد محاولة اغتيال موسوليني، هوجم البروفيسور غاسباري أموريتي وهو أستاذ لاتيني كبير في السن، وكان يعيش في ذلك الوقت في ملحق في منزلنا في سان ريمو - وهو أب لشيوعي ينتمي لجماعة Nuovo Ordine التي سقطت في اليابان في مهمة لصالح الحزب العالمي الثالث - وأتذكر بوضوح أننا كنا على العشاء عندما دخل هذا الأستاذ ووجه ملطخ بالدماء، وربطة عنقه ممزقة طالباً العون منّا.

لكن أن تجعل كل ما رأيته وسمعته في حياتك ينبع من ذاكرة طفولتك هو إغواء أدبي. فآراء الفرد في طفولته تختلف عن شبابه؛ فقد تكون انطباعاته خاطئة وأحكامه وضعت جنباً إلى جنب دون أساس منطقي، حتى لمن نشأوا في بيئة منفتحة تتقبل الآراء. وكطفل كان يسترق السمع إلى نقاشات الكبار في منزله، وجدتني أؤمن أن كل شيء في إيطاليا قد جانب الصّواب. وكنّا أنا ورفاقي في المدرسة نميل للفاشية، لكن لم يقدّر لي الانضمام للفاشيين، لأن مسيرة حياتي لمعاداة الفاشية قد اتضحت. وكنت بعيداً كل البعد في ذلك الوقت عن رؤية الوضع من منظور سياسي، أي كصراع أيديولوجيات مع بعضها البعض، كما كنت بعيداً عن رؤية وجهات النظر التي تعمل على إيجاد حل للمستقبل. كانت السياسة موضع امتهان وذم في خيرة الناس من حولي، وكنت أظن أنها مجال فاسد لا يمكن الخلاص منه، فحاولت البحث عن قيم أخرى في الحياة. كانت المسافة بين الحكم على الفاشية بالفشل والالتزام السياسي بمعاداتها أمراً عظيماً يصعب فهمه اليوم.

أما الآن فعليّ أن أحرص على عدم ارتكاب زلّة أخرى أو عادة نمطية يقع فيها أغلب كُتّاب السّير الذاتية: ذلك الميل لأن يجعل الكاتب تجربته الذاتية هي «التجربة المثلى» لجيل معين وفئة محددة، مؤكداً على النّواحي

العامة ومتجاهلاً النّواحي المحددة والشخصية. وعلى عكس ما قمت به في مرات سابقة، أود الآن أن أسلّط الضوء على تلك النّواحي التي كشفت عنها التجربة الإيطالية «المثالية»، لأني على يقين بأنه يمكن للمرء اكتساب الحقيقة من الاستثناء، بدلاً من القاعدة. لقد نشأت في قريةٍ صغيرةٍ تختلفُ اختلافاً كبيراً عن باقي أرجاء إيطاليا: كان كبار السن الإنجليز، ودوقة روسيا العظام، وغريبو الأطوار يسكنون سان ريمو في ذلك الوقت. وكانت عائلتي غريبة على كل من سان ريمو وإيطاليا في ذلك الوقت: لم يعد والداي شابين، وكانا عالِمَين، ومُحبيْن للطبيعة، ومُفكريْن، وكان كل منهما يختلف عن الآخر في شخصيته، كما كانا يعارضان مناخ البلد السياسي. كان أبي من سان ريمو، من عائلة تدعم ماتزيني والجمهوريين، وكان يعارض سيطرة القساوسة والأفكار الماسونية، كما كان في أيام شبابه فوضوياً، ويتبع Kroptkin، ثم صار إصلاحياً إشتراكياً. لقد عاش في أمريكا اللاتينية لسنوات عديدة، ولم يعايش تجربة الحرب العالمية الأولى. أما أمي، فهي تنتمي لعائلة علمانية تقيم سردينيا، ونشأت وهي تقدس العِلم والخدمة المدنية، وصارت اشتراكية لتتمكن من المشاركة السلمية في الحرب عام ١٩١٥. وعندما عادا إلى إيطاليا بعد سنوات قضياها وراء البحار وجدا أن الفاشية قد انتشرت انتشار النار في الهشيم وكانت إيطاليا مختلفة وعصيّة على الفهم. حاول أبي جاهداً تطويع علمه في خدمة البلد، وحاول اعتبار الفاشية حركة تشبة الماركسية وثوراتها التي عاشها بروح عملية وإصلاحية نبعت من ليغوري كبير في السن مثله. أما أمي، فقد كان أحد إخوتها بروفيسوراً في الجامعة وقد وقّع على بيان كروتشي، وكانت متعنّتة في معاداتها للفاشية. كانت رسالة والديّ في الحياة كوزموبوليتانية،[1] وقد نشآ في ظل حاجة عامة لتحديث اشتراكية ما قبل

---

1 – أي شخصان متحرران من الأحقاد القومية أو المحلية، ويعتبران العالم كله وطناً لهما.

الحرب، ولم يتعاطفا مع الليبراليين الديموقراطيين أو الحركات التّقدمية التي كانت في ذلك الوقت: كمال أتاتورك، أو غاندي، أو البلشفية الروسية. لقد أحكمت الفاشية سيطرتها على المشهد السياسي كطريق من بين طرق عدة. لكنه كان طريقاً مضلاً، وقادته جهلة وغير صادقين. كانت عائلتي تنتقد الفاشية. وبغض النظر عن عنف الفاشية، وضعفها، وجشعها، واضطهادها لحرية الخطاب وتشددها في السياسة الخارجية، لقد كانت تُسيّرها خطيئتان رئيسيتان: التحالف مع الملكية والتصالح مع الفاتيكان.

يحاكي الأطفال آباءهم، ولهذا فإن إدراك أنّي انتميت إلى عائلة استثنائية قد خلق فيّ حالة من التوتر الطبيعي في هذه البيئة. ولقد ميّز والداي الثائران عدم تهاونهما في مسألة الدين. فقد طلبا من إدارة المدرسة إعفائي من دروس الدين وعدم حضوري لأي شعيرة دينية، ولم يسبب ارتيادي لمدرسة (والدينسيان) الإبتدائية أو الكلية الإنجليزية كطالب إضافي أي مشكلة؛ فالطلبة البروتستانت، والكاثوليكيين، واليهود، والأورثودوكس الروس كانوا مندمجين مع بعضهم البعض. وكانت سان ريمو في ذلك الوقت مدينة فيها الكنائس والكهنة من كل طائفة، إلى جانب مذاهب غريبة كانت رائجة في ذلك الوقت مثل حركة أنثروبوسوفيا الروحية والتي أسسها رودولف شتاينر. لقد اعْتَبرت توجه أسرتي هذا أحد تسلسلات الرأي الديني الذي شاهدته حولي. لكن لم أُعفَ من الدروس الدينية عندما ذهبت إلى المدرسة الثانوية في هذا المناخ من التمرد العام (فقد كانت الفاشية في عقدها الثاني) مما عرضني لحالة من العزلة، وأجبرني أحياناً على الدخول في صمت اختياري مع المعلمين وزملائي. كان وقت الدرس الديني أحياناً بين حصتين أخريين، وكنت حينها أنتظر في الرّواق مما ولد حالة من سوء الفهم مع الحارس الذي كان يمر ويظن أني معاقب. أما الطلبة المستجدون فقد ظنوا أني بروتستانت

بسبب اسم عائلتي. وكنت أنفي ذلك، لكني كنت أعجز عن الإجابة عن سؤالهم التالي: «وما دينك؟»، كانت عبارة مفكر حر على لسان طالب في المدرسة تثير ضحك الناس، كما كانت كلمة ملحد كلمة كبيرة على طفل في ذلك العمر، لذا كنت أتجنب الإجابة عن سؤالهم.

أجّلت أمّي التحاقي بكشافة الفاشية Balilla بقدر استطاعتها، لأنها لم ترغب في أن أتعلم استخدام الأسلحة، ولأن اللقاءات كانت تعقد في صباحات الأحد - قبل أن يُقرر يوم السبت لهذه الاجتماعات - وكانت في أغلبها دروساً دينية في كنيسة صغيرة. وعندما أُجبرت على الانضمام إلى هذه الحركة الكشفية كجزء من واجباتي المدرسية، طَلَبت استثنائي من الشعائر الدينية، لكن كان ذلك مستحيلاً لأسباب تأديبية، لكن تأكدت أمي من عِلم القائد والقس أنّي لست كاثوليكياً، وأنه ليس علي تنفيذ أي تعاليم للخلاص في الكنيسة.

باختصار، كنت أجد نفسي في مواقف مختلفة عن الآخرين، وكان يُنظر لي كما لو كنت حيواناً غريباً. ولا أظن أن هذه المعاملة قد آلمتني: فالمرء يتعلم الإصرار على عاداته، وسيعتاد على أن يجد نفسه منعزلاً لأسباب جيدة، وسيعتاد أيضاً على الشعور بالانزعاج في هذه المواقف، وسيعتاد على التمسك بمواقفه التي لا يشاركه فيها أغلب الناس. وما يهم في ذلك، هو أني نشأت متسامحاً مع آراء الآخرين، خاصّة في الدّين، وكنت أنزعج أحياناً عندما يُسخر مني لأني لم أتبع معتقدات العامّة، وفي ذات الوقت بقيت خالياً من البغض الشائع لدى اللادينيين.

أنا مُصر على كتابة هذه المذكرات لأني أرى الكثير من الأصدقاء اللادينيين يسمحون لأبنائهم بتربية دينية كي لا يعرضوا أبناءهم لتعقيدات، وكي لا يشعروا باختلاف عن محيطهم. أعتقد أن هذا التصرف يوضّح جُبْنهم

الذي يدمّر أطفالهم بشكل تربوي. لم لا نخبر الطفل أنه سيواجه القليل من عدم الراحة بسبب إخلاصه لفكرة ما؟ وعلى أي حال، من قال إنه يجب ألا يتعرض الأطفال لتعقيدات؟ إن التعقيدات تزداد بسبب استنزاف طبيعي للطبيعة المحيطة بنا، وعندما تواجه تعقيدات، فإنك ستحاول جاهداً تجاوزها. وليست الحياة إلا تجاوز للعقبات، ودون هذه العقبات لن يكتمل تكوين شخصية الفرد.

وعلي أن لا أصطنع الإثارة هنا. فليس في طفولتي ما هو مأساوي. لقد عشت في عالم هادئ ومريح، وكان لدي تصور عن العالم بأنه متعدد وغني بالفوارق، لكن دون وعي بوجود الصراعات. كنت على علم بفكرة الفقر، وهو المشكلة الاجتماعية الوحيدة التي كان تُذكر بين مزارعي ليغوريا، ولأجلهم نظّم أبي حملة، فأولئك المزارعون أصحاب أراض صغيرة المساحة، وقد أنهكتهم الضرائب، وأسعار المنتجات الكيميائية، والطرق غير الممهدة. كما كانت هناك نكبة جوع اجتاحت أرجاء أخرى من إيطاليا أدّت إلى هجرة الناس إلى الريفييرا: كان العمال الذين يعملون لدينا يأتون من أبروتزي أو فينيتو، واعتاد أبي أن يدفع أجورهم كل سبت. أي أنهم عمال من مناطق بعيدة، ولم أستطع تخيل معنى الفقر، ولم أفهمه، فكانت صداقة والديّ ولطفهما مع الفقراء تزعجاني.

أما الصراع السياسي في العالم فلم يصلني منه إلّا صور بسيطة كنت أضعها جنباً إلى جنب كفسيفساء. وكانت أكثر الصحف التي تُقرأ في سان ريمو هي تلك التي من نيس وليس من جنوا أو من ميلانو. وقد ساندت صحيفة L'Eclaireur فرانكو خلال الحرب الإسبانية الأهلية. وامتلك الجمهوريون صحيفة Le Petit Niçois ، لكنها حُظِرت في مرحلة ما. وكنا نقرأ في منزلنا صحيفة Il Lavoro وهي صحيفة من جنوا - في فترة صدورها خلال

الحقبة الفاشية - وهي الصحيفة الوحيدة التي حررها اشتراكي جويسيبي كانيبي، وكان صديقاً قديماً لأبي، وأتذكر زياراته أحياناً لتناول الغداء معنا، لا بد أن هذا كان في عام ١٩٣٣. وكان والداي يستمتعان بعمود صحفي يعادي هتلر ويحمل اسم كاتب وهمي يلقب نفسه بـ Nera Stella، لكن كان جيوفاني أنسالدو[1] هو من يكتبه. وحدث ذات مرة أن مر فتى يدعى زبلين وهو يحمل قمصاناً نازية بنية اللون، وكان إمانويل روزبيتزس وهو فتى بولندي يهودي جالساً إلى جانبي، فقال: «لو أنها تنفجر وتقتلهم جميعاً». كنت حينها في الصف الرابع في المدرسة الإبتدائية، في مدرسة (والدينسيان) لعل ذلك حدث في عام ١٩٣٣. أما منزلنا فكان يعج بالزائرين الشباب من كل مكان - الأتراك، والهولنديون، والهنود - الذي نالوا منحاً دراسية في المعهد الذي يديره أبي. وحدث ذات مرة أن احتدم النقاش بين شخصين من ألمانيا، وآخر نازي ويهودي في منزلنا. أما صديقة أمي المقربة فهي سويسرية وكانت تسافر إلى فرنسا لتحضر مؤتمرات السلام العالمي ومظاهرات تندد بالفاشية في Pleyel Salle: ولم تخبرنا بذلك، (لكننا اكتشفنا لاحقاً) حيث كانت تختبر كلمات السر التي تخص الفرنسيين علينا نحن الأطفال. أما أمي فكانت تجعلنا نقف عصراً ونحن نواجه اتجاه الغرب ونهتف: "le Pour ,pain ,paix la pour ,Liberté la pour".

كنت أحضر اجتماعات ومواكب كشافة الفاشية المسلحة. حيث التحقت بـ Moschettieri Balilla أولاً، ثم التحقت بـ Avanguardisti. متعة عدم حضور هذه الاجتماعات، أو الفصل من المدرسة لعدم الالتزام بحضورها أو عدم ارتداء الزي الرسمي، صارت لاحقاً منبع توتر بالنسبة لي، فعند

---

1 - (Giovanni Ansaldo: (1895-1969 صحفي فاشي، ثم صار محرر صحيفة Il Mattino.

اقتراب التحاقي بالمدرسة الثانوية، صرت أستخدم هذا الأسلوب لأظهر عصياني. أما طبيعة الحياة في فترة مظاهرات الفاشية فقد حاولت تسليط الضوء عليها في ثلاث روايات وقعت أحداثها في صيف عام ١٩٤٠. ولا فائدة من تكرارها هنا.

بدا لي أن في العالم تدرجات مختلفة من الأخلاق والسلوك حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية. أخلاقيات لم تتصادم مع بعضها بل كان أحدها يكمل الآخر، وكان أكثرها تطرفاً هو معاداة الفاشية. حتى مع وجود الفاشية، حافظت أمي على أخلاقها، وعلمانيتها، وعلمها، وإنسانيتها، وهدوئها وحبها للحيوانات (أما أبي فكانت استجابته مختلفة نوعاً ما: كان يمشي لوحده، ويفضل العيش في الغابة مع كلابه على أن يعيش مع البشر: كان يصطاد في مواسم معينة، ويبحث عن الفطر أو الحلزونات في مواسم أخرى). وبعد ذلك، انتقلت تدريجياً عبر مراحل مختلفة من الفردانية نحو وهن الإنسان، والتقارب، والفساد الذي صار جلياً واستفحل كلما مضيت في طريق الكاثوليكية، والعسكرية، والتطرف، وغرور البرجوازية، حتى وصلت إلى الناحية الأخرى من التطرف والتي فيها ابتذال، وجهل، وتهريج، وتعجرف الفاشية بانتصارها، وخلوها من الورع.

لم تَفرض علي هذه الصورة أي أحكام تصنيفية، رغم أنها قد توحي بذلك في يومنا هذا. كنت فتى قد رأى أن أبواب الاختيارات المختلفة مفتوحة على مصراعيها أمامه، بما فيها أن له الحق في رفض عالم والديه، وهو عالم يشبه تابوتاً حجرياً يعود للقرن التاسع عشر لا يمت للواقع بصلة، كما له الحق في رفض الفاشية والتي بدت أرضها صلبها وأساسها جوهري. وفي الحقيقة، فإن أخي الأصغر ومن عمر الثالثة عشر إلى عمر السادسة عشر، كان يلقب

نفسه بالفاشي كتعبير عن ثورته أمام الأسرة (لكن ما إن بدأ الاحتلال الألماني حتى انتهت ثورته واتحدت العائلة لمساندة المقاتلين). وكنت أنا في ذلك العمر - وقت الحرب الأهلية الإسبانية، وكنت قد قبلت قيم والديّ - تقبلت قيم عالميهما كموروث يساعدني لمقاومة الهمجية الفاشية، لكني كنت أتجه نحو التشاؤم، والعزلة: أي تقدم كان وهماً، ولا يمكن أن تسوء الأمور أكثر في العالم.

٢) بدأت الاستمتاع بحياتي، ومجتمعي، والفتيات، والكتب في عام ١٩٣٨: وانتهى الصيف بشامبرلين وهتلر وموسوليني مجتمعين في ميونخ. وانتهى époque Belle في الريفييرا. وكان هناك عام من التوتر، ثم الحرب على line Maginot، ثم انهارت فرنسا، وانضمت إيطاليا إلى الحرب، ومرت سنوات الموت الحالكة والكوارث. ولا أظن أن ذكرياتي ستختلف عن ذكريات من عاصروا تلك الفترة العصيبة: لا من ناحية القلق من أحداث الحرب، ولا من ناحية قراءاتنا ونقاشاتنا في ذلك الوقت.

أود أن ألفت النظر إلى طارئ بيئي حدث وكانت له نتائجه الوخيمة. فمع الحرب، لم تعد سان ريمو مفرق الطرق العالمي الذي شغلته لنصف قرن - لقد اندثر ذلك للأبد: فقبيل الحرب أصبحت سان ريمو جزءاً من ضاحية ميلانو/ تورين - وبرزت خصائصها كقرية ليغورينية قديمة، وقرية ريفية، وكان هذا تغييراً غير محسوس، وبدا من الطبيعي أن أنغمس في هذا المناخ الريفي، والذي كان بالنسبة لي ولأبناء جيلي الذين كانوا في الغالب ينتمون إلى عائلات من الطبقة المتوسطة في القرية، وأطفال تستقيم بهم معاداة الفاشية. لقد تصرفت كمدافع ضد العالم المحيط بنا، وهو عالم يهيمن عليه الفساد والجنون. أما بالنسبة لعائلتي فاهتماماتي كانت تختلف عن اهتمامات أبي باللهجة المتأصلة في الأماكن والأملاك. هذه الأخلاقيات

حددت اختياراتنا وصداقاتنا وصرنا نسخر من كل سلطة تتعدى نطاق لهجتنا الفجة والساخرة.

وفي عام ١٩٤١ التحقت بالجامعة. واخترت كلية الزراعة، وحرصت كل الحرص على إخفاء طموحاتي الأدبية حتى عن أقرب المقربين من رفاقي، كدت أخفي نفسي عنهم أيضاً. لقد قضيت بضعة أشهر في تورين كنت أذهب خلالها إلى المحاضرات الجامعية على مضض. ولاحظت أن أبناء المدينة لا يفكرون إلا بدعم نادي تورينو أو يوفنتوس أو تشجيع أحد فريقَيْ المذياع، مما ساهم في تقوقعي داخل صدفتي الريفية.

وهكذا نشأنا ونحن نحرس معتقد فردانيتنا الذي ظنناه حصراً علينا، محتقرين شباب المدن الكبيرة الذين اعتبرناهم ضعفاء الشخصية. كنا شباباً خشنين من الأرياف، وصيادين، ولاعبي بلياردو، ومتباهين ومتفاخرين بجهلنا الثقافي، ساخرين من أي بلاغة خطابية عسكرية أو وطنية، أو كانت أحاديثنا سوقية، وكنا نتردد على بيوت الدعارة، متجاهلين مشاعرنا العاطفية والنساء. أدرك الآن أني كنت أبني صدفة كنت أنوي العيش داخلها متحصناً من أي عدوى في العالم. لقد قادني تشاؤمي لأن أتخيل أن الفاشية والنازية ستسيطران علينا للأبد. كان هذا أشبه باللجوء إلى سلوكيات عنيدة ومتشددة جداً: لقد رفضنا المشاركة في التاريخ، في مناقشة الأفكار العامة، والمشاكل التي تخلينا عنها وفقدتها للأبد وصارت في يد العدو. وهكذا تقبلنا بسبب قلة تجربتنا وليس لعدم شجاعتنا، شعارات الفاشية التي فُرضت علينا، كي لا نقحم أنفسنا في متاعب، لم أتورط - مرة أخرى بسبب ازدراء السياسة ورفض المشاركة - في النقاشات السياسية التي كنت أعلم أنها تحدث في حركة جامعة الشباب الفاشية GUF، حتى في عاصمة البلدة القريبة. (وكان هذا خطأً جسيماً، لأني كنت من خلال تلك

البيئة سأتواصل مع تنظيمات الشباب المعادين الفاشية وما كنت لأكون مقاوماً دون استعداد).

لكن هذا المفهوم القاصر - والذي يطلق عليه اليوم اسم اللامبالاة السياسية، وبمقارنته بالموقف الذي ساد بعد الحرب في الأطراف المعارضة - لم يدم طويلاً، فقد صار يعارض كل شيء من حولي. وعلى أي حال، فإن هذه العزلة الريفية لم تكن كاملة قط. فعلى سبيل المثال، أحد أقرب أصدقائي في المدرسة كان صبياً من الجنوب، جاء من روما واسمه يوجينيو سكالفاري[1] - وهو الآن أستاذ في جامعة روما، ويعود إلى سان ريمو في العطلات - ويمكن القول إن مسيرة حياتي السياسية قد بدأت بنقاشات مع سكالفاري الذي كان ينتمي إلى أحزاب في جامعة الشباب الفاشيين، لكنه طرد منها وانضم إلى جماعات شكلت أيديولوجيات غير واضحة في ذلك الوقت. طلبتُ من يوجينيو مرة أن أنضم إلى حزب في طور التشكيل: وكان الاسم الذي اقترحوه «الحزب الديموقراطي الاجتماعي»، فوجدت أن رسائل ونقاشات الصيف مع يوجينيو قد أيقظت معاداة الفاشية السرية فيّ ووجّه قراءاتي في اتجاه معين: قرأت هايزنغا Huizinga، مونتال Mon-tale، فيتوريني Vittorini، بيساكانا Pisacana. عنْوَنت الكتب الجديدة التي ظهرت في تلك الحقبة التعليم الأدبي والأخلاقي المضطرب الذي درسناه.

تحدثنا كثيراً أنا وسكالفاري عن العلوم، والكونيات، وأساسيات المعرفة: إيدينغتون Eeddington، بلانك Planck، هايزينبيرغ Heisen-berg، أينشتاين Einstein. وامتلأت قريتنا الريفية بحالات غير معتادة من

---

1 - 1924) :Eugenio Scalfari) صحفي وكاتب، ومؤسس مجلة أسبوعية شهيرة بعنوان L'Espresso، والصحيفة اليومية الشهيرة La Republica.

التطورات الثقافية الفردية: شابان من سان ريمو، يعشقان الثقافة الأمريكية والإنجليزية، وتمكنا من اكتساب معرفة عظيمة بنظرية المعرفة، والتحليل النفسي خلال الحرب. كنا نستمع إلى موسيقى الجاز كما لو كانت معجزة. وذات صيف، تمكنا من وضع نظام فلسفي كامل: فلسفة الدافع الحيوي vital élan. واكتشفنا في اليوم التالي أن بيرغسون كان قد وضعها بالفعل.

كنت في ذلك الوقت أكتب قصصاً قصيرة أو قصصاً رمزية فيها رسائل سياسية غامضة (فوضوية- متشائمة). وكنت أرسلها إلى سكالفاري في روما، وهو بدوره كان يتدبر أمر طباعتها في منشورات GUF: ويبدو أن قصصي قد سببت بعض المتاعب لكن لم يعرف أحد من كتبها. وكانت أفكاري السياسية في ذلك الوقت تدور حول الفوضوية التي لم تدعمها أي نشأة أيديولوجية. وفي صيف ١٩٤٣، وبعد سقوط موسوليني في الخامس والعشرين من يوليو وجدت منصة مشتركة مع سكالفاري والرفاق، وأطلقنا على أنفسنا ليبراليين (قراءة كتاب قصة الليبرالية لكاتبها روجيريو كان له تأثير كبير) وكانت ليبرالية غير واضحة المعالم، كالفلسفة اللاسلطوية التي اتبعتها. وبجلوسنا في حلقة دائرية على صخرة ضخمة ومسطحة وسط جدول رقراق على مقربة من الأرض التي نملكها أسسنا حركة الليبراليين الجامعية MUL. كانت السياسة لعبة لم تدم طويلاً، وكانت أيام جنون عُرفت بعد ذلك باسم ٤٥ يوماً. عاد الشيوعيون من المنفى. وأمطرناهم بالأسئلة، والطلبات، والنقاشات، والاعتراضات.

حلت بعد ذلك هدنة الثامن من سبتمر. وعاد يوجينيو إلى روما. وانضممت إلى الحزب الشيوعي السري.

٣) وفي الخامس والعشرين من يوليو خاب أملي وأُهِنت من فكرة أن مأساة تاريخية كالفاشية يمكن أن ينهيها قرار إداري روتيني كذلك الذي

قام به مجلس الفاشية الأعلى. كنت أحلم بثورة تنهي موسوليني وتعيد إحياء إيطاليا. وبعد الثامن من سبتمبر صار الحلم حقيقة: وكان علي أن أتعلم كيف للمرء أن يعيش خارج أحلامه وفوقها.

إن اختياري للشيوعية لم يعتمد اعتماداً كلياً على الحراك الإيديولوجي. لقد شعرت بحاجة ماسة للبدء من صفحة بيضاء، ولهذا عرّفت عن نفسي بكلمة لاسلطوي/ فوضوي. أما فيما يخص الاتحاد السوفيتي، فقد كانت لدي اعتراضات كثيرة ولم أثق به، ولكني تأثرت أيضاً بوالدي اللذين كانا دائماً مؤيدين للاتحاد السوفيتي. لكني شعرت أن ما يهم في ذلك المنعطف هو اتخاذ الفعل، وأن الشيوعيين كانوا أكثر نشاطاً، وقوتهم منظمة. لقد طلبت من صديق شيوعي الانضمام للحزب بعدما علمت أن قائد المقاتلين الأساسي في منطقتنا الدكتور الشاب فيلتشي كاسيوني Cascione Felice، والذي كان شيوعياً، قد سقط في أيدي الألمان في مونتي ألتو في فبراير ١٩٤٤.

لقد تواصلت فوراً مع الرفاق الذي كانوا عمالاً، وعُينت كمُنظّم للطلبة في جبهة الشباب. وكان من بين كتاباتي منشورات كانت توزع بسرية. (كانت كتلك القصص الشبه رمزية التي كتبتها كثيراً - والتي سأواصل أيضاً كتابتها - وكانت تُعنى بمآخذ لاسلطوية اشتَرطت دعمي للفاشية، سواء الجيش، أو الشرطة، وكيف أن البيروقراطية ستستمر في عالم المستقبل. لم أحتفظ بنسخة منها للأسف، لكني آمل أن أجد رفيقاً قديماً يحتفظ بها).

كنّا على شفا رقعة الشطرنج الخاصة بالمقاومة الإيطالية، مُجَرَّدين من الموارد الطبيعية، ومن مساعدة التحالف، ومن قيادة السلطة السياسية. وكنّا في أشد بؤر الصراع وحشية وعنفاً طيلة عشرين شهراً، وكانت منطقتنا إحدى المناطق التي سجلت معدل وفيات عال. يصعب علي

استخدام ضمير المتكلم أنا في سرد ذكريات الحرب. ويمكنني الحديث عنها عبر بضعة مفاتيح روائية، جميعها متساوية وصادقة: بدءاً من قمع جميع العواطف، والمخاطر، والتوترات، والقرارات، والوفيات، وصولاً إلى التأكيد على السرد البطولي- الهزلي للشك، والأخطاء، والتخبطات، والمغامرات التي واجهت شاباً من الطبقة المتوسطة. شابًا لم يكن جاهزاً ولم يملك الخبرة في الحياة وكان يقيم مع والديه حتى ذلك الحين.

لا يمكنني أن أغفل هنا عن ذكر الدور الذي قامت به أمي في تجربتي خلال تلك الأشهر (خاصة وأنني ذكرتها في هذه الملاحظات): كانت مثالاً يحتذى به في الثبات والإقدام من خلال مقاومتها حيث كانت تتحلى بعدالة طبيعية وفضائل أسرية. ومن خلال حثها لابنيها على الانضمام للعراك المسلح، والتصرف بكرامة وحزم في مواجهة جماعة موسوليني والميليشيا، ومن خلال احتجازها كرهينة لفترة طويلة، خاصة وأن أصحاب القمصان السود قد زعموا قتل أبي رمياً بالرصاص أمام عينيها ثلاث مرات. إن الدورالعظيم الذي تؤديه الأمهات في الأحداث التاريخية يتطلب رفعة ومَنعة فطريتين.

أنا أكتب هنا بغرض تتبع تاريخ أفكاري السياسية في وقت المقاومة. وسأفرق بين اتجاهين كانا حاضرين أمامي، وأحاطا بي في الواقع: كان أحدهما المقاومة كفعل قانوني عالي الشأن أمام تخريب الفاشية وعنفها، أما الآخر فقد كان المقاومة كفعل تخريبي وثوري، وكشيء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بثورة المضطهدين بشدة والخارجين عن القانون. كنت أتأرجح بين هذين الاتجاهين تبعاً للأحداث التي كنت أجد نفسي فيها، وتبعاً لقسوة الصراع، وتبعاً للناس الذين خالطتهم: أصدقائي من الطبقة المتوسطة والمعادين للفاشية، أو لطبقة جديدة تماماً من المجتمع كانت أقرب ما تكون للطبقة

الكادحة من الطبقة العاملة، والتي كانت اكتشافي الأعظم عن البشرية، لأني وحتى ذلك الحين كنت أظن أن معاداة الفاشية هي ميل ساد بين النخبة المثقفة، وليس بين الفقراء.

كما كان في شيوعيتي اتجاهان أيضاً معاً - تبعاً للمنطق النفسي الذي كنت أعيشه - الحزب التشريعي الموحد، وخطابات توليياتي Togliatti التي قرأتها في منشورات سرية، بدا أحياناً صوت الحكمة الوحيد رغم تطرفها العام، وفي أحايين بدا كشيء لا يمكن إدراكه وبعيد، أبعد من حقيقة احتدام الغيظ.

كان أول نص نظري ماركسي قرأته بعد التحرير هو كتاب لينين **الدولة والمال**، وانتشر في تلك الفترة مصطلح «ذبول الدولة» وكان كفيلاً بامتصاص لاسلطويتي، وطموحاتي المعادية للدولة واللامركزية في أيديولوجية الشيوعية. وهنا انتهت أفكاري السابقة، وبدأت أفكاري الواعية، تزامناً مع مشاركتي في حياة ما بعد الحرب السياسية، والتي بدأت غالباً وسط حركة العمال في تورين، وتزامناً مع مساهمتي في عالم الأدب. ومن أجل أن أقول شيئاً جديداً عن تجربتي التالية - كانت تدور حول محور الأعمال التي نشرتها وعن نشاطي العام لصالح الحزب - يجب أن أتعمق، وأن أتجاوز حدود الوقت والزمان الممنوحين لي. ستكون هناك فرص كثيرة لمواصلة المهمة أو للبدء من جديد من الصفر. فالمرء يرى الماضي بوضوح أكبر مع مرور الزمن.

٤) عند تحديد الأفكار التي آمنت بها في فترة شبابي استخدمت مصطلحين الفوضوية/ اللاسلطوية والشيوعية. ويعني الأول الحاجة إلى حقيقة الحياة لتتطور بثرواتها على التأثير المميت الذي تفرضه المؤسسات عليها. أما الثاني فيمثل الحاجة إلى عدم تبديد ثروات العالم بل تنظيمها

لتثمرمن أجل التفكر فيما يعود بالفائدة على جميع البشر الأحياء والذين سيولدون.

كما يعني المصطلح الأول أن نكون مستعدين لكسر القيم التي صارت موَحَّدة حتى الآن، والتي تحمل شعار الظلم، والبدء من الصفر. أما الثاني فيعني أن نكون مستعدين لإدارة مخاطر تتعلق باستخدام القوة والسلطة من أجل الوصول إلى مرحلة أكثر عقلانية في أقصر وقت ممكن.

تتباين درجتا هذين المصطلحين (الحاجة والمخاطر) في طريقتي في استعراض الأفكار والأفعال في السنوات التي كنت فيها جزءاً من الحزب الشيوعي، كما كانت سابقاً وكما ظلت منذ ذلك الوقت. ومن خلال التركيز على أحد العنصرين، أو أحد المصطلحين، تمكنت من تتبع تجاربي التاريخية في تلك السنوات.

إن هدفي اليوم، هو أن أبين أن التعريف الإيجابي لأحد المصطلحين، ذلك الذي ذكرته أولاً، قد يكون حقيقياً من خلال دفع أقل ثمن ممكن فصلته في التعريف الثاني. إن المشاكل التي تؤرق العالم اليوم تبدو لي في صلب هذا الموضوع.

II. جيل عايش الأوقات الصعبة

١) و ٢) لأولئك الذين كانوا في السادسة عشر من العمر عند اندلاع الحرب والعشرين عند هدنة الثامن من سبتمبر ١٩٤٢، إن إجابة أول سؤالين في هذا التحقيق الصحفي لا تتحقق باستعراض آرائي بل بذكر متسلسل لذكريات طفولتي وشبابي، وهي ذكريات اختيرت بناء على ما

كان إدراكاً سياسياً محتملاً. هذا ما حاولت فعله في إجاباتي التي نُشرت في صحيفة Il Paradosso، لكن كلما تفكرت فيها، قل رضاي عن أهمية تاريخي السّياسي والأخلاقي. إن التطور السّياسي الأمثل يتحقق عندما يتضافر كل من الاختيار والتساؤل والفعل معاً: أي أن يكونوا جزءاً من حياة الفرد على أرض الواقع. ولهذا فإن إعادة نشر هذا الجزء من المقابلة في كتاب سيُسهل تحسين إجاباتي عن السؤالين الثالث والرابع، واللذين مررت مرور الكرام عليهما آنذاك. وسألخص إجاباتي عن السؤالين الأول والثاني.

لم أكن أستطيع الحديث عن أفكاري وكأن عائلتي ومنطقتي والمجتمع الذي انتقلنا إليه قد فرضوها علي – وقد قادتني حالتي النفسية إلى المشاركة في معاداة الفاشية، ومعاداة النازية، ومعاداة فرانكو، ومعاداة الحرب، ومعاداة الآراء العنصرية. لم تكن هذه الاشتراطات والآراء كافية لإلزامي بالصراع السياسي. وبين حكم سلبي على الفاشية والتزام نشط معاد للفاشية كان هناك بُعْد قد لا نقدره اليوم. عندما رأيت أن السياسة باتت محل سخرية واستهزاء في أعين أفضل الناس من حولي، فإن موقفي العفوي كشاب كان استنتاج أنها مجال فاسد بلا شك، مجال علي تجنبه، وأنه علي البحث عن قيم أخرى في الحياة.

وفي ذلك الوقت استجدّ اشتراط آخر في هذه المسرحيّة: اشتراط تاريخي. صارت الحرب بلمح البصر مسرحاً لحيواتنا نحن، والمسألة الوحيدة التي تشغلنا. لقد وجدنا أنفسنا منغمسين في السياسة، بل التاريخ، دون اختيار منّا. وماذا كان ناتج كل هذا الصراع الذي أُغرق أوروبا في حمامِ دمٍ وما أهميته للعالم ولمستقبل كل فرد منّا؟ وكيف كان على كل واحد منّا التصرف في تلك الأحداث التي كانت تفوق قدرتنا؟ وما دور الفرد في التاريخ؟

وهل في التاريخ منطق؟ وهل لا يزال لمفهوم (التّقدم) أي معنى؟

كان علينا أن نسأل أنفسنا هذه الأسئلة: وهكذا اتخذت موقفاً لم أتنازل عنه قط، نبذت فيه كل مشكلة أصلها التاريخ. وإن كان لكلمة (جيل) أي معنى، فإن المعنى الذي يخُصني يمكن استخلاصه من هذه الحساسية المفرطة تجاه التاريخ كتجربة شخصية. وهذا ينطبق على إيطاليا تحديداً، وعلى كل الدول بتباين طفيف، وحيث يوجد تمزق سببه الحرب والمقاومة.

تختلف تجربتنا في التاريخ عن تجربة الأجيال التي سبقتنا، وكنا في جدال سريّ وعلني معهم. ويسهل تحديد أسباب هذا الجدال: إن كان يوجد جيل شاب قادر على وضع والديه في قفص الاتهام، فإنه سيكون نحن، وهذا موقف نحسد عليه، إلا أنه لم يكن تمرداً كاملاً: كان علينا أن نجد في آبائنا أفكاراً يمكن أن نتَشبث بها لتعيننا على البدء من الصفر، أفكارا لم يستطيعوا أو لم يحن وقت تحويلها لأفعال. وتبعاً لذلك، فإن أفكارنا لم تكن أفكار جيل عدمي أو أفكار جيل يحارب التقاليد أو أفكار جيل «الشّبان الغاضبين»، بل على العكس؛ لقد تحلينا بوعي مبكر عن أهمية الاستمرارية التاريخية والتي حولت الثورة الحقيقية إلى ثورة محافظة نوعاً ما، أي أنّنا عندما تُرِكنا لدوافعنا البيولوجية في خِضم المأساة العامة للعلاقات الإنسانية، كنا نعرف ما يجب إنقاذه والدفاع عنه وتطويره ليؤتي أُكله.

وإلى جانب مشكلة مشاركتنا في الأحداث التاريخية، أود أن أذكر مشكلة أخرى كانت أساسية في تجربتنا: مشكلة الوسائل التي علينا استخدامها في التاريخ.

لقد رفض كثير منّا العقلية الفاشية منذ نعومة أظفاره، وهذا كان يعني نبذ حمل السلاح والعنف. ولهذا فإن التّورط في القتال المسلح كان يعني تجاوز العقبات النفسية التي تكونت فينا. لقد نشأت بتفكير يؤهلني لأكون

معارضاً يَقِظ الضمير بدل ان أكون مقاتلاً. لكن دونما سابق إنذار وجدتني وسط أكثر المعارك دموية. وبالرغم من ذلك، وكما قال أول رجل وضّح لنا معنى هذا الالتزام، وهو أول رجل ضحى بحياته من أجله [«لا يملك هذا الجيل وقتاً ليكوّن إحساسه الدّاخلي بالمأساة: ذلك لأنه قد وَجَد مأساة خارجيّة قد شُيّدت بإتقان في الواقع». واشتدت فاجعة بلادنا وضراوة أعدائنا مع اقتراب الحرب من وضع أوزارها. لقد كان منطق المقاومة في الحرب هو ذاته منطق إصرارنا على الحياة.

ولا بد أننا قد سقطنا في فخ التطرف كردة فعل، فقد بدا لنا أنه لا يوجد أي انتقام مُرْض لغضبنا، ومن أجل ضبط هذا الاندفاع العاطفي، سقطنا في سياسة مُقيّدة بحِرفيّة الشّرعية.

لكن انصهار كل هذه المكونات في بوتقة جوهرية واحدة وساخنة قد أظهرت روح التحزب، أي القدرة على تجاوز المخاطر والصعوبات ببديهية. إنها خليط من غطرسة الحرب والسخرية من غطرسة الحرب هذه. إنها شعور بتجسيد حقيقي للسلطة القانونية والاستهزاء من الموقف الذي وجدنا أنفسنا نجسده. كانت مقاربة متبجحة وشرسة أحياناً، لكن كان يُنعشها كرمنا دائماً، أي توقنا لاتخاذ الأسباب بكرم شديد. وبعد مرور السّنوات، علي أن أقول أن هذه الروح التي سمحت للمقاتلين بأداء رسالتهم المدهشة قد ظلت حتى يومنا هذا تُمثل موقفاً إنسانياً ليس له نظير.

٣) أثناء التّحرير، وجدتني منساقاً وراء السّياسة النشطة، متتبعاً الحماس الناتج عن المقاومة. بدا لي أن أكون عضواً في الحزب - كما بدا لشبان آخرين - أمراً لا يمكن الرجوع عنه في حياتنا، أي أنه لم يكن ظرفاً مؤقتاً كالخدمة العسكرية. ومنذ ذلك الحين وجدتُ أن حياتنا المدنية ليست إلا استمراراً للصراع الحِزبي باستخدام وسائل أخرى. ولم تكن هزيمة الفاشية عسكرياً

إلا تمهيداً فقط. أمّا إيطاليا التي حاربنا من أجلها فموجودة حتى الآن نظرياً فقط، ويجب أنْ تصير واقعاً على أصعدة عدة. بدا لنا أن أيّ نشاط أردنا ممارسته سواء أكان في الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، يجب أن يتكامل مع السّياسة، وأن هذا النّشاط يجب أن يستمد معناه من الحياة السّياسية.

وبعد التحرير، أكّدت على عضويتي في الحزب الشيوعي. وكنت قد انضممت إليه خلال المقاومة للمشاركة بشكل أساسي في محاربة الألمان والفاشيين في أكثر الجماعات تنظيماً ونشاطاً، والتي كانت تملك أيضًا نهجاً سياسياً مقنعاً.

لقد مثّلت الشيوعية (ولا زالت) قطبين جاذِبيْن سياسياً تذبذبت بينهما. فمن ناحية كان رفضنا للمجتمع الذي أنتج الفاشية قد قادنا إلى أن نحلم بثورة تبدأ بصفحة بيضاء من الصفر، ثورة تبني لنفسها أدوات الحكومة الأساسية، وتنأى بنفسها عن الأخطاء الحتميّة والفظائع التي تصاحب كل ثورة. لقد حلمنا بثورة تستطيع تكوين مجتمع يكون ضد المجتمع البرجوازي - كانت صورة ثورة أكتوبر في رؤوسنا - أي أننا كنا أقرب ما نكون لنقطة بداية من نقطة نهاية. ومن ناحية أخرى، كنّا نطمح بتأسيس أكثر الحضارات تقدماً وتطوراً ورقياً وتعقيداً من وجهة نظر سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية، حضارة تحكمها طبقة مؤهلة للغاية، أي تمتلك ثقافة مغروسة في كل مستوى قيادي في السياسة والإنتاج. (لعلنا كوّنا هذه الصورة بعد عام ١٩٤٥، أم أني أذكر التاريخ عبطاً؟ لا لست أفعل، لقد كان حلمنا حياً آنذاك، ولم يؤثر فيه مناخ غربي متقدم معين صفقة روزفلت الجديدة، والجمعية البريطانية الفابية، والعالم السوفيتي).

لم تكن الشيوعية مجرد تجمع لتطلعات سياسية لأولئك الذين انضموا إليها آنذاك: لقد كانت انصهار هذه التطلعات مع تطلعاتنا الأدبية

والثقافية. أتذكر أنني عندما كنت في بلدتي الريفية، عندما وصلت أولى أعداد Unita'L بعد التحرير. لقد قرأت العدد الخاص بميلانو: كان إليو فيوريني رئيس تحريرها. وعندما طالعت الطّبعة الخاصة بتورين وجدت أن تشيزاري بافيزي كان يكتب في الصّفحة الثّقافية. وشاء القدر أن يكونا الكاتِبيْن الإيطاليّيْن المفضلَيْن عندي، ولم أقرأ لهما سوى كتابيْن من كتبهما وبعض الترجمات. لقد اكتشفت حينذاك أنهما في الميدان الذي اخترته: ظننت أن هكذا يجب أن تكون الأمور. كما اكتشفت بذات الطريقة أن الرسام غوتوزو كان شيوعياً! وبيكاسو أيضاً! بدت لنا تلك الثّقافة المثالية المكمّلة للصّراع السّياسي طبيعية. (لكنها لم تكن كذلك في الواقع: فقد ضَربنا رؤوسنا عرض الحائط ولقينا الأَمَرّين جرّاء علاقة السياسة بالثقافة لخمسة عشر عاماً، ولم تحل المشكلة حتى الآن).

استقريت في تورين التي كانت تمثل بالنسبة لي - وبحق في ذلك الوقت - مدينة حركة العمال والحراك الذي ساهم في تكوين المناخ الملائم لمجتمع أفضل سعادةً وازدهارًا للمستقبل. كانت تورين تعني استخدام العمال والمثقفين المعادين للفاشية الذي حافظوا على نهج مدني وأخلاقي في الثقافة الإيطالية لـ Nuovo Ordini بشكل أفضل: وحول هذين النهجين التف شباب ظهروا من المقاومة، ومليئون بالطاقة والحيوية. وسلكت الدربين بعفوية: فمن جانب أصبحت مرتبطاً بدار أينودي للنشر، التي كان تجذب أشخاصاً من مختلف الأيديولوجيات والأمزجة، ولكنهم ملزمون دائماً بالاهتمام بالمشاكل التاريخية. وحيثما يدور نقاش يُبقي الجميع أعينهم مفتوحة على كل شيء كان يتم التفكير به ويُكتب عن العالم. وفي ذات الوقت شاركت في نشاط الحزب - والتعاون من أجل ولفترة معينة كمحرر في Unita'L - وهكذا نلت فرصة معرفة أغلب أفراد العصبة

القديمة، أولئك الذين كانوا قريبين من غرامشي. (سأتذكر دائماً وضوح وهدوء ونشاط كاميلا رافيرا، التي كانت تمثل بالنسبة لنا مثالاً على مثقفة متمكنة من ثقافة سياسية أحببنا إحياءها وإعادة تأسيسها من بين ثقافتنا التي كانت مليئة بالمتناقضات والقسوة. كما سأتذكر قادة العمال مثل Bat-santhià tista الذي قبل مزاجه الثوري الانضباط والصبر).

لكني لا أريد أن أرسم صورة جميلة عن تكويني السياسي، كما لو أن اكتشاف النواحي المأساوية للستالينية لم يحدث إلا لنا. صرت شيوعياً عندما احتدم النقاش عن انقسام لينين - تروتسكي، وإقصاء لينين للمعارضة الداخلية، وغموض «الاعترافات» الشهيرة في محاكمات موسكو، وباكت الألماني - السوفيتي. كل هذه الأحداث سبقت انضمامي للحياة السياسية، ولا تزال مسائل ملحة موضوع مهاترة ثابت بين أنفسنا وأصحابنا/ أعدائنا في الجناح غير الشيوعي. لقد قبلت هذه الحقائق، وكنت أقنع نفسي بضرورتها من ناحية، وركنها جانباً من ناحية أخرى بينما كنت أنتظر تفسيرهما لنفسي، ومن ناحية كنت مقتنعاً من أنها جانبان مؤقتان من جوانب الشيوعية، أي أيديولوجية لا يمكن تبريرها ومقدر لها دائماً إعادة مناقشتها في المستقبل عاجلاً أم آجلاً (وجهة نظر تبيّنت دقّتها بشكل غامض).

إذن، ليس لأنه لم يتم إعلامي بالحقائق، بل لأني لم أمتلك فكرة واضحة عن معنى هذه الحقائق. كان طلاب فصلي في عام ١٩٤٥-١٩٤٦ شباناً يساريين، وحافزهم الأساسي هو الرغبة في العمل. أما طلاب السنوات التالية - لنقل بعد خمس أو عشر سنوات بعدنا - تدفعهم الرغبة في المعرفة: إنهم يعرفون كل شيء عن النصوص المقدسة ومجموعات الصحف القديمة، لكنهم لا يحبون الحياة السياسية النشطة التي أحببناها.

لم ترعبنا المتناقضات، بل على العكس: كل ناحية وتكوين للغة في ذلك

الجسم المعقد جداً الذي يمثله الحزب الشيوعي الإيطالي، كان قطبَ جذبٍ مختلفٍ أثّر في كل شخص منا. لقد واصلنا سماع أكثر الأصوات تطرفاً عن الحب القديم لتلك الجماعة بين الإيطاليين، أينما يكون نداء «الحزب الجديد»، أو إنهاء «حكومة الطبقة العاملة». إنها شعارات باردة للإستراتيجية العالمية التي خنقتها القدرة على فضح إستراتيجيات غير مدروسة. لم نملك في تلك الفترة أي فكرة واضحة عن جدلية الأحداث الجارية، ليس لأن قتالنا في الحزب كان متصارعاً أو متطرفاً: كانت لدينا دائماً أسئلة معينة أردنا سماعها تناقش، وكانت مليئة بالتضمينات العامة - لكننا وحسب الظروف - كنّا نجد أنفسنا أحياناً نفضل صرامة الأيديولوجية، وفي أحايين كنا أكثر تكتيكاً وتغزلاً في الليبرالية.

وهكذا وجدت نفسي معجباً بالتبادل بإحدى هاتين الشخصيتين الكبيرتين في تورين: ماريو مونتانيانا Montagnana Mario وسليستي نيغارفيل Negarville Celeste. وكان كلاهما ينتميان إلى طبقة العمال، ولكل منهما ماض صعبٌ جداً لكنه مُشرّف خلال السنوات العشرين من العملية السرية، والسّجون والمنافي، لكنهما كانا مختلفين جداً عن بعضهما من الناحية النفسية والعقلية مما شكّل صراعاً روحياً في الشيوعية. أما تعليمي الحزبي فكان في الظّل تارة، وفي النور تارة أخرى. وكنتُ مغرماً بكلا الرجلين بطريقة مختلفة، وكنت أجدني في صراع شديد مع أحدهما الآن، ومع الآخر فيما بعد.. أظنني حافظت على ذكراهما، ولهذا السبب أريد أن أتذكرهما معاً.

كان ماريو مونتانيا يمثّل ثورة صارمة تلائم منطقة الطبقة العاملة القديمة في بورغو سان باولو، وحافظ على إخلاصه في مشكلة واضحة مع نهج الحزب الرسمي لتعنت العمال الذين كانوا بأخلاق حازمة ومتشددة

تقريباً. كان ماريو محرري عندما كنت أعمل على عدد تورين من صحيفة Unita'L. لقد دخل الصحافة من أرض المصنع، وهو شاب عندما كان غرامشي محرراً. وكان لديه دائماً تصوّر أن الصحيفة يجب أن تكون من العمال وإلى العمال، ويجب أن تضم أخباراً عن المحلات والأقسام المختلفة، وأخباراً فيها آراؤهم عن كل الأحداث المحيطة بهم. وقد اعترف وهو يعض على شفتيه أسفاً، أن كثيراً من الأمور قد تغيرت في عالم المصانع وحياة الناس منذ وقت نضاله. لقد حاول ربط كل موقف أو مشكلة بالصورة المثالية لتلك الثقافة البروليتارية في ذلك الوقت، ودون أن يهتم بأعداء الطبقة، كان مناضلاً شرساً في تضحياته وكفاحاته الصغيرة والكبيرة، وملتزماً بمبادئ الحزب، زاهداً بسبب كرامته وعزّة نفسه لا لحاجته.

كانت علاقتنا مقيدة، كما لو كانت بين أب وابنه، ربما لأن هناك عاطفة واحترام متبادلين بين الأب وابنه، لكن سرعان ما صرنا عدوين: صرت عدوه، لأنه وجدني مختلفاً عن الصورة التي رسمها لي، وصار عدوي، لأني كنت أخيّب ظنّه دائماً. كان رجلاً من الطراز القديم، لكنه علمنا المبادئ الثورية، التي التزم بها رغم كل الظروف. لقد طُعّم بدفء أخلاقي، وشغف أصيل بقيمة الإنسان، وهذا ما شفع له.

كان سيلستي نيغارفيل يصغر مونتانيا بعشر سنوات - كان في الأربعين من عمره وقت التحرير - وكان له دور مختلف. لقد جعلته البروليتاريا الثورية يتمتع بدور أكبر في لعبة السياسة، وقد استخدم هذه التجربة بمساعدة أكثر الأعضاء تمرساً وخبرةً في الطبقة الحاكمة. وقد قيل إن هذا الموظف السابق في روما وفي وقت التحرير، كان بطل المؤامرات ومسجوناً، ثم صار وزيراً في الحكومة، وقد أثار إعجاب الجميع بشخصيته المجهولة، ونبله، وذكائه وأناقته وحبه للحياة، وفي ذات الوقت بعلاقته مع الناس

التي أمدته بالقوة. وعندما بدأت بتتبع سيرته المهنية - عند عودته إلى تورين - كان الوقت الممتع قد انتهى. وتلاشت آمال تطوير ديموقراطية إيطالية على أساس توحّد القوى المعادية للفاشية. في عالم الطبقة العاملة الكبير، والمزعج والقاسي، وعندما اشتدت الحرب الباردة، فإن هذا الأمير الميكيافيللي والمنفتح الذهن، والمصلح نوعاً ما، كان يصعر خده للناس، ولم تؤثر فيه مخاوفنا الشعبوية ولم يؤيد حقنا بالمساواة، وانتقده الأعضاء الأصغر سناً دائماً: وجدناه استغلالياً ومستهزئاً، ولا اهتمام لديه بمشاكل معينة، وبعيد كل البعد عن حب الحقيقة والعدالة لعامة الشعب. وأدركنا تدريجياً أن رؤيته السياسية كانت أكبر، وأكثر ذكاء وحداثة. لقد فهمناه أكثر من الناحية الإنسانية: دحض كل تشكيك بقدرته ونواياه، من جمود عودته إلى السوقية غير الحادة، إلى عدم الرضى عن رجل يكبره سنه - ولا يعني هذا الصراع بين الميول المختلفة في الحزب - كنا نصدر أحكامنا على الأفراد بناء على المعايير النفسية والأخلاقية، كما يفعل الشعب؛ وبلا شك لم نفهم الكثير مما كان يحصل، لكننا كنا مأخوذين بفهم حقيقة الرجال والدنيا التي يعيشونها من خلال الخروج عن الأفكار الثابتة وهذا الجهد الذي بذلنا باهتمامنا وأحكامنا لم يذهب أدراج الريح.

ومع موت ستالين، أعاد نيغارفيل اكتشاف حيويته، كاشفاً عن شغفه بهدوء احتفظ به دائماً، وعن وعي نظيف وناقد لكل وجه من أوجه انطواء الشيوعية العالمية. وفي مناقشات تلك الأيام كنت أنصت إلى أكثر الرجال حماسة لعملية التجديد التي بدأها مؤتمر العشرون. ورأينا إلى أي درجة كنا قد انتقدنا استهزائه في الواقع قد صار دفاعاً عن الحساسية الأخلاقية وحيادية في الحكم الشخصي الذي شعر به دائماً، رغم عد عصيانه لأي لعبة في سياسة الشيوعية الداخلية، أي التزامه الصمت والانتظار عندما لا

تكون علاقات القوى المفضلة إلى جانبه.

أما مونتانيا، وفي السنوات التي لمسنا فيها تقدم عملية التجديد في الحزب، فقد كان ألد الخصوم للأفكار الجديدة، سواء في ميدان اتحاد التجار أو في السياسة. لم تسنح لي الفرصة للقائه عدا في الاجتماعات أو في المناسبات الرسمية، وقد بدا لي رجلاً يسبح عكس تيار وقته وعكس وعي الناس. وفي نقاشات ١٩٥٦ دافع عن المناهج والرجال الستالينيين بضراوة بدت مضحكة، لكني أدركت في قرارة نفسي مُثُله العليا التي قادته إلى أن يظهر بهذه القسوة، حتى القسوة المأساوية والمؤلمة التي تقبلها واتسم بها مناضلو جيله الشيوعيون، ودافعوا عنها بأرواحهم، وأجسادهم أو بوعيهم أيضاً.

لقد وجدت غالباً أن تهكم نيغارفيل المعروف أكثر تأثيراً - في كل من الوعي الأخلاقي ووعيه بالتاريخ - من موقف مونتانيا المتدين: عانى مونتانيا أيضًا من كل شيء لم يتمكن من تقبله أو تبريره، لكنه ضحى بكل مبادئه من أجل دعم متعصبٍ للأنظمة اللا إنسانية.

هاتان القامتان الشيوعيتان ليستا على قيد الحياة اليوم. مرا بذاكرتي معاً، وحكمت عليهما من كل نواحيهما الإيجابية والسلبية معاً: في وقت كانت تدفع فيه الأكاذيب ثمناً للحقيقة، حاول كل منهما الحفاظ على مصداقيته التي كانت متناقضة وأسيء استخدامها كتاريخ تلك السنوات.

أدرك تماماً أني مع انتهاء كتابتي عن شخصين كانا في ريعان شبابهما وقت التحرير أني قد انتهيت من الكتابة عن القدامى. لكن عملية التعريف بجيلنا ربما يخص أجيالاً أخرى ‖ تعني أيضاً محاولة فهم كامل لتجربة من سبقونا.

٤) لم أعد عضواً في الحزب الشيوعي منذ عدة سنوات، ولم أنضم إلى أي حزب آخر. أنا أستعرض السياسة من عناوينها العريضة، وأشعر بمسؤولية

والتزام أقل تجاهها. هل هذا أمر جيد أم سيء؟ أفهم الآن الكثير من الأشياء التي لم أكن أفهمها آنذاك، من خلال النظر إليها من منظار ليس فورياً. بل على العكس أفهم أننا يمكن أن نفهم فقط تماماً ما مارسناه بإخلاص، وطبقناه يومياً. لا يزال الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة مركزا اهتمامي وقلقي كما كانا في السابق، لأن تصوري عن مستقبلنا سيرسمه هذان البلدان. باتت أخطاء دول الاتحاد السوفيتي تشغلني بدرجة أقل، لأن عددها قد صار أقل. وبت أنشغل أكثر عندما ترتكب أمريكا خطأ، لأنها تواصل ارتكاب ذلك في كل البلدان. ولا أتوقع من أوروبا أي حلول سياسية بل تطورات أيديولوجية لن تواصل تحقيقها. باختصار، تغير الكثير بشكل عام في موقفي السياسي، لكن «ميزان الأخلاق» الأساسي الذي أؤمن به لم يتغير كثيراً.

وأود أن أشير هنا إلى أمرين مُهمّين آمنت بهما طوال مسيرتي المهنية، وسأواصل الإيمان بهما: الأول هو شغفي بالثقافة العالمية، ورفضي لقلة التواصل الذي يسببه التخصيص المفرط؛ أريد الحفاظ على صورة موحدة عن الثقافة تتكون من كل شيء نعرفه ونقوم به. بحيث يصبح كل جانب من جوانب البحث والإنتاج جزءاً من ذلك الخطاب العام الذي يكوّن تاريخ البشرية، والذي يجب أن نستغله ونطوره بشكل جذري لصالح الإنسان. (والأدب يجب أن يكون وسط اللغات المختلفة ويجب أن يبقي على تواصل معها بلا شك).

أما شغفي الآخر فهو ينصب في الصراع السياسي والثقافي (والأدبي) وفيه أريد تثقيف طبقة حاكمة جديدة (أو طبقة جديدة court tout، إن كانت كلمة طبقة بالمفهوم الذي نص عليه كارل ماركس، الوعي الطبقي، كما قال ماركس). لطالما شغلتني هذه الفكرة: أن أشهد على طبقة حاكمة

جديدة تتبلور وتساهم بإعطاء المجتمع ملامحه.

[نُشر الجزء الأول من هذا المقال نشر في صحيفة Il Paradosso في سبتمبر- ديسمبر ١٩٦٠، ونشر الجزء الثاني منه في كتاب ضم مقالات كالفينو. العنوان العام («مذكرات شاب سياسية») وعنوان الجزء الأول («طفولة في ظلال الفاشية») اختارهما كالفينو بنفسه].

نسختان لرسالة واحدة

1

عزيزي السيد ريتشي:

هذه سيرتي الذاتية. لقد ولدت في عام ١٩٢٣ تحت سماء كانت فيها الشمس الساطعة وزحل الحزين مجتمعين في برج العذراء المتجانس. لقد أمضيت أول خمسة وعشرين عاماً من حياتي في سان ريمو المُخْضرة في تلك الأيام، والتي كانت تضم الغرائب الكونيّة وسط عزلتها الريفيّة، وأناسها العمليين، وقد شكل هذان الجانبان حياتي في هذا المكان، ثم انتقلت إلى تورين الصناعية والعقلانية، حيث قد يصاب المرء بالجنون كما قد يحدث في أي مكان آخر (كما اكتشف نيتشه). وصلت إلى تورين في وقت كانت فيه الشوارع ممتدة بلا نهاية، ومهجورة، لأن عدد السيارات فيها كان قليلاً، ولأختصر المسافات التي أسلكها في رحلاتي على الأقدام، كنت أعبر الشوارع المستقيمة في انحراف كبير من جانب إلى أخرى - عملية لا تعتبر فقط مستحيلة اليوم بل غير وارد التفكير فيها أصلاً - وبهذه الطريقة كنت أرسم وترين لامرئيين بين جوانب الزاوية القائمة الرمادية. كنت بالكاد أعرف المدن الكبيرة الأخرى في الأمريكتين وأوروبا، ووقعت في حب كل منها من أول نظرة: توهّمت أنّي فهمت وامتلكت بعضها، بينما استصعبت فهم بعض المدن الأخرى وظلّت غريبة عليّ. كما عانيت لسنوات من اضطراب جغرافي: كنت غير قادرٍ على البقاء لثلاث ليال متتالية في مدينة أو مكان واحد. وفي النهاية اخترت زوجة محددة وأقمت في باريس، وهي مدينة محاطة بالغابات والزان الأبيض والبتولا، حيث أمشي مع ابنتي أبيغايل، وتحيط هذه الأشجار أيضاً

بمكتبة Nationale Bibliothèque الفرنسية، حيث كنت أذهب لمطالعة بعض المراجع باستخدام بطاقة القارئ التي أملكها ورقمها ٢٥١٦. وبهذه الطريقة، كنت أستعد للأسوأ، وصرت أقبل بما هو أقل من التّميز، أنا مستعد للشيخوخة استعداداً تاماً. هذا كل شيء.

المخلص لك،

كالفينو

[من كتاب Tarocchi. في نهاية هذا الجزء في سلسلة «أحلام إنسان» كان هناك ملاحظة بيوغرافية من كاتب النص على هيئة نسخة طبق الأصل بخط اليد أرسلت إلى الناشر ريتشي].

2

عزيزي السيد ريتشي:

هذه سيرتي الذاتية. لقد ولدت في عام ١٩٢٣ تحت سماء كانت فيها الشمس السّاطعة وزحل الحزين يجتمعان في برج العذراء المتجانس. لقد أمضيت أول خمسة وعشرين عاماً من حياتي في سان ريمو المُخْضرة في تلك الأيام، والتي كانت تضم الغرائب الكونيّة وسط عزلتها الريفيّة، وأناسها العمليين. وقد شكل هذان الجانبان حياتي في هذا المكان. ثم انتقلت إلى تورين الصّناعية والعقلانيّة، حيث قد يصاب المرء بالجنون كما في أي مكان آخر (كما اكتشف نيتشه). وصلت إلى تورين في وقت كانت فيه الشوارع ممتدة بلا نهاية، ومهجورة، لذا كان عدد السيارات فيها قليلاً، ولأختصر المسافات التي أسلكها في رحلاتي على الأقدام، كنت أعبر الشوارع المستقيمة في انحراف كبير من جانب إلى أخرى - وهي عملية لا تعتبر فقط مستحيلة اليوم بل غير وارد التفكير فيها أصلاً - وبهذه الطريقة كنت أرسم وترين لامرئيين بين جوانب الزاوية القائمة الرمادية. وهي طريقة ليست فقط مستحيلة بل لا يمكن التفكير فيها. وقادتني المصادفات للسفر لمدن أخرى مشهورة تطل على البحار والأنهار، وعلى المحيط والقنوات المائية، أو المحيطات وعلى المضائق المادية، ووقعت في حب كل منها من أول نظرة: أظنني فهمت وامتلكت بعضاً منها، بينما ظل بعضها الآخر صعب المنال وغريباً علي. كما عانيت لسنوات طوال من اضطراب جغرافي: كان يصعب علي البقاء في مدينة واحدة لثلاث ليال. وبما أني أعرف ذلك، تزوجت أجنبية. أنا غريب من كل النواحي، وانتهى بي الأمر لأن أقيم في المدينة الوحيدة التي لم تكن يوماً غريبةً على أحد. ولهذا نلتقي غالبًا يا عزيزي في مطار أورلي.

أما فيما يخص كتبي، فأنا نادم على أني لم أنشر كل منها باسم مختلف: ولو أني فعلت ذلك لكنت أشعر الآن بحرية البدء من الصّفر في كل مرة، كما أحاول أن أفعل على أي حال.

المخلص لك،

كالفينو

[من كتاب Tarots. كتب النص بالفرنسية ولم ينشر بالإيطالية. عندما طلب مني فرانكو ماريا ريتشي نسخة من الرسالة الخطية التي تخص سيرتي الذاتية، قررت أن أعيد كتابة النص بأكمله. (ملاحظة الكاتب)].

سيرة ذاتيّة موضوعيّة

كان والد إيتالو كالفينو خبيراً زراعياً من سان ريمو، وقد عاش لسنوات عديدة في المكسيك ودول استوائية أخرى. لقد تزوج أستاذة مُحاضرة في علم النبات من جامعة بافيا، والتي تنتمي لعائلة من مدينة سردينيا، وقد رافقته زوجته في أسفاره: وقد ولد طفلهما الأول في ١٥ أكتوبر ١٩٢٣ في ضاحية هافانا، قبل أن يقرر والداه العودة إلى إيطاليا.

لقد أمضى إيتالو كالفينو أول خمس وعشرين سنة من حياته دون أن يغادر سان ريمو تقريباً، في فيلا ميريديانا، والتي في ذلك الوقت كانت مقر زراعة نباتات الزّينة، وفي أرض أسلافه في سان جيوفاني باتيستا، حيث كان يزرع والده الجريب فروت والأفوكادو. كان والداه مُفكرين حُرّين، لذا لم يمنحا ابنيهما أيّ تربية دينية. لقد ارتاد إيتالو كالفينو مدرسةً عاديةً في سان ريمو: كانت مدرسة السينت جورج هي مدرسته في فترة الحضانة، أما مدرسته الإبتدائية فكانت مدرسة (والدينسين)، أما مدرسته الثانوية فكانت مدرسة كازينّي رويال الثانوية. وبعد نيل شهادته الثانوية التحق بكلية الزراعة في جامعة تورين (حيث كان والده بروفيسوراً مسؤولاً عن الزّراعة الاستوائية)، لكنه لم يجتز امتحانات والده.

وخلال العشرين شهراً من الاحتلال الألماني، خاض إيتالو كالفينو تجربةً شائعةً بالنسبة لأقرانه الذين تجنبوا الحِزب الإيطالي الفاشي: لقد حَمَل لواء القتال والبسالة بشرف، حيث قاتل لبضعة شهور في Brigades Garibaldi في حرب ماريتايم ألبس الشّرسة والدّامية، إلى جانب أخيه البالغ من العمر

ستة عشر عاماً آنذاك. أما أمه وأبوه فقد احتجزهما الألمان رهينتين لبضعة أشهر.

وفي الفترة التي تلت الحرب مباشرة، صار كالفينو نشطاً سياسياً لصالح الحزب الشيوعي (حيث كان عضواً في المقاومة) في ناحية إمبيريا ووسط التلاميذ في تورين. وفي ذات الفترة كان قد بدأ بكتابة قصص قصيرة استلهمها من حرب العصابات التي قادها، وكانت لقاءاته الثقافية الأولى في ميلانو (في صحيفة إليو فيتوريني Politecnico Il) وفي تورين (دار أينودي للنشر).

قرأ تشيزاري بافيزي أول قصة كتبها كالفينو فأرسلها إلى الصحيفة التي أدارها كارلو موسكيتا في روما (Aretusa، ديسمبر ١٩٤٥). وفي ذات الوقت نشر فيتوريني قصصاً أخرى لكالفينو في صحيفته (والتي ساهم فيها كالفينو بكتابة مقالات صحفية عن مشاكل ليغوريا). كما دعا جيانسيرو فيراتا كالفينو إلى إرسال قصص أخرى إلى ميلانو للعدد الجديد من صحيفة Unita'L. كانت الصحف في تلك الأيام تتكون من صفحة واحدة، لكنهم كانوا قد بدأوا في إصدار أربع صفحات من كل عدد لبضع مرات في الأسبوع: لقد عمل كالفينو على الصفحة الرابعة - الصفحة الثقافية - من العدد الخاص بجينوا من Unita'L (ففاز بجائزة القصة القصيرة مناصفة مع مارسيللو فينتيوري Venturi Marcello) ومن عدد تورين (حيث كان ألفونسو غاتو أحد المحررين لفترة من الزمن).

وفي هذه الأثناء، كان الطالب قد غيّر كليته، وانتقل إلى كلية الآداب، في جامعة تورين حيث انضم فوراً لمقررات السنة الثالثة في كلية الآداب، بسبب إعفاء خاص مُنِح للعائدين من الحرب آنذاك، وعاش في عِلّية لم تتوفر فيها التدفئة. كتب كالفينو القصص وفور انتهائه من أي واحدة كان يذهب بها

إلى الكاتبة الإيطالية نتالي غينسبيرغ لتقرأها وإلى تشيزاري بافيزي، واللذان كان على عاتقهما مَهمّة تحسين العمل في مكاتب دار أينودي للنشر. ولكيلا يتسكع كالفينو في الدار شجّعه بافيزي على كتابة رواية. وتلقى ذات النصيحة من جينسيرو فيراتا في ميلانو والذي كان محكماً في مسابقة للروايات التي لم يسبق نشرها، وقد دشن الناشر Mondadori هذه المسابقة بُغية توفير عينة من كتّاب ما بعد الحرب الجدد. أما الرواية التي أنهاها كالفينو قبيل موعد التسليم النهائي ٣١ من ديسمبر ١٩٤٦ بعنوان **الطريق إلى بيوت العناكب** فلم تعجب فيراتا أو فيتوريني، ولم تتأهل للقائمة القصيرة النهائية (والتي كانت تضم ميلينا ميلاني، أوريستي ديل بونو، لويجي سانتوشي). لكن كالفينو كان قد جعل بافيزي يقرأها، فأثنى الأخير عليها ببعض التّحفظ، كما أوصى بوليو الناشر أينودي بقراءتها فأعجبته وطبعها ونشرها. حتى أنه وضع صورة غلاف الرواية على ملصقات كبيرة الحجم، وبيع منها ٦٠٠٠ نسخة. وكان هذا نجاحاً ساحقاً في تلك الأيام.

وفي ذات الشهر الذي صدرت فيه روايته - نوفمبر ١٩٤٧ - نال كالفينو ليسانس الآداب ببحث تخرج عن الأديب الإنجليزي جوزيف كونراد. لكن يمكن أن يقال إن تقدمه المذهل في الكتابة كان خارج قاعات محاضرات الجامعة تماماً. وفي تلك السنوات بين التحرير وعام ١٩٥٠، خاض كثيراً من النقاشات، وكون صداقات جديدة مع زملاء وأساتذة. ثم بدأ العمل في أينودي في قسم الدّعاية والإعلام. وهي وظيفة سيعمل فيها كموظف دائم في السنوات التالية.

يُفضِّل الجو العام في دار أينودي المؤرخين والفلاسفة على النّقاد والكُتّاب، وتدور فيه نقاشات دائمة بين ميول أيديولوجية وسياسية مختلفة، مما كان له دور أساسي في تكوين الشاب كالفينو فكرياً حيث وجد نفسه يهضم تجربة

جيل أكبر منه بقليلٍ تدريجياً. وهو جيلٌ فيه رجال لهم باعٌ كبيرٌ في المناقشات الأدبية والسياسية يمتد لعشرة أو خمسة عشر عاماً. بالإضافة إلى أنهم كانوا مناضلين في الحركة المعادية للفاشية أو في حزب التحرك الوطني أو في حركة اليسار النّصرانية أو الحزب الشيوعي. وكل ما سبق كان له تأثيره العميق، ولكن ليس لمعارضته لمظهر كالفينو اللاديني، بل للصداقة العميقة، والتأثير الأخلاقي الكبير، وفصاحة الفيلسوف الكاثوليكي فيلتشي بالبو Felice Balbo، والذي كان عضواً دائماً في الحزب الشيوعي آنذاك.

وبعد عام من العمل كمحررٍ للصفحة الثقافية في نسخة تورين من صحيفة Unita'L – من ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩ – أدرك كالفينو أنه لم يكن يملك ما يؤهله ليكون صحفياً جيداً أو حتى سياسياً محنكاً. لكنه واصل العمل في Unita'L لبضع سنوات من خلال كتابة نصوص أدبية، واستبانات، ومقالات عن النّكبات الصّناعية والزّراعية وفساد المصانع. وهذا الانشغال العملي مع اتحاد المنظمة – والتي ضمت صداقات مقربة مع رفاق من جيله – شغله أكثر من النقاشات الأدبية أو الأيديولوجية، وساعده أيضاً على تجاوز الأزمة التي سببتها إدانة وعزل بعض من رفاقه من الحزب والمجاميع الثقافية (فيتوريني و Il Politecnio في عام ١٩٤٧، وفيليتشي بالبو و Cultura e realtà في عام ١٩٥٠).

ولم يكن إيتالو كالفينو واثقاً من مُنجزه الأدبي: فبعد نشر روايته الأولى، حاول كتابة روايات أخرى استمدها من الواقع الاجتماعي الذي صور فيه حياة المشردين ومعاناتهم المستمرة، لكنها مُزّقت جميعاً دون أدنى رحمة، ورفضها أساتذته ومن يقدمون له النّصح. وحين طفح كيله من هذه الإخفاقات المتتالية قرر كالينو أن يستسلم لما هو أكثر عفوية أو تلقائية بالنسبة له: كان حكواتياً بالفطرة. فكتب **الفيكونت المشطور** في فورة استثنائية من

الإبداع. وظنّ أن عليه أن ينشرها في صحيفة لا في كتاب كي لا يعطي أهمية كبيرة لهذا العمل. لكن فيتوريني أصرّ على تحويلها إلى قصة قصيرة في سلسلة Gettoni الأدبية. وقد نالت استحساناً غير متوقع من النقاد. حتى أنها ألهمت إيميليو كيتشي Cecchi Emilio لكتابة مقال جيد، وهذا كان يعني في تلك الأيام تزكية أو اعترافاً جزئياً به ككاتب في الأدب الإيطالي الرسمي. وقد أثارت هذه الرواية مشكلة صغيرة تخص الواقعية في الدوائر الشيوعية، لكنها في المقابل نالت موافقة السُّلطة.

ومن ذلك النجاح أقلع كالفينو «بخياله» - رغم أن هذا مصطلح كان النقاد يستخدمونه بالفعل منذ نشر روايته الأولى - وكتب عدداً من الأعمال التي يُصوّر فيها التجارب المعاصرة في إطار ستاندالي ساخر.[1] ولتعريف أعمال كالفينو الأخرى استحدث فيتوريني تعبيريّ «الواقع بنكهة خيالية» و «خيالٌ بنكهة واقعية»، وهما تعبيران شاع استخدامهما فيما بعد. لقد حاول كالفينو أيضاً أن يوضح العناصر المختلفة لأفكاره وشعريته من نواح نظرية: أعطى أكثر مخطط مفصل لبرنامجه في محاضرة ألقاها في فلورنسا في عام ١٩٥٥ بعنوان **مارو الأسد**.

وبهذه الطريقة كان كالفينو قد نقش مكانه في الأدب الإيطالي في الخمسينيات من القرن العشرين، في جو كان يختلف اختلافاً كبيراً عن نهاية الأربعينيات، وفي الفترة التي كان فيها النجاح مرتبطاً بالأفكار. كانت روما العاصمة الأدبية لإيطاليا، وبالرغم من اعتزاز كالفينو بأنه من تورين، إلا أنه قد أصبح يُمضي الآن معظم وقته في روما، مستمتعاً بتلك المدينة المرحة والمُحبة برفقة العديد من الأصحاب والمُعاونين، الذين هيمنت عليهم علاقته

---

1 - نسبة إلى الكاتب الفرنسي ماري هنري بيل الذي كان يستخدم اسم ستاندال بدلاً من اسمه. (المترجمة)

بكارلو ليفي.

وفي تلك السنوات كُلّف كالفينو بكتابة كتاب **حكايات شعبية إيطالية**، حيث اختار بعضها من لهجات إيطالية متعددة انتشرت في القرن التاسع عشر، بينما اختار البعض الآخر من رواة الحكايات الشعبية. وضم الكتاب حكايات نُشِرت ولم تُنشر من قبل. وفي الكتاب عنصر أكاديمي (من ناحية البحث، والتمهيد والملاحظات) نابع من رغبته في أن يكون أكاديمياً.

واحتدمت في ذلك الوقت مناقشات سياسية هزت عالم الشيوعية كما يبدو. فبين عامي ١٩٥٤- ١٩٥٥، وفي جو من الهدنة وسط الصراعات بين مجموعات مثقفي الشيوعية الإيطاليين، تعاون كالفينو بانتظام مع صحيفة Il Contemporaneo الأسبوعية، والتي يديرها ساليناري[1] وترومبادوري.[2] كما استفاد من مناقشاته مع أشخاص ميلانيين وهيغليين وماركسيين في ذلك الوقت: مناقشات مع تشيزاري كاسيس Cases Cesare، وأخرى مع ريناتو سولمي Renato Solmi، وكذلك مع فرانكو فورتيني Franco Fortini ، وهذا الأخير كان وسيظل صوتاً نِدّياً عنيداً لكالفينو. وقد قرر كالفينو بسبب خلافاته في الحزب الشيوعي في عام ١٩٥٦ (كان يعمل مع صحيفة Città Aperta الرومانية في ذلك العام) الاستقالة من الحزب في عام ١٩٥٧. ثم شارك بعدها في اجتماعات لبعض الوقت (١٩٥٨-١٩٥٩) تهدف إلى تكوين يسار اشتراكي جديد، وعمل كالفينو أيضاً في صحيفة

1-(1919-1978) :Carlo Salinari) ناقد أدبي ماركسي. متخصص في مانزوني وبوكاتشو، وبطل الأدب الواقعي.

2- Antonello Trombadori: ناقد فني ماركسي، ومحرر مساعد مع Salinari صحيفة الجناح اليساري Il Cobtemporaneo في الخمسينيات والستينيات.

أنتونيو جوليتّي[1] e Presente Passato وصحيفة أسبوعية اسمها Italia Domani.

في عام ١٩٥٩ بدأ فيتوريني بنشر سلسلة أعداد تضم نصوصاً أدبية ومقالات نقدية عنوانها (Menabò Il) والتي كانت رد فعل ضد المناخ الأدبي السائد، وقد حرص فيتوريني على ظهور اسمه جنباً إلى جنب اسم كالفينو بصفته محرراً مساعداً. وفي هذه السلسلة Il Menabò نشر كالفينو مقالات تهدف إلى تلخيص الحالة الأدبية في العالم. فنشر مقالاً بعنوان **بحر الأشياء** Il mare dell'oggettività (العدد الثاني ١٩٥٩)، ومقالاً بعنوان **التحدي إلى لابيرينث** La sfida al labirinto (العدد الخامس، ١٩٦٢)، ومقالاً يُعتبر محاولة لتلخيص خريطة الأيديولوجية العامة بعنوان **الطبقة العاملة كنقيض جدلي** L'antitesi operaia (العدد السابع، ١٩٦٤). لكن انتقادات رفاقه أقنعته بتجنب الكتابة التخمينية النظرية.

وفي ١٩٥٩-١٩٦٠ أمضى كالفينو ستة أشهر في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي العشر سنوات التي تلت، تكررت رحلاته خارج إيطاليا. وفي عام ١٩٦٤ تزوج. كانت زوجته أرجنتينية، من أصول روسية، تعمل مترجمة من اللغة الإنجليزية وتعيش في باريس. وقد ولدت ابنته الوحيدة في عام ١٩٦٥.

إن المعلومات التي تخبرنا بالمزيد عن كالفينو باتت شحيحة ونادرة: وهذا يرجع إلى أنه صار مُقِلاً في ظهوره الإعلامي، وحضوره الأدبي صار أقل أيضاً، كما أنه لم يعد يكتب في الصحف، ولم يعد يزعج الشبان بمناصرتهم

1-(Antonio Giolitti: (1915-1993 عضو شيوعي في الخمسينيات. كان في الجناح الإصلاحي للحزب خلال وبعد أحداث المجر في عام 1956، انضم بعدها إلى الحزب الاشتراكي. وكان فصله من الحزب الشيوعي الإيطالي أحد الأسباب الرئيسية لاستقالة كالفينو منه.

أو معاداتهم. ولا يُعرف عن أسفاره إلا القليل، فهو من الكُتّاب الإيطاليين القلائل الذين لا يكتبون كتباً عن أسفارهم أو تقارير عنها. وقد تأكد انفصاله عن عالم الأدب في عام ١٩٦٨ عندما رفض تسلم جائزة أدبية مميزة.

ويبدو أن كاتب رواية **البارون فوق الأشجار** قد قرر اعتزال العالم. لقد وصل إلى حالة انطواء على الذات. وإن كنت تعرفه شخصياً، فستعرف أنه قد وصل إلى حالة من الوعي الذي أدرك من خلاله تعقيد العالم الذي يُجبره على الاختناق في ذاته، نتيجة لتطلعاته العالية ويأسه من تحققها في آن واحد.

[كُتب هذا المقال في عام ١٩٧٩ ضمن سلسلة مقالات لدار أينودي بعنوان Gli amori difficili (عشق صعب)].

ناسك في باريس

امتلكت منزلاً في باريس منذ بضع سنوات، حيث كنت أُمضي فيه جزءاً من العام، لكن حتى هذا اليوم لم تظهر باريس في أي من كتاباتي. ربما علي أن أغادرها لأتمكن من الكتابة عنها، فأفضل الكتابات أساسها الفقد أو الغياب، أو أن تنغمس فيها، ولأحقق الانغماس علي أن أعيش فيها منذ طفولتي. فسنواتنا الأولى هي التي تشكل عالم تخيلاتنا، أو لنقل: يجب أن يكون المكان أرضاً داخلية فينا ليعتاد الخيال التكون فيها، وليحوّل هذه الأرض إلى مسرحه. وقد صارت باريس بالفعل أرضاً داخلية لعدد كبير من أدباء العالم، للعديد من الكتب التي قرأناها جميعاً، والتي أثّرت في حياتنا. قبل أن تكون باريس مدينة في عالم حقيقي، كانت مدينة قد تخيلتها من خلال الكتب، مدينة تملّكتها عندما كنت أقرأ. لقد بدأت في طفولتي بقراءة رواية الفرسان الثلاثة، والبؤساء في ذات الوقت أو ربما بعدها، وقد أصبحت باريس مدينة التاريخ.. مدينة الثورة الفرنسية. ولاحقاً وفي فترة شبابي صارت مدينة بودلير، مدينة شعرٍ جميلٍ يبلغ من العمر مئة عام ويزيد، مدينة الفن، والروايات العظيمة، بالزاك، زولا، بروست...

وعندما اعتدت الذهاب إلى باريس كسائح، كانت لا تزال تلك المدينة التي زرتها في ذهني سابقاً، أي أنها كانت صورة أعرفها بالفعل، صورة لم أضف لها شيئاً. وقد نقلتني صروف الدهر إلى الإقامة فيها وامتلاك منزل فيها. إلا أني لا زلت سائحاً فيها، بسبب نشاطي، فعملي لا يزال في إيطاليا، لكن طريقتي في العيش في باريس مختلفة، تُكوّنها مئات المشاكل الصغيرة في حياتي الأسرية. ربما إذا تآلفت مع تقلباتي الشخصية، ووجودي اليومي،

وفقدت تلك الهالة الثقافية الأدبية التي تحيط بصورتها في ذهني، فستصبح مدينة داخلية، ويمكنني الكتابة عنها. حينها لن تصبح مدينة قد قيل وكتب عنها كل شيء، بل ستصبح مجرد مدينة يحدث أنّي أعيش فيها.

وبين الفينة والأخرى، أقرر كتابة قصص تدور أحداثها في نيويورك، وهي مدينة عشت فيها بضعة أشهر من حياتي: لا أعرف السبب.. ربما لأن نيويورك هي أبسط مدينة - على الأقل بالنسبة لي - وهي صورة لما يجب أن تكون عليه المدينة، ونموذج مثالي لها، طالما أن طبوغرافيتها، وشكلها البصري، ومجتمعها ذو أهمية. بينما باريس مُخيفة نوعاً ما: أعني صورة باريس، وليس المدينة نفسها. لكن ما إن تطأها قدماك حتى تجدها مألوفة.

وعندما أفكر في الموضوع، أجد أني لم أكتب رواية تدور أحداثها في روما، رغم أني قد عشت في روما أكثر من نيويورك، ولربما أكثر من باريس. إن روما مدينة مختلفة لا يمكنني الحديث عنها، مدينة أخرى كُتب عنها الكثير. لا يمكن مقارنة ما كُتب عن روما بما كُتب عن باريس: والشيء الوحيد الذي تشتركان فيه هو أنه يصعب كتابة شيء لم يكتب عنهما من قبل، وحتى في نواحيهما الحديثة.. كل تغيير تمران به يلاحظه جميع الناس.

لعلي لا أملك موهبة تكوين علاقة شخصية مع الأماكن، فإحدى قدمي بين السحاب والأخرى في مدينة ما. ومكتبي يشبه قليلاً جزيرة: قد أمتلك مكتباً مثله في دولة أخرى. إضافة لما سبق، صارت المدن.. مدينة واحدة، مدينة واحدة لا نهائية، تتلاشى فيها الفروقات التي كانت يوماً من خصائصها. وقد ناقشت هذه الفكرة في كتابي **مدن لامرئية**، وقد خطرت فكرته في ذهني بسبب الطريقة التي يعيشها كثير منا: إننا نتنقل باستمرار من مطار لآخر، لنستمتع بحياة متطابقة تقريباً في أي مدينة أخرى نكون فيها. وقد قلت مراراً أنّي قد مللتها، ففي باريس لدي منزلي الريفي، أي أنه يمكنني ككاتب أن

أمارس نشاطي بعزلة، ولا يهم أين، في منزل منعزل وسط الريف، أو على جزيرة، ومنزلي الريفي هذا وسط باريس تماماً. وبهذه الطريقة يكون الجزء المتعلق بعملي موجود بأكمله في إيطاليا، آتي إلى هنا كلما سنحت الفرصة أو عندما أود أن أكون بمفردي، ويسهل علي فعل ذلك في فرنسا.

إن إيطاليا.. أو تورين وميلانو على الأقل على بعد ساعة من هنا. أنا أعيش في منطقة يسهل فيها استخدام الحافلات ثم مطار أورلي. وعندما يكون الطريق مزدحماً في ساعة الذروة، يمكنني الذهاب إلى إيطاليا بشكل أسرع من ذهابي لنقل إلى شامب إليزيه. يمكنني غالباً الاستبدال: فنحن نقترب من وقت ستكون فيه الإقامة في أوروبا كما لو كانت مدينة واحدة.

وفي ذات الوقت، نحن نقترب من وقت يصعب فيه استخدام المدينة.. كمدينة: فأنت تهدر وقتاً أكثر في مشاويرك الصغيرة لا في رحلاتك الطويلة. أنا أغادر هذا المكتب عندما أكون في باريس، وبسبب عادتي في الوقوف طويلاً كل صباح، أذهب كل صباح إلى سان جيرمان دو بارغي لأشتري الصحف الإيطالية مستخدماً الميترو. ولهذا فأنا لست Flâneur كثيراً - ذلك الرجل الذي يتنزه كثيراً في الشوارع الباريسية - أو تلك الشخصية التقليدية التي خلّدها بودلير. وباختصار: لم تعد الرحلات الطويلة أو القصيرة في المدينة اكتشافاً لأماكن مختلفة: إنها وبكل بساطة تنقلات من نقطة لأخرى تفصل بينها حدود، انقطاع، وحدود فوق السحاب إن كانت رحلة جوية، وحدود تحت الأرض إن كانت رحلة في المدينة.

كان استخدام الميترو يزعجني كثيراً، لكني ما لبثت أن اكتشفت أنه وسيلة تنقل سهلة الاستخدام لشاب مثلي منذ وصولي إلى باريس. إنها وسيلة تجعل المدينة بأكملها بين يدي. ولربما يكون سبب إعجابي بالميترو هو عشقي لعوالم تحت الأرض: وأحب روايتَيْن للكاتب جول فيرن: **الهندي الأسود، ورحلة**

إلى مركز الأرض. وقد يكون التخفي هو سبب إعجابي بالميترو؛ فهؤلاء الناس الذين يمكنني ملاحظتهم فرداً فرداً يتلاشون فيّ تماماً.

فبالأمس مثلاً، كان هناك رجل عاري القدمين، ولم يكن غجرياً أو هيبياً. رجل يرتدي نظارة مثلي ومثلك ومثل الكثيرين. وكان يقرأ الصحيفة، ومظهره أكاديمي قليلاً، برفيسور منشغلُ الذهنِ قد نسي ارتداء جوربَيْه وحذاءَيْه. وكان يمشي عاري القدمين في يوم مطير، ولم يلاحظ أحد ذلك! لم يبدُ أي شخص مهتماً! إنه حلم أن أكون لامرئياً... وعندما أجد نفسي في بيئة تتيح لي تخيل أني لامرئي فإني أشعر بسعادة عارمة.

وهذا نقيض شعوري عندما أشعر أني مجبر على التحدث في التلفاز، وأشعر أن الكاميرا ترصدني، وتنتهك مرئِيّتي، وموجّهة نحو وجهي. أظن أن الكُتّاب يفقدون الكثير عندما يظهرون بشخصهم. ففي الأيام السالفات، كان الكتاب المشهورون جداً مجهولين تماماً بالنسبة لقرائهم، مجرد اسم على كتاب، مما منحهم هالة من الغموض الاستثنائي. غاستون ليغو-Gaston Le roux، ماوريس ليبلانك Liblanc Maurice (على سبيل المثال هما كاتبان نشرا أسطورة باريس بين الناس) وكانا كاتبان لا يعرف الناس عنهما شيئاً. وهناك كُتّاب أكثر شهرة لم نكن نعرف اسمهم الأول، قريبون للمجهول، وعند ذلك فقط تتطور سُلْطة الكاتب، أي عندما لا يكون للكاتب وجه، وحضور، لكن العالم الذي يُصوره يحتل العقول مثل شيكسبير، فلا توجد لوحة تساعدنا على التعرف على شكله، ولا أي معلومة توضح لنا خبايا حياته الخاصة. لكن الحال يختلف اليومَ اختلافاً تاماً. فكلّما اقتحمت شخصية الكاتب المجال، أصبح العالم الذي يصوره خاوياً، ثم يخبو ضوء الكاتب نفسه، ويُهجر من كل النواحي.

هناك نقطة غير مرئية ومجهولة يبدأ الكاتب الكتابة منها. ولذلك يصعب

عليّ تعريف العلاقة بين المكان الذي أكتب فيه والمدينة المحيطة بذلك المكان. يمكنني أن أكتب بشكل جيد في غرف الفنادق، في ذلك المكان المُجرّد والمجهول، حيث أجد نفسي مواجهاً لصفحة بيضاء، دون أي مُلهيات، أو دون مجال للهرب منها. وقد تكون هذه حالة مثالية كانت تنجح عندما كنت شاباً، وكان العالم هناك خارج باب الغرفة مزحوماً بعلامات، ومرافقاً لي في كل مكان: كانت عملية فيزيائية تتطلب إبعاد جسدي بخطوات قليلة عن العالم لأكتب عنه. لا بد أن شيئاً ما قد تغير.. أنا أكتب بشكل جيد في المساحة التي تخصني، وفيها كتب في متناول يداي، لأني أحتاج دائماً إلى الرجوع للكتب أو إلى شخص ما. لكن قد لا يعود سبب ذلك إلى الكتب نفسها، بل للمساحة الداخلية التي تُكونها، كما لو أني متآلف مع مكتبتي المثالية.

ومع ذلك لم أمتلك مكتبة تضم كل كتبي: فكتبي مبعثرة هنا وهناك دائماً: وعندما أحتاج إلى معلومة عن باريس، سأجدها في كتاب أملكه في إيطاليا، وعندما أحتاج كتاباً عن إيطاليا، سأجد ما أحتاج دائماً في مكتبة منزلي في باريس. إن حاجة الرجوع إلى الكتب بينما أكتب هي حاجة تكونت عندي خلال السنوات العشر الماضية. ولم يكن الحال في السابق كذلك؛ كل شيء أكتبه كان مصدره ذاكرتي، وتجربتي في الحياة. حتى الإشارات الثقافية في كتاباتي يجب أن تكون شيئاً أحمله فيّ، كان جزءاً مني، وإلا فلن تنطبق القاعدة عليه، ولن يمكنني وضعه على الورق. لكن الأمر مختلف تماماً اليوم: فحتى العالم صرت أرجع إليه. وفي الواقع، لا يبدو هذا جيداً.

لذا يمكنني القول إن باريس... حسناً، إن باريس عمل موسوعي ضخم، مدينة يمكنك الرجوع إليها كموسوعة؛ ومهما كانت المعلومة التي تبحث عنها فإنها ستعطيك معلومات كاملة، قائمة أثرى من أي معلومات تعطيك إياها أي مدينة أخرى. فعلى سبيل المثال، المحلات التي تعتبر أكبر خطاب

تواصُليّ ومفتوح يمكن أن تستخدمه مدينة، كلنا نقرأ المدن، والشوارع، وامتدادات الأرصفة من خلال تتبع سلاسل المحلات. هناك محلات يمكن اعتبارها كفصول من أطروحة، وهناك محلات يمكن اعتبارها كمداخل في موسوعة، وهناك محلات يمكن اعتبارها كصفحات من جريدة. وفي باريس هناك محلات للجبن، حيث تباع مئات الأنواع المختلفة من الجبن، ومعروضة وعلى كل منها بطاقة توضح اسمها، وهناك جبن مغطى بالرماد، وجبن مغطى بالبندق، وكأنك في متحف أو لوفر خاص بالأجبان. إنها نواح من التحضر سمحت بنجاة أشكال مختلفة في ميزان كبير يسمح بالاستفادة من المنتجات مادياً، بينما لا تزال تحافظ على être'd raison في الافتراض المسبق لشيء ما، نظام ينتمون إليه، لغة أجبان. ولكن فوق هذا كله انتصار روح التصنيف والأسماء التعريفية. ولهذا إن بدأت الكتابة عن الأجبان غداً، فيمكنني الخروج والرجوع إلى باريس كموسوعة ضخمة عن الأجبان، أو الرجوع إلى محل بقالة معين حيث يمكنني التعرف على ماهية القرن التاسع عشر الغريب. إنها غرابة تجارية كانت جزءاً من بداية الاستعمار، تلك الروح التي ألهمت العرض التفصيلي العالمي.

في باريس محلات محددة قد يشعر المرء أنها هي التي شكلت الثقافة باعتبار أنها متحف، وهذا المتحف بالمقابل قد منح شكلاً لمختلف أنشطة الحياة اليومية، حتى تكون المعارض في اللوفر والنوافذ متسلسلة. أي أن كل شيء في الشارع يمكن أن يكون في المتحف، أو أن المتحف يمكن امتصاص الشارع. ولا عجب أن متحفي المفضل هو ذلك المخصص للحياة وتاريخ باريس Carnavalet Musée.

إن فكرة المدينة كخطاب موسوعي، كذاكرة جَمْعية، هو جزء من تقليد عام: فكّر في الكاتدرائيات القوطية والتي يكون فيها كل عمران أو تفصيل

زُخرفي، وكل مساحة أو عنصر، يحيل إلى أفكار كانت جزءاً من الحكمة الكونية، كانت علامة وجدت صدىً في مجالات أخرى. وفي ذات الوقت، يمكن أن تقرأ المدينة كعمل مرجعي، كما نقرأ نوتر- دام (رغم أننا نقرأها من خلال ترميم المهندس المعماري فيوليه لو دوك Duc-Le Viollet)، عاصمة إثر عاصمة، عملية تعرية إثر الأخرى. وفي ذات الوقت، يمكننا أن نقرأ المدينة كلاوعي جمعي: إن اللاوعي الجمعي هو بمثابة فهرس ضخم، أو رمزيات هائلة الحجم. ويمكننا تفسير باريس على أنها كتاب الأحلام، ألبوم يضم لاوعينا ومخاوفنا. وهكذا، وخلال نزهاتي كأب وأنا أرافق ابنتي الصغيرة، أجد أن باريس تفتح لي باب الرجوع إلى تماثيل الحيوانات في حديقة النباتات، حيث تبقى الأفاعي وزواحف الإغوانة والحرباء كلها في مكان واحد بسعادة، إنها حيوانات من حقبة ما قبل التاريخ، وفي ذات الوقت هي تنانين كهوف تسحبها حضارتنا خلفها.

إن أشباح اللاوعي ووحوشه تظهر بوضوح خارجنا هي ميزة قديمة لهذه المدينة. ولهذا لم تكن مدينة سريالية عبثاً. لأن باريس، حتى قبل بريتون، ضمت كل شيء صار فيما بعد مادة خصبة للرؤية السريالية. وفيما بعد تركت السريالية بصماتها، وآثارها ظاهرة للعيان في أرجاء المدينة، وخاصة في الطريقة التي تقدر فيها قوة الصور، كما في المكتبات السريالية، أو في بعض دور السينما الصغيرة، مثل Styx Le على سبيل المثال، والمتخصصة في عرض أفلام الرعب.

ويمكن اعتبار السينما متحفًا أيضاً في باريس، أو موسوعة يُرجع إليها، لا من أجل كمية الأفلام في cinématique، بل لكل شبكات دور السينما في الربع اللاتيني؛ صالات السينما الصغيرة تلك، ذات الروائح الكثيرة، حيث يمكنك أن تشاهد آخر فيلم لمخرج برازيلي أو بولندي جديد، أو الأفلام

القديمة والتي تعود إلى حقبة الأفلام الصامتة أو الحرب العالمية الثانية. وبدراسة متأنية سيتمكن كل متفرج من إعادة ترتيب تاريخ السينما قطعة تلو القطعة. أنا على سبيل المثال أعاني من ضعف شديد تجاه أفلام الثلاثينيات، لأنها ظهرت في فترة كانت فيه السينما موجهة للجميع، وفي هذه الناحية يمكنني أن أجد تسلية حقيقية من ناحية البحث عن الزمن المفقود، ومشاهدة أفلام تعود إلى فترة طفولتي، أو مشاهدة أفلام فاتتني في فترة شبابي، والتي ظننت أني قد فوتها للأبد، بينما يمكنك في باريس أن تكون على أمل دائم بالعثور على ما كنت قد ظننت أنك قد فقدته، ماضيك أو ماضي شخص آخر. وهكذا يمكننا أن نعتبر أنها فرصة جديدة لرؤية المدينة: كمكتب ضخم للمفقودات، إنها تشبه القمر قليلاً في الملحمة الشعرية الإيطالية أورلاندو الهائج Orlando Furioso والذي جمع كل ما فُقِد في هذا العالم.

وهكذا، يمكننا الآن الدخول إلى باريس اللامحدودة والتي يعشقها جامعو الأشياء، إن هذه المدينة تدعوك إلى تكوين مجموعات خاصة من كل شيء، لأن الأشياء فيها تتراكم وتصنف ويعاد توزيعها، حيث يمكنك أن تبحث كما في المواقع الآثرية. إن تجربة جمع الأثريات لا تزال تجربة وجودية، إنها رحلة البحث عن الذات عبر الأشياء، إنها اكتشاف للعالم وفي ذات الوقت إدراك للذات. لكن لا يمكنني أن أدعي أنني أمتلك فطرة من يجمع الأشياء، أو تلك الفطرة التي تستيقظ من جديد عند رؤية أشياء مثل الصور أو الأفلام القديمة، أو مجموعة من الذكريات سوداء وبيضاء الظلال.

يجب أن أُلخص أن باريس هي مدينة النضج بالنسبة لي: أي أني لم أعد أراها من منطلق روح الاستكشاف لهذا العالم، وهي مغامرة تعود لفترة شبابي. وفي علاقاتي مع العالم انتقلت من الاستكشاف إلى الاستنتاج، أي بمعنى أن مجموعة البيانات الموجودة، والمستقلة عني، وهي معلومات أقارنها

وأجمعها وأنقلها، وأستمتع بها كثيراً، ولكن بشكل خارجي تقريباً. فأسفل منزلي توجد سكة حديد قديمة Ceinture-Paris، والتي لم تعد تستخدم كثيراً الآن، ولكن يعبر عليها قطار صغير مرتين يومياً وعند مروره أتذكر قصيدة لافورغ Laforgue التي يقول فيها:

;aventures'd jamais aurai'n Je

,Nature la dans ,petit est il'Qu

! Ceinture-Paris fer'd chemin Le

لن أحظى بالمزيد من المغامرات

كم هو صغير مركز الطبيعة،

إنّه سكة حديد Centure Paris!

[أجرى المذيع Riva Valerio مقابلة مع إيتالو كالفينو في عام ١٩٧٤. وهذا نص ما قاله كالفينو].

أين كنت في 25 من أبريل 1945؟

لقد اندلعت النيران في الغابة. وأذكر صفاً طويلاً من المقاتلين الذي جاؤوا للأسفل بين أشجار الصنوبر المشتعلة، كما أذكر الرماد الساخن أسفل أقدامنا، وجذوع الأشجار التي بقيت مشتعلة طوال الليل.

كان مسيراً مستمراً يختلف عن أي مسيرٍ آخر في حياتنا في تلك الغابات. وأُمِرنا بالنزول فوراً من التلال لمهاجمة بلدتنا سان ريمو. كنّا على علم بأن الألمان كانوا ينسحبون من الريفييرا، لكننا لم نعلم مواقع تمركزهم. كانت أيام تغيير في كل شيء، وبالطبع كان قادتنا على علم بكل جديد. لكنّي أحاول هنا فقط تذكر مقاتل عادي في غاريبالدي بريجدس، متتبعاً انفصالي وعَرجي بسبب دمامل في رجلي (سببها الصقيع الذي ازداد وجعّد معه جلد حذائي، مما أدى إلى تكرار إصابتي بالقروح). بدا أن ألمانيا قد هُزمت هذه المرة بالتأكيد، لكننا توهمنا كثيراً في تلك الأيام، وخابت آمالنا كثيراً، فآثرنا عدم استباق الأحداث.

لم تُبْد أقرب جبهة قتال لنا على الحدود الفرنسية أي علامة تحرك؛ ولثمانية أشهر، ومنذ لحظة تحريرها تحديداً كنا قد نسمع أصوات المدافع على الجبهة الغربية. ولثمانية أشهر كان النصر على بعد كيلومترات قليلة منا، لكن صارت حياة المقاتلين في هذه الأثناء في ماريتايم ألبس أصعب شيئاً فشيئاً، لأن الطريق الخلفي للجبهة الأمامية كان قريباً منا وكان ذا أهمية كبيرة للألمان، ولهذا حرصوا على إبقاء الطرق خالية قدر استطاعتهم، ولم يجعلونا ننعم بالسلام مطلقاً. ولهذا السبب أيضاً، كانت منطقتنا إحدى أكثر المناطق

تضرراً من ارتفاع عدد الوفيات فيها.

وحتى في تلك الأسابيع التي اقترب فيها فصل الربيع (لقد كان شهر أبريل بارداً جداً) عندما شعرنا أنّ النّصر كان وشيكاً، كان شعور الشك وعدم اليقين قد شكل حياتنا لأشهر طوال، وحتى في أيام الحرب الأخيرة ظهر الألمان فجأة وعانينا من معدل وفيات مرتفع مجدداً. وقبل هذه الحادثة بأيام قلائل، كنت سأسقط أسيراً بين أيديهم بينما كنت أعبّئ خزّان الوقود.

كان آخر مخيم بنيناه، كما أتذكر، بين مونتالو وبادالوكو: كان نزولنا إلى منطقة بساتين الزيتون إشارة إلى أن موسماً جديداً قد بدأ، وإنْ عانينا من الجوع باستمرار بعد أن جمّد الشّتاء أشجار البندق. عند تلك المرحلة من الحرب لم يكن باستطاعتنا فهم ما يحدث عدا إن كان الذي نواجهه سيفيد أم يضر نجاتنا كمقاتلين، ولم نكن نعلم كم كان سيستمر هذا الوضع. وكَسَت الحشائش والأوراق الوديان من جديد، وهذا كان يعني فرصة أفضل للبقاء متخفّين عندما يطلق العدو نيرانه، كأشجار الجوز تلك التي أنقذت حياتنا، حياتي وحياة أخي، بعد عشرين يوم من حركة كانت على طريق سيريانا. وطالما أن حياتنا كانت على المحك، كان من العبث التفكير في أن حياة جديدة سيختطفها الموت، حياة ستكون بلا سلاح، ومن العبث التفكير بأي هجوم انتقامي، أو الخوف من الوقوع في الأسر والتعرض للتعذيب. وحتى بعد ذلك، عندما حل السلام، احتجنا وقتاً لإعادة اكتشاف كيفية القيام بأي عمل بطرق مختلفة.

بدا لي في تلك الليلة التي نمنا فيها بضع ساعات فقط، مستلقين على الأرض لآخر مرة، أن في اليوم التالي ستكون هناك معركة لاستعادة الممتلكات في فيا أوريليا. وكانت أفكاري كتلك الأفكار التي تراود المرء في الليلة التي تسبق المعركة، بدلاً من التفكير بتحرير قريب. وفي الصباح التالي

مباشرة، لاحظنا أننا نتقدم بتواصل مستمر ودون أي عقبة، حينها أدركنا أن الساحل قد تحرر وأننا كنا نتجه إلى سان ريمو (في الواقع، انسحبت القوات الألمانية والفاشية إلى جينوا بعد مواجهات بائسة مع جماعات المقاتلين).

وبالرغم من ذلك، وحتى في ذلك الصباح، ظهرت سفن قوات التحالف قرب ساحل سان ريمو وبدأت بقصف بحري يومي على البلدة. وقد بسط مجمع التحرير الوطني قوته تحت القصف، وكان أول فعل حكومي هو إصدار أمر بتلوين المنطقة المحررة بحروف بيضاء كبيرة على جدران Corso Imperatrice'dell كي تراها السفن الحربية. وعند اقترابنا من بوجيو، بدأنا برؤية سكان البلدة مُصطفين على جانبي الطريق؛ لقد خرجوا لرؤيتنا وتهنئتنا في مسيرة من تنظيمهم. أتذكر أن أول الأشخاص الذين رأيتهم كانا رجلين كبيرين في السن وكانا يرتديان قبعتيهما، وقد جاءا وبدءا الحديث كما لو كانا في يوم عطلة، لكن كان هناك أمر واحد مميز بشأنهما، كانا يرتديان وردة قرنفل حمراء على صدر سترتيهما. وفي الأيام التالية بدأت برؤية آلاف الأشخاص يعلّقون هذه الورود الحمراء على صدورهم، لكنهما كانا قد سبقا الآخرين.

يمكنني أن أؤكد أن هذه أول صورة من صور الحرية في الحياة المدنية، بحيث لم يعد هناك أي مخاطرة بالنّفس، والتي انبثقت بشكل مفاجئ، كما لو أنها أمر معتاد في هذه الحياة.

وكلما اقتربنا من القرية، ازداد عدد الناس، وازداد عدد قلادات النصر، والزهور، والفتيات. بعدها تذكرت منزلي وخَيّمت علي أفكار تتعلق بوالديّ اللذين احتجزتهما قوات SS، ولم أكن أعرف حينها إن كانا على قيد الحياة أم لا، كما لم يعرفا إن كان ابناهما على قيد الحياة أم لا.

أجد أن ذكريات التحرير هذه ترتكز على أحداث قبل التحرير أكثر من أحداث بعد التحرير. هكذا احتفظت بها في ذاكرتي، لأننا عَلِقنا في التجربة

التي عشناها، ولم يكن للمستقبل وجه حينها، ولم نكن نتخيل أن المستقبل سيعمل على أفول هذه الذكريات تدريجياً منذ وقت حدوثها قبل ثلاثين عاماً.

[ورد هذا النص في صحيفة Corriere del Dominica، أبريل ١٩٥٧، بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على التحرير].

اللّهجة

١) و ٢) و ٣) تحافظ ثقافة اللهجات على قوتها طالما أنها تُعرف كمنبع للثقافة، أي أنها خصيصة محلية لا يمكن التهاون في شأنها، فهي تضمن هُويّة القرى، ومناطق الأرياف، والوادي، وعن طريقها نفرق بين كل قرية وأخرى، وبين الأرياف ومناطق الوديان. وعندما تصبح اللهجة إقليمية، أي نوع من اللهجة الداخلية، فإنها تدخل مرحلة دفاعية لا جدال فيها، وبتعبير آخر مرحلة تدهورها. إن اللهجات الإقليمية مثل لهجة بيدمونتيس، ولهجة لومبارد، ولهجة فينيتو هي لهجات حديثة نسبية وتكويناتها لقيطة، ويجب أن يُنْظر لها اليوم من خلال ربطها بأعداد المهاجرين الضخمة، كما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار أنها حالة مختلفة تماماً بالنسبة للمهاجرين وبالنسبة للسكان الأصليين الذين تعرضوا لتصادم ثقافات إجباري، وهي ثقافات لم تعد محلية سابقة، وما بعد كذلك ثقافات جديدة يمكنها التفوق عليها.

كان حال اللهجات مختلفاً في الربع الأول من القرن العشرين، حيث كان للهُوية المحلية خصائص قوية واكتفاء ذاتي. وفي تلك الفترة وعندما كنت طالباً، كان المجتمع الإيطالي يتحدث بلغة أساسية بفصاحة، وكانت اللهجات هي ما يميزنا أيضاً، كان ما يميز سان ريمو مختلف عما يميز فينتيميليا أو بورتو ماوريزيو. وكانت هذه الاختلافات في اللهجات تثير السخرية بيننا. ولا داعي لأن أذكر أنّ الاختلاف كان كبيراً بين لهجات قرى الجبال، بين بياردو وتربورا مثلاً. لقد عكس هذا الاختلاف سوسيولوجيا مختلفة، فتكيّفت هذه اللهجات بسهولة مع سكان القرى الساحلية. وفي هذا

العالم (والتي كانت ضيقة، لنقول الصدق) كانت اللهجة وسيلة لتعريف أنفسنا وللحديث عن مواضيع، ولتكوين loci genius (روح تحمي المكان في الأساطير القديمة). وليس في نيتي أبداً أن أؤسطر ذلك الأفق الثقافي الضيق، فقط لأثبت أن في تلك الأيام كانت توجد حاجة تعبيرية. أي أن في تلك الأيام، اختفت الدقة في اختيار الكلمات عندما صارت اللهجات عامة وكسولة، كما صارت في العصر البازوليني، آمن بازوليني أن اللهجة مجرد ثراء لغوي للنشاط الشائع.

كان الثراء اللغوي (كما كان الثراء التعبيري) هو أحد أعظم قوى اللهجات. إن اللهجات على أطراف اللغة الأساسية، عندما تضم اللهجات كلمات ليس لها مرادف في اللغة الأساسية. لكن هذه الخصيصة تبقى ببقاء الحِرف (الزراعية، الحرفية اليدوية، الطهي، المنزلية). إنها حِرف كانت قد خَلَقت أو أودعت كلماتها في اللهجة بدلاً من اللغة الأساسية. وفي هذه الأيام، ومن نواح لغوية، تعتبر اللهجات فرعاً أساسياً من فروع اللغة؛ كل ما تفعله اللغة الأساسية هو إعطاء نهايات لهجوية للكلمات التي تبدأ في اللغة المتعلقة بالأمور اليومية. وحتى خارج المصطلحات التجارية، صارت الكلمات النادرة مهملة ومفقودة.

أتذكر أن الرفاق القدامى في سان ريمو كانوا يعرفون لهجات مثّلت ثروة لغوية ليس لها مثيل، فعلى سبيل المثال: chintagna، والتي تعني كلاً من المساحة الخالية التي تبقى خلف منزل شُيّد مقابل أرض مُسوّرة (دائماً في ليغوريا)، وتعني أيضاً المساحة الخالية بين السرير والجدار. لا أظن أن هناك مرادفاً لهذا المعنى في اللغة الإيطالية. لكن لم يعد لهذه الكلمة وجود حتى في اللهجة. لم يسمع بها أحد ولم تعد تستخدم. إن الافتقار أو المجانسة هو أولى علامات موت اللغة.

٤) إن لهجتي هي لهجة سان ريمو (تسمى اليوم sanremese ، لكنها تعرف أيضاً باسم sanremasco) والتي هي إحدى اللهجات الليغورية في غرب ريفييرا، أي أنها لهجة منطقة مميزة جداً. أكثر تميزاً من ناحية الإيقاع والصوتيات من لهجة منطقة جينوا (التي تمتد شمالاً وتضم منطقة سافونا). لقد عشت أول خمسة وعشرين عاماً من حياتي هناك دون أن أغادرها، في وقت كان فيه السكان الأصليون هم الغالبية، حيث عشت في بيئة زراعية كانت تستخدم اللهجة في الغالب، ووالدي (يكبرني بنصف قرن، كان قد ولد في عام ١٨٧٥ لعائلة عريقة من سان ريمو) كان يتحدث بلهجة كانت أكثر ثراء، ودقة وتعبيراً من تلك التي يتحدث بها من يعاصروني. ونتيجة لذلك، نشأت في بيئة تشرّبت اللهجة ولكني لم أستخدمها قط، ذلك لأن أمي كان لها التأثير الأكبر في نشأتي، حيث كانت عدوة للهجة ومناصرة لاستخدام اللغة الإيطالية. (يجب أن أذكر أني لم أتعلم التكلم بأي لغة بطلاقة، لأني رجل قليل الكلام، لكن سرعان ما أصبحت احتياجاتي التعبيرية والتواصلية مركزة أكثر على اللغة المكتوبة).

وعندما بدأت الكتابة بجدية، كنت مهووساً بفكرة أن لغتي الإيطالية يجب أن يرجع أصلها إلى اللهجة، لأني كنت أستشعر اللغة المزيفة التي كان يستخدمها أغلب الكتاب، وكان الحل الوحيد هو الأصالة والذي كنت متيقناً من أني سأحققه من خلال استخدام لغة قريبة من الناس. ويمكن تعقّب هذه الطريقة في كتبي الأولى، حيث أصبحت نادرة تدريجياً. في سان ريمو قارئ حساس ومتذوق أصيل للهجتها (وهو محام، حوّله الكاتب سولداتي إلى شخصية في إحدى كتبه) أدرك وثمّن استخدام اللهجات في كتبي، لكن وافته المنية. ولا أظن أن أي شخص سيفهم ذلك مثله.

يصبح تأثير اللهجة مزيفاً في أي شخص يبتعد عن المكان وعن محادثاته

اليومية. لقد انتقلت بعد الحرب إلى تورين، حيث كان استخدام اللغة قوية جداً على كافة أصعدة المجتمع. ورغم أني حاولت مقاومة تغيير لهجتي الليغورية الطبيعية، إلا أنّ الجو العام المختلف غير طريقة كلامي، ومنح هاتين اللهجتين جذوراً Italic-Gallo شائعة.

أما اليوم، فزوجتي تحدثني بإسبانية سكان نهر (بليت)، أما ابنتي بفرنسية يستخدمها أطفال المدارس في باريس، وما عادت اللغة التي استخدمها للكتابة مرتبطة بأي لغة تستخدم حولي.. عدا تلك التي في ذاكرتي.

[إجابة على أسئلة طرحتها Walter della Monica. ونشرت بعض هذه النقاط في La Fiera Letteraria، في ٩ مارس ١٩٧٦. وكانت الأسئلة كالتالي: ١) ما تأثير المعرفة واستخدام اللهجات على الثقافية الحالية؟ ٢) هل يمكن لإعادة تجديد الاهتمام باللهجات تكوين لغة جديدة؟ ٣) أما زال للهجات تأثير على اللغة الإيطالية؟ ٤) هل تعرف لهجة؟ وهل تتصادم مع الخصائص اللغوية لعملك؟]

الحال في عام 1978

«إن السر الأكبر هو أن تختبئ.. أن تهرب.. أن تخفي آثارك». جملة ذكرتها للصحفي أرباسينو،[1] في بداية belle époque، كما أَطلقت على فترة الستينيات. لقد تمكنت من ذلك لدرجة أننا اليوم نتساءل: هل كالفينو مثل أستولفو.. على القمر؟

كان القمر ليكون موقعاً جيداً لمراقبة الأرض من بعد معين. أي أن تجد البُعد المناسب لتكون حاضراً وغائباً في آن واحد: كانت تلك هي المشكلة في **البارون فوق الأشجار**. لكن عشرين عاماً مضت على ذلك، ويزداد أمر تحديد موقعي على خريطة توضح المذاهب الفكريّة المُهيمنة اليوم صعوبة بالنسبة لي؛ لا يمكنني تحديد موقع يرضيني. ومع ذلك لا زلت أرفض دور الشخص الذي يطارد الأحداث. أفضل دور ذلك الشخص الذي يواصل حديثه، منتظراً أن يصبح موضوعه على علاقة بالأحداث الجارية، ككل الأشياء التي لها أساس سليم.

«حديث»: لقد قلتها. عليك الآن أن توضح.

لعله كان عدداً معيناً من «نعم» و«لا» وعدداً هائلاً من «لكن». أنا بالطبع أنتمي لآخرِ جيلٍ يؤمن بوجود نموذج أدبي يمكن أن يكون نموذجاً للمجتمع. وكلا النموذجين لم يعد لهما وجود. كانت حياتي كلها عملية فهم لأهمية الأشياء التي كنت أرفضها. لكن تظل لها إسهاماتها القيّمة.

1- (Alberto Arbasino:-1930) صحفي وكاتب طلائعي. كان عضواً في مجموعة 63، أما روايته الشهيرة 1963 Fratelli d'Italia فكانت تدور حول انتقاده لبلده.

لقد احترقت ورقة المجتمع النموذجي لجيلك الشيوعي. وظهرت أحزاب جديدة لها ذات المصدر. فهل ترتاح لها؟

كانت حركة العمال تعني بالنسبة لي عملاً أخلاقياً منتجاً. وقد تلاشى ذلك خلال السنوات العشر الماضية. يتصدر مشهد اليوم دوافع وجودية: لكل شخص الحق بالاستمتاع في الحياة.. لمجرد أنهم موجودون فيها. وهذا صنع لا أشاركه أحد: أنا لا أحب الناس بسبب وجودهم في العالم. يجب أن يكسبوا الحق أن يكون موجودين فيه، وأن يثبت العالم ملاءمته بما يمنحه للآخرين، ولهذا أعتبر أن الأرض المشتركة بين رفاهية الحركة النصرانية وحركة الشباب المعارض غريبة عني.

تقول إن كل مكان لا يرضيك.. فأي مكان يناسبك يا ترى؟

يكتفي العديد من الكتاب بموضوعيتهم. هذا هو المهم. والمكان الذي يرضيني ليس في أي مكان. إنه تجربتي في هذا العالم. لنتناول هنري ميلر على سبيل المثال؛ بما أني أكره إضاعة الوقت، وأغبط كل كاتب لا يضيعه، ويستخدم كل شيء. وهذا حال سول بيلو، وماكس فريش Frisch Max فحياتهم اليومية عبارة عن تغذية مستمرة للكتابة. أما أنا فأشعر أن ما أَمُر به لا يمكن أن يثير اهتمام الآخرين، وما أكتبه يجب أن أُبَرره لنفسي بتبرير ليس فردانياً فقط - ربما لأني أنحدر من عائلة علمانية ومتعصبة للعلم، وتؤمن أن الحضارة هي تكافل الإنسان والطبيعة.. والنأي بنفسي عن ذلك الواجب الأخلاقي وعن واجبات المزارعين، جعلني أشعر بالذنب. إن عالم خيالي لم يبد مهماً ليبرر نفسه. فكان من الضروري وجود سياق عام. وليس مصادفة أني قد أمضيت العديد من سنوات حياتي وأنا أضرب رأسي عرض الحائط محاولاً فعل المستحيل من خلال العيش في الأدب والشيوعية في ذات الوقت. إنها مشكلة صغيرة. لكنها أفضل من عدم وجود مشكلة أساساً، لأن ليس

للكتابة معنى إلا إذا واجهتك مشكلة تستلزم حلاً.

هل كانت أشياء تسمح لك أحياناً ولا تسمح لك أحياناً أخرى؟ لنعد للبداية.. هل كنت لتفضل أن يكون عندك خطة؟

عليّ في كل مرة أحاول فيها كتابة كتاب تبريره بخطة أو برنامج، كي أدرك حدوده بسرعة. ثم أضعه إلى جانب مشروع كتابي آخر.. مشاريع كتابية كثيرة.. وأصاب بعدها بقفلة الكاتب. وفي كل مرة علي أن أبتكر، ويجب أن يكون الكاتِب الذي يكتبه كاتباً غيري لا أعرفه، لكنه الكاتب الوحيد الذي أرى قدراته بوضوح...

وماذا لو أن من بين ضحايا هذا العصر كان مفهوم «التخطيط»؟ ماذا لو لم يكن هذا انتقالاً من «خطة» مستخدمة إلى «خطة» جديدة، بل إنه موت فكرة «الخطة» جُلّها؟

نظريتك معقولة. يمكن أن يكون ذلك بسبب حاجتنا لإنجاز الأشياء بسرعة اختفائها، ولأننا ندخل في طريق حياة حضارات أخرى، والذي لا تملك الوقت للتخطيط له. لكن الشيء الجيد في الكتابة يحدث عند فعل «شيء»، الرضا عن إتمام شيء ما، وإن استبدَلتُ الرضا بقوة الإرادة في التخطيط، فإني حينها سأطبقه فوراً.

في إحدى رواياتك الأولى كانت هناك طلقة مدفع تقسم «الفيكونت المشطور» إلى نصفين. كانت لديك آنذاك العديد من الانشطارات المحتملة: الإنسان/ الجماد، والمنطق/ الخيال، و «العالم الخارجي» - أو ما يسميه فيتوريني بالسياسة - والطريق الداخلي. كالفينو الصحفي في صحيفة Unita'l والكاتب الذي كان يسعى خلف صور من العصور الوسطى، قد فقد التجانس منذ البدء. فهل وجده من جديد؟

هذا صحيح. هناك انشطار في **الفيكونت المشطور** وربما في كل كتاباتي. ومعرفتي بهذا الانشطار تحمل معها رغبتي في التجانس. لكن كلُّ وهمٍ بالتجانس في الأشياء المحتملة هو تضليل، ولهذا عليك أن ترى الموضوع من منظور آخر: هكذا توصلت إلى الأكوان. لكنها أكوان غير موجودة، ولا حتى في العلم، إنها فقط أفق لوعي يتجاوز الفرد، ويتغلب على كل الأفكار الإنسانية الخاصة والشوفينية، ويمكن للمرء أن يحصل على كل وجهات النظر غير المصوّرة بشكل بشري. لم أنغمس قط في نشوة كونيّة أو تأمل في هذا الاتقاء. إنه شعور بمسؤولية أكبر تجاه الكون. إننا جزء من سلسلة تبدأ بباطن الذرة أو مرحلة تسبق تكوين المجرات: منحت أفعالنا وأفكارنا تواصلاً مع ما سبقنا، وما سيأتي بعدنا. وكنت أتمنى لو أستطيع التعبير عن هذا التواصل في مجموعات الانشطارات التي تناولتها في مجمل أعمالي.

لقد ركزت على عقلانية عليا في رحلة بحثك عن الإنسجام. إنها رياضيات الاستعارات الهندسية في ثلاثية «أسلافنا»، كما ركزت على حسابات توافقية للمنشئات في «قلعة المصائر المتقاطعة» و «مدن لامرئية». إنك تتحسن أكثر فأكثر، وترتقي للأعلى دائماً، فهل ستلزم الصمت بعد هذا كله؟

أجل، وهذا عذاب أعيشه منذ سنوات، ولا أعلم إن كنت سأجد طريقة للتخلص منه. حتى الحساب والهندسة يوضحان الحاجة لشيء يفوق قدرة الفرد. لقد ذكرت مسبقاً أن حقيقة وجودي، ومذكراتي، وما يجول في رأسي، أمور لا تخولني للكتابة. وبالرغم من ذلك فإن النقيض هو المدهش: إنه طريقة للعودة إلى الكونيات وإعادة تقديم الأساطير. يجب أن أبني الأشياء لتوجد لذاتها، أشياء كالكريستال الذي يجيب على عقلانية غير شخصية. ومن أجل أن تكون النتيجة طبيعية يجب أن أعود إلى التصنع المفرط. وقد يكون في هذا فشل حتمي بما أن هناك شيء اعتباطي دائماً وغير دقيق في عملي

المنجز، مما يجعلني غير راض عنه.

في حياتك في الخمسينيات، قلت عن سنوات القتال: «إنها واجب (سياسي) احترافي دائم». أما في الستينيات فقلت إنها: "époque belle". فما الاسم الذي تُعَنْوِن به العقد الثالث الذي شارف على الانتهاء؟

سأقول: اللاهُوية. لقد عايشت أحداثاً كثيرة، وتقبلتُ كل التغيرات، ولكن بتحفظ دائم. وفي الفصل الأخير من **قلعة المصائر المتقاطعة**، قارنت شخصية الناسك بالفارس الذي يَقتل التنانين. أما في السبيعينيات، وعلاوة على ذلك، كنتُ أنا هذا الناسك. وقبل سنوات قليلة وفي لوحات القديس جيرومي Jeromy Saint أو القديس أنتوني Anthony Saintكانت المدينة في خلفية لوحاتهما. وهي رسومات تآلفت معها. ولكن في ذات الفصل من رواية **قلعة المصائر المتقاطعة**، كان هناك تحوّل مفاجئ في الأحداث. لقد قررت وبشكل نهائي أن يكون الساحر في أوراق التاروت هو المحتال نفسه الذي يقوم بحيل سحرية أمام الناس، ولكنه في قرارة نفسه أقل الآخرين خداعاً.

الساحر والمشعوذ.. هل هي آخر بطاقة يلعب بها [كالفينو] المثقف؟

أنت تعلم أن منهجي لا يقودني أبداً لأضع كل شيء في بطاقة واحدة. ولهذا أبعد نفسي عن الشخصيات الخارقة للثقافة في هذا القرن. إن آخر البطاقات الثلاث الأخيرة في رواية **قلعة المصائر المتقاطعة** هي ثلاث بدائل محتملة، مُتّحدة في تكوينها. لكن إن فاز الساحر، فسأشعر حينها بضرورة التراجع عن كل حيله.

باريس، «المدينة الكبيرة التي قادتني رحلتي الطويلة إليها». مما كنت تهرب يا كالفينو؟ وهل لاءمت باريس هذه الرحلة؟

للناسك مدينة في خلفية اللوحة، وتبقى بالنسبة لي هذه المدينة هي إيطاليا. إن باريس هي مجرد رمز لمكان آخر بدلاً من مكان حقيقي آخر. وعلى أي حال، هل عشت فعلاً في باريس؟ أنا لم أتمكن من الكتابة عن باريس قط، ولطالما قلت إنني أملك منزلاً في مدينة أجنبية، حيث لا وظيفة أو دور لي هناك، بدلاً من قولي إني أملك منزلاً في الريف.

لكي تبقى في مكان واحد، عليك أن تبتعد عنه. وفي باريس تنظر إلى إيطاليا. أي حيلة هذه؟

من بين الـ مدن **اللامرئية** هناك مدينة واحدة شاهد سكانها غيابهم من أعلى.[1] وربما لأفهم من أنا علي أن ألاحظ مكاناً أكون فيها أنا ولا أكون. كمُصوّر متمرس يقف أمام الكاميرا، ثم يهرع إليها ليضغط على زر التصوير، فيصور المكان الذي كان فيه، رغم أنه لم يعد فيه. ربما لهذا السبب يراقب الأموات الأحياء، إنه مزيج من الاهتمام وعدم الاستيعاب. لكن هذه الأفكار تشغلني فقط عندما أكون مكتئباً. أما في لحظات سعادتي، فأظن أن الخواء هو ما أشعر به، يمكن أن تملؤه «أنا» أخرى، بحيث تقوم بالأشياء التي من المفترض أن أقوم أنا بها، ولم أعد قادراً على القيام بها.. «أنا» أخرى تظهر فقط من الفراغ.

إن الغياب العظيم أو الحضور العظيم شخصيات عامة تلعب على بعضها البعض. فعلى سبيل المثال، توماسّو لاندولفي فاز من خلال اللعب بالبطاقة الغامضة. فهل انتصرت بالغياب؟

لا يمكنني بالتأكيد منافسة إصرار لاندولفي. كنتُ قد كتبتُ مقالات

---

1 – بُنيت بالكامل على ركائز من جذوع الأشجار. ويقصد كالفينو هنا مدينة زنوبيا في روايته. (المترجمة)

لصحيفة Corriere della sera في السنوات الأخيرة الماضية لأنها مسرح عام، فهذا يعني أن جزءاً مني والذي ورث صوت الجدية وحدد ملامحه فيتوريني كأب نبيل ما يزال فيّ. وهذا لا يعني أني سعيد بذلك. كنت لأفضل إقالة هذا الأب النبيل واستخدام صور أخرى بنفسي. لربما صورة «الطفل الساخر»، حسب تعريف فيتوريني في حكمة قالها.

بين الانشطار والتجانس هناك طفل ساخر، ومستهزئ. فما الدور الذي لعبه الاستهزاء في: دفاعك، وهجومك، وفي جعل المستحيل ممكناً؟

تعني السخرية أن ما أكتبه يجب أن يُقرأ في جو من التشتت، مزاج من الخفة الشديدة. وبما أني أستخدم أحياناً نبرات صوت أخرى، فإن الأشياء التي تهم هي تلك الأشياء التي أقولها بسخرية تحديداً.

هذه سخرية للاستخدام الخارجي. ماذا عن الاستخدام الداخلي؟

تعتبر السخرية إعلاناً لانسجام مختلف يخص الانشطار. وفيما يخص الانسجام، هو الوعي بانشطار حقيقي. إن السخرية تحذر دائماً من الوجه الآخر للعملة.

نحن ما لا نتخلص منه. أهذا ما أردت قوله في قصتك الأخيرة التي بعنوان «صندوق القمامة المشترك» la poubelle agree؟ وما عناصر رحلتك الثقافية التي رميتها ولم ترمها في «القمامة»؟

يبدو لي أحياناً أنّي لم أتخلص من أي شيء مطلقاً. ففي كل تجربة يجب أن أبحث عن المادة، وهي ما يبقى في النهاية. هنا درس يستفاد منه: تخلص من الكثير كي تحتفظ بما هو جوهري.

بمرور الوقت هل تتشدد يدك أم تتهاون؟ كيف تكتب الآن مقارنة بالسنوات الخمسة عشر الماضية؟

لقد تعلمت أن أكتشف متعة الكتابة لقاء عمولة عندما يطلبون مني مقالاً لمقصد معين، مهما كان بسيطاً. فأكون حينها على الأقل متأكداً من أن هناك شخصاً سيقرأ ما كتبت. وعندما أشعر بحرية أكبر، لا يكون هناك شعور بفرضي على الآخرين موضوعاً لست أكيداً من استحسان الآخرين له. أنا أؤمن بالحرية والفردانية الضرورية للكتابة، ولكن لتنجح هذه الفردانية في الكتابة، يجب تناولها كمهرب من شيء يكذبها، أو على الأقل يعرقلها.

لن أسألك يا كالفينو عما تكتب حالياً. سأسألك عما لن تكتبه من الآن فصاعداً.

إن كنت تعني أنني لن أكتب أبداً شيئاً كنت قد كتبته بالفعل، فليس هناك ما أرفضه في أي من كتاباتي. لقد أغلقت بالتأكيد بعض الأبواب. لكن الأبواب التي أبقيها مفتوحة هي أبواب الخيال، إنه سرد لحكايات حية ومبتكرة، كما سأبقي على الكتابات التأملية التي تصبح فيها المقالة والحكاية شيئاً واحداً.

[نشرت هذه المقالة في Paese sera، في السابع من يناير ١٩٧٨. وهي مقابلة مع دانييل ديل غويدشي. وعلى الهامش ملحوظة كتبها كالفينو: «تحتاج تدقيقاً»].

هل كنت ستالينياً أيضاً؟

كنت أحد أولئك الذين غادروا الحزب الشيوعي ١٩٥٦-١٩٦٧، لأنه لم يتخلى عن الستالينية بسرعة كافية. ولكن ما الذي كنت أقوله عن ستالين عندما كان حياً، وعندما كان مقبولاً في أوساط الأحزاب الشيوعية دون أي تردد منهم؟ هل كنت أم لم أكن ستالينياً أيضاً؟ كنت أود أن أجيب: «لم أكن ستالينياً» أو «كنت ستالينياً، ولكني كنت أجهل معنى ذلك»، أو «كنت أظن أني ستالينيّ، ولكني لم أكن كذلك في الواقع». لا أظن أن أياً من الإجابات السابقة صادقٌ تماماً، لكن فيها جميعاً شيءٌ من الحقيقة. إن أردت أن أنجح في الفهم وجعل الآخرين يفهمون كذلك ما كنت أعنيه حينها (وهو أمر صعب، لأننا نتغير بمرور السنوات، وينتهي بنا الأمر إلى تغيير ذكرياتنا أيضاً.. ذكريات كيف كنا). فمن الأفضل أن أبدأ بقول: «نعم، كنت ستالينياً»، ومن ثم أحاول أن أبين بوضوح ما يعنيه ذلك.

لن أحاول تحديد موقع المشكلة سواء في سياقها الشخصي (كيف وجد شاب إيطالي لا يملك أي خبرة سياسية ودون أي إرشاد في خضم الحرب فجأة أنه شيوعي)، أو في سياقها الموضوعي (كان ستالين يعني حينها ستالينغراد، وإيقاف روسيا لتقدم جيوش هتلر المنتصرة وكرة لهب أُسقطت على برلين)، لا لأن المشكلة غير مهمة، بل لأننا نستطيع قبولها دون مناقشة. ودعنا نناقش النقطة المهمة: من كان ستالين بالنسبة لنا؟ من هو بالنسبة لي؟ (من الأفضل استخدام ضمير المتكلم المفرد، ثم أرى إن كان استكشافي لذاكرتي الفردانية سيعود بالنفع بأي معالجة عامة للفكرة). من هو ستالين في الأعوام ١٩٤٥-١٩٥٣ هنا في العالم الغربي الذي شكله انتصار التحالف

في الحرب الباردة؟ ما الصورة التي تخصه ويمكن تحديدها من صوره الفوتوغرافية الرسمية، والتي كانت جميعها متشابه تقريباً من ناحية لامرئية حضوره، ومن الصفحات المكتوبة التي أسقطت بين الفينة والأخرى على العالم كمعجزات ومن الصمت المطبق الذي كان يجيب به على هتافات الثناء؟

ومن صور ستالين يمكن للمرء أن يستنتج بعدها - وهو بُعد حميد، رغم أن الكثيرين لا يدركون ذلك - جوانب متعددة: كان ستالين بالنسبة للكثير من المناضلين الشيوعيين الذين ينتظرون ساعة الصفر لبدء الثورة، ضماناً حياً على تحقق هذه الثورة. (وفي الواقع كان النقيض صحيحاً، بما أن ستالين كان ينوي أن يقود أي ثورة يمكن أن تحدث خارج نطاق الاتحاد السوفيتي بتأثير مباشر). ثم كان هناك ستالين الذي قال إن على الطبقة الكادحة أن تلتقط علم الحريات الديموقراطية، والتي تقدم إستراتيجياتها الدعم لحزب تولياتّي، وبدا أنه يقترح وجهة نظر تؤكد على وجود تواصل تاريخي بين ثورة البرجوازيين وثورة العمّال.. استمرارية تم حسمها بين التحالفات الثلاثة (أم الخمسة؟) أي القوى العظمى في مواجهة الفأس... هل كان ستالين يعني ذلك لي؟ لكن كيف لهذه الصورة أن تبقى محفوظة رغم كل الجوانب الفظيعة المحيطة بها؟ لنحاول أولاً تكوين استنتاج: **رغم أن الستالينية كانت مضغوطة بشدة، إلا أنها احتوت الشيوعيين الغربيين - ورغم محدوديتها، واحتمالات السياسة، والثقافة، والتصرف - والتي اختلفت كلها إلى حد ما، كانت هناك طرق عدة ليكون المرء ستالينياً، لكن قواعد اللعبة كانت تقتضي التزام أي شخص يبدي تأييده لحزب ما بعدم تقديم تأييده للأحزاب الأخرى.**

وإلى حد علمي، صار ستالين مهماً في حياتي فقط في اللحظة التي صور فيها نفسه مع روزفلت وتشرشل في كراسي مصنوعة من الخيزران في يالطا. وكان

قبل ذلك، الصراع مع تروتسكي - المطهر العظيم - وهكذا كانت الأحداث السابقة عندما لم أشعر بأني جزء مباشر منها. وبالتأكيد كان الغموض المحيط (باتهامات الذات) مريعاً حيث واصلت إلقاء ظلها المتجمد (وأكثر من ذلك أن أعاد المشهد نفسه في محاكمات بودابست وبراغ)، لكن بدا وكأن محرقة الحرب قد صغّرت كل المحارق الأخرى وابتلعتها جميعاً في محرقة واحدة، في مناخ من التراجيديا الوشيكة. حتى صدمة الذين خاضوا المعترك السياسي قبلنا - الاتفاقية الألمانية-السوفيتية لعام ١٩٣٩ - وازنها بالنسبة لهم تاريخ السنوات اللاحقة (طالما أنك لم تنظر عن قرب للتفاصيل، والتي لم تكن معروفة على نطاق واسع في إيطاليا). أنا أحاول تحديد التاريخ الذي بدأ بالإنقاذ من النازية والفاشية، ثم سيطر على أوروبا، وعلى كل شيء تم التنبؤ به في الماضي. بدا أن ستالين يستعرض اللحظة التي أصبحت فيها الشيوعية نهراً عظيماً - انحرف عن مساره - نهراً تتدفق فيه أحداث التاريخ. يمكنني إذن تحديد موقفي بالتالي: إن ستالينيتي كمثل عدم ستالينيتي، لقد نبعتا من ذات اللب الأخلاقي. ولهذا السبب، بالنسبة لي وللكثيرين، لم أشعر أن معاداة الستالينية تعد تغييراً، بل كانت تنفيذاً لما آمنت به.

لا لأني لا أؤمن بوجود نسخة أخرى من التاريخ لا توافق تلك الصورة. كنت أفضل أن أُعْتبر مناصراً لأكثر مذهب ميكيافيللي ساخر، بدلاً من مناصرة أولئك الذين يقولون: «أعمال ستالين الوحشية؟ من يعرف أي شيء عنها؟ ليس لدي أدنى فكرة». لم يتخيل أي أحد بالتأكيد حجم هذه المجازر (وحتى الآن كل توقع جديد لأعداد الملايين من الضحايا يؤكد أن التوقع الذي سبقه كان في غاية التفاؤل)، ولم يعرف أحد أي ميكانيكية استخلصت الاعترافات البشعة في المحاكمات المعروضة من المتهمين (سعى الناس لإيجاد تفسيرات مُنَمقة من ناحية علم نفس الثورة، والذي بسببه لا

أمل للقادة الذين وصموا بالعار، لقد افتروا على أنفسهم ليُسهموا فقط في نمو الاشراكية، حتى كوستلر Koestler الذي كتب أكثر الكتب رعباً عن هذا الموضوع، كان شديد التفاؤل)، لكن العناصر التي تساعدنا على فهم هذا كله - أو على الأقل فهم أنه كانت هنالك مناطق رمادية كثيرة - كانت إمداداتها وفيرة. يمكنك أن تضعها في الاعتبار ويمكنك ألا تفعل ذلك: كانت أمراً يختلف عن الإيمان بها أو عدم الإيمان بها. فعلى سبيل المثال، كنت صديق فرانكو فينتوري[1]، الذي كان يعرف كثيراً مما حصل هناك، وأخبرني عنها بكل سخرية، عن الرجل التنويري الذي كان عليه. هل صدقته؟ صدقته بالتأكيد. كان الأمر فقط أنني ظننت أنه لأكون شيوعياً، يجب علي أن أرى هذه الحقائق من منظور يختلف عنه، وأن أزنها في موازين مختلفة عن ميزانَيْ الإيجابية والسلبية. إضافة إلى ذلك، وللتوصل إلى نتيجة منطقية على المرء أن يعزل نفسه عن الحركة، والمنظمة، والناس... إلخ، وتفويت فرصة المشاركة في أمر كان يعتبر مهماً بالنسبة لي... عدم القدرة على نقل التجربة، أو لنقل الافتقار إلى الكفاءة في توصيل التجربة الشخصية، واصل كونه أكثر حقيقة محبطة في طريق التاريخ والعمل الاجتماعي؛ لا توجد طريقة نمنع فيها جيلاً من أن يصم آذانه، فالتاريخ تُسيّره محفزات لا يمكن السيطرة عليها تماماً، باعتقادات جزئية وغير واضحة، وباختيارات ليست بإختيارات، واحتياجات ليست بإحتياجات.

ويمكنني هنا أن أحاول توضيح تعريفي: **استندت الستالينية إلى الحاجة، أمور لم تكن لتحدث بأي طريقة أخرى إلا بالطريقة التي حدثت بها**، حتى أنه لا يوجد ما يسر في التاريخ بخصوصها. فقط عندها أدركت أن حتى داخل

1- Venturi Franco: (١٩١٤-١٩٩٤) مؤرخ وشخص مهم في دار أينودي. نُفي إلى فرنسا، ثم لعب دوراً مهماً في المقاومة، عاش بعدها في الاتحاد السوفيتي.

أكثر قوة حديدية هناك نقطة تكون فيها الإختيارات ممكنة، لكن اختيارات ستالين كانت كارثية، وأي تبرير للستالينية كان تهوراً.

كان هناك مجال واحد لم أتمكن فيه من إخفاء نفسي عن السلبية الستالينية بأي طريقة، كان مجال عملي. إن الأدب والفن السوفيتيين كانا في بؤس قاتم منذ اندلاع الثورة، والجماليات الرسمية تكونت من توجيهات جلفة واستبدادية ليس لديها فكرة واضحة عن آلية عمل النظام السوفيتي. لم أكن أميل إلى استلام ستالين المسؤولية المباشرة (في مداخلاته «الموقعة» بدا أكثر انفتاحاً من أتباعه). هكذا فسرت النظام لنفسي: في الأعوام التي فرضت فيها القيادة الروسية الشيوعية نفسها على مختلف القطاعات الثقافية والاجتماعية، تمكنت بعض القطاعات من الاستفادة من الناس المبدعين بحسهم الشيوعي الأصيل، بينما وقعت مجالات أخرى ‖ مثل الأدب والفن، بعد الوفيات المتعددة والانتحارات المكشوفة ‖ في أيدي المخادعين ومنتهزي الفرص. وباختصار، لقد فهمت شيئاً، ولكنه ليس أهم شيء: أن حاجة النظام الستاليني للثقافة هي التي فرضت هيمنة المخادعين، وأن هذا النظام كان قيادة مَلَكية تامة ولم يكن قيادة جماعية.

من أجل منع الخداع من الانتقال من الطريق إلى القوة الثقافية، ظننت أنه من اللازم أن يأخذ المرء على عاتقه في مجال عمله النظري والتطبيقي الذي كان موثوقاً من وجهة نظر سياسية، وهذا سيعمل كنموذج لقيم المجتمع الجديد. ولهذا كان علي عزل الكثير من الأشياء من أفقي. كانت الشيوعية بمثابة قمع ضيق يجب أن أمر منه كي أستكشف الكون اللامحدود على الجانب الآخر منه. وعلى ذلك يمكنني أن أضيف هذا الطرف إلى الاستنتاج التي يخص الضرورة الستالينية التي ذكرتها سابقاً: **امتلكت الستالينية القوة وحدود كل التبسيطات العظمى. إن نظرة العالم التي أخذتها بعين الاعتبار**

كانت مضغوطة جدًا، تخطيطية، ولكن كان في داخلها اختيارات، وقد عانيت لتحقق اختياراتي مبتغاها لأنها أعادتني إلى لعب الكثير من القيم التي ظننت أنني استبعدتها.

ولا زلت أرى خلف هذا نموذجاً مركباً من المثقفين الذين دفعتهم روحهم المبتكرة والعملية من ناحية، والطبقة الكادحة وحاجتها إلى التجديد من ناحية أخرى. وهو مركب يعتبر معجزة بالنسبة لروسيا الثورية. بعدها أدركت أن هذا المركب (لعله نتيجة طبيعية للعادة الثورية الاشتراكية الروسية بدلاً من نوايا لينين الواعية والبلشفيين) قد ظلت بضعة سنين ثم ألغاها ستالين، حارماً العمال من أي من أي مطالبات بحقوقهم، كما حطّم المثقفين عبر تسلّط متعمد. ولذلك، أنا قادر الآن على تقديم استنتاج أكثر أهمية: فرضت الستالينية نفسها كنتيجة للمشروع التنويري لتركيز آلية المجتمع الكلية في مجال الثقافة. وبدلاً من ذلك كله كانت أكبر هزيمة شاملة (وربما حتمية لهذا المشروع).

ويجب أن أضيف لهذه الصورة تفصيلاً أكثر خصوصية فيما يخص رغبتي الفاضلة في امتلاك مفهوم غير أيديولوجي عن العالم. كان الجو الثقافي في تلك الأعوام أقل أيديولوجية حتماً مما هو عليه في وقتنا الحاضر. لكن الجو الذي انتقَلْت إليه كان مشبعاً بها: كم تمنيت أن يغص (مدعي الأيديولوجية) بطعامهم وهم يلقون خطاباتهم. بدا لي أن ستالين يميل إلى الحس المشترك أكثر من ميله إلى الأيديولوجية. وقد انتقدني أحد الاصدقاء انتقاداً لاذعاً على هذا الرأي منذ ذلك الحين وحتى الآن، لكن هذا الرأي ساعدني في تحديد موقفي إزاء الذين كنت أناقشهم باستمرار، والذين كانوا أكثر أيديولوجية. كنت مخطئاً على الأقل فيما يخص ستالين: لأن ستالين لم يكن نهاية الأيديولوجية، ولأن ريائي قد قادني إلى التّعرف على أسوأ أنواع التأدلج، ولأنها كانت

من قائد واحد، فقط ليؤكد أنه وحده قادر على ذلك.. لأنه ملك. ولذلك أستطيع إضافة ما سبق إلى سلسلة استنتاجاتي: **لقد ظهرت الستالينية لنشر وتطبيق المبادئ الأيديولوجية، لكنها شوّهت الأيديولوجية من أجل أدلجة أمر لا يتحقق إلا بفرض القوة.**

بدأت الآن فقط في فهم الأمور. أعني أنا وستالين والشيوعية. كانت معاناة الثورة، وأكتوبر الأحمر، ولينين أشباحاً بعيدة عني دائماً، مجرد أحداث وقعت في يوم ما، أحداث ويستحيل حدوثها مجدداً. لقد انجرفت في المشكلات الشيوعية منذ زمن ستالين، ولكن لأسباب ليست لها علاقة بتاريخ إيطاليا.

كان علي بذل جهد مستمر لتذكر صورة الاتحاد السوفيتي في إطار مرجعي. طالما أن ديموقراطيات أوروبا الشرقية المنتشرة كانت مهتمة. لقد توصلت سريعاً إلى استنتاج أنها كانت ببساطة مناورة قسرية مفروضة عليهم من الخارج ومن أعلى. كنت أظن أن الحال مختلف في الاتحاد السوفيتي. صارت الشيوعية بعد سنوات من الصراعات القاسية وضعاً طبيعياً هناك. لقد وصلت إلى التلقائية والهدوء والحكمة الناضجة، وعرضت على أرض الواقع تبسيطاً أولياً لأفكاري السياسية، والتي أقصى أهدافها كان إعادة الاستكشاف بعد كل التشويه والظلم والمجازر. إنه توازن طبيعي يفوق التاريخ كله، ويفوق الصراع الطبقي كله، ويفوق الأيديولوجية، ويفوق كلاً من الاشتراكية والشيوعية.

ولهذا كتبت في مقالة «يوميات رحلة إلى جمهوريات الاتحاد الروسي» - نشرتها في Unita'L في ١٩٥٢ - ملاحظاتي عن الحياة اليومية حصراً.. عن النواحي الدافئة، والمطمئنة، والأزلية واللاسياسية. بدا لي أن هذا أقل الطرق تطرفاً في عرض الاتحاد الروسي، ولكن في الحقيقة، كانت الخطيئة الستالينية

التي كنت أشعر بالذنب تجاهها هي هذه: من أجل الدفاع عن نفسي من واقع لم أكن أعرفه - كنت في ذات الوقت أستشعره ولم أود الحديث عنه - استخدمت لغة غير رسمية في عرض نفاق رسمي وصوّرته في السكينة والابتسامات، وهو أمر كان يشكل صدمة وتوتراً وعذاباً لي. كانت الستالينية قناعاً مرحاً يتحدث بلطف، ويخفي تحته المأساة التاريخية التي كانت تحصل في ذلك الوقت.

وفي عام ١٩٥٦، أزاحت جلجة الرعد كل الأقنعة والسواتر. كثير ممن أدركوا ذواتهم في ساعة الحقيقة عادوا إلى أصول الشيوعية الثورية (وقد تقبل بعضهم الصورة الأسطورية الجديدة، تلك التي بدت مختلفة لكنها لم تكن أقل عرضة للتعتيم: ماو تسي تونغ)، بينما سلك البعض الآخر الطريق التطبيقي للتعرف على ما هو موجود لتشكيله، وكان آخرون يتمتعون بتفاؤل عقلاني، وآخرون كانوا يشعرون بالمحدودية ويحرصون على تجنب الأسوأ يشككون بالنتائج. ولم أسلك أياً من هذه الطرق: لقد افتقرت إلى المزاجية والقناعات التي تؤهلني لأكون ثورياً، ولتواضع الأهداف الإصلاحية في كلا العالمين الاشتراكي والرأسمالي، كما بدا لي أنهما غير قادرين على علاجي من دوار الجحيم الذي حلقت فوقه. ورغم أني بقيت رفيقاً لكلا الحزبين، إلا أنني قلصت الحيز الذي تشغله السياسة في مساحتي الداخلية.. وفي هذه الأثناء كانت السياسة تشغل حيزاً أكبر وأكبر تدريجياً في العالم الخارجي.

ربما ظلّت السياسة لصيقة بتجربتي مع الموقف المتطرف: شعور بحاجة غير مرنة، وبحث دائم عن الاختلاف والتعدد في عالم جامد. ولهذا سأختم بقول: لو كنت - رغم أني كنت ولكن بطريقتي الخاصة ! ستالينياً، فإن ذلك لم يكن خبط عشواء. هناك عناصر ساهمت في تشكيل هذا العصر وتشكيلي: أنا لا أؤمن بأي حلٍ سهلٍ، وسريعٍ، ومرتجلٍ، وقاسٍ، وجاهزٍ، وخالٍ من

التّعصبات والاندفاعات، ولا أؤمن بأي تحرير فردي أو جَمْعي يمكن أن يُنال ويكون ثمنه القيم، والجهد وعلى حساب البناء الذاتي. وإن بدا للبعض أن طريقة التفكير هذه ستالينية، فحسناً، لن أواجه أي صعوبة في الاعتراف أني من هذه الناحية لازلت ستالينياً بعض الشيء.

[صحيفة La Republica، ١٦ ديسمبر ١٩٧٩].

صيف 1956

كان صيف عام ١٩٥٦ مليئاً بالتوتر والأمل. وقد عقد المؤتمر السوفيتي العشرون في موسكو. وبدا غورشيكوف بطل المرحلة الجديدة للعالم الشيوعي، ولاحت أولى علامات ذوبان الجليد في الأفق. كنا نحن المقاتلون الشيوعيون على قناعة تامة بأن العملية ستكون نهائية وسريعة جداً. وبالتفكير في ذلك الوقت الآن، أي بعد مرور أربعة وعشرين عاماً وبعد كل ما حدث، تأكّدَت وجهة نظري: إن التاريخ ليس عملاً سهلاً ذا نهاية سعيدة، بل هو عملية شاقة وبطيئة، وخالية من أي اتجاه محسوس أو معنى.

وبالرغم من ذلك، وفي تلك الأيام، لم يكن ذلك شعوري. فعندما اكتشفت أن تقرير غورشيكوف قد استنكر جرائم ستالين، انتابني الاندهاش للحظات، وشعرت كما لو أنه قد أطلق سراحي. وكانت تلك ردة فعل جميع رفاقي أيضاً. قد تتساءل إن شعرنا - في الحزب - بالهزيمة أو الذل؛ لا لم نشعر به، إلى حد علمي. لن أحاول وصف ردة فعلي بدقة، والتي كانت تشبه ردة فعل الآخرين: بالنسبة لي، كان التخلص من الستالينية تأكيداً على الحقيقة المنبثقة من موسكو وحقّق الغاية من الاشتراكية. ولسنوات طويلة بدت لنا الدول الاشتراكية وجمهوريات الإتحاد السوفيتي مكاناً مظلماً، تحكمه قوانين صارمة، وتقشف لا تهاون فيه، وعقوبات وحشية ومنطق القاسي، ولنضع كل هذا إلى جانب الصراع الثوري. عندما استنكر غورشيكوف جرائم ستالين أمام التجمع المركزي ثم أمام حزب الكونغرس، ظنّنّا أنّ السلام سيزدهر، وأن ثِمار الاشتراكية ستؤتي أُكْلها الآن، وأن ذلك القمع والعذاب السري الذي شعرنا به سيختفي.

لقد تم اقتلاع مجموعة ستالين من بولندا. كما تم إطلاق سراح جومولكا Gomulka. وفي هنغاريا كان تجديد الحزب أكثر شمولية وتطرفاً. وفي مكان الستالينيين تم تعيين الشيوعيين الذين سجنوا واستبعدوا من كل مكاتب الحزب. وفي كل هذا رأينا تأكيداً على تحقق آمالنا، وتجديداً أصيلاً، ونقطة تحول لها أهميتها التاريخية..

كنت أظن أن بعد هذا التجديد وإعادة البناء، سيقوى دافع الاشتراكية بشكل هائل في كل مكان. لقد اعتقدت أن الناس الذي ظلوا بعيدين عن الحزب الشيوعي في إيطاليا بسبب النظام العنيف والمأساوي الذي كنّا جزءاً منه، سوف ينضمون إلينا، سيقفون في وجه ذات الصراعات مثلنا، وسيشاركوننا أفكارنا عن الإنسانية والمساواة.

كنت عضواً في التجمع الفيدرالي في تورين. وعملت لدى دار أينودي للطباعة والنشر. كنت أتردد على الكوادر المثقفة في تورين، وميلانو، وروما. ولكن في تلك الأشهر من الحمى الإبداعية العظيمة، كانت الجماعة الحاكمة والمثقفون قد التقوا بالمقاتلين، وهو شيء لم يحدث بتلك الكثافة لربما منذ وقت المقاومة والتحرير. كانت هناك نقاشات لا نهائية، طوال ليال كُرّست للاجتماعات، والمناظرات، وباختصار.. للشغف السياسي العظيم.

جاء لوكاس [1] في ذلك الصيف إلى إيطاليا. وكان داعمًا للوحدة الوطنية وبطلاً قومياً. التقيت به مع تشيزاري كاسيس، والذي كان يصاحبه في جولته الإيطالية. أكد لنا لوكاس تحقق آمالنا بولادة شيوعية جديدة. وفي تلك الأيام تقريباً، حصلنا على تأكيد آخر، تأكيد كان أكثر أهمية بالنسبة للحزب الشيوعي الإيطالي: مقابلة مع تولياتّي في مقالة «Argomen- Nouvi

1- Lukács György: (١٨٨٥-١٩٧١) فيلسوف وناقد أدبي مجري. كان للأستاطيقا الماركسية التي تعرض لها في روايته (الرواية التاريخية) ١٩٥٥ تأثير ملهم في إيطاليا.

ti». أتذكر جيداً تأثيرها علي عندما قرأتها في الصفحة الاولى من l'Unita. قال توليياتّي بعمق ثقافي، وبراعة دبلوماسية، ولكن بإخلاص (قليل) أيضاً، الأشياء التي توقعت أن تقال. في ذلك الصباح كنت في روما، وكان عندي موعد مع باولو سبريانو[1] في فيلا بورخيسي. مشينا على طول دروب الحديقة لوقت طويل حتى اقتربنا من البحيرة إلى جانب حي ماغنولياس، والتقينا بلونغو.[2] كان يحمل مجموعة نماذج خشبية على شكل قوارب ناولها طفلًا كان يرافقه. وتكلمنا نحن الثلاثة بشغف عظيم عما كان يحدث. أتذكر أنّ لونغو قد أخبرنا عما حدث في فترة وجوده في موسكو، قبل عدة سنوات عندما كان سكرتيراً لحركة الشباب الشيوعيين. قال لنا إن الهواء الأسود كان منتشراً كل مكان، وإن انعدام الحرية لم يمس المواطنين فقط، بل أعضاء الحزب أيضاً. باختصار، بدا وكأن هناك حملاً ثقيلاً على صدره هو الآخر.

تسألني: إن كنتم جميعكم أيها المثقفون، والقادة، والمناضلون لديكم هذا الثقل الجاثم على صدوركم فلماذا لم تفكروا بانتزاعه قبل هذا الوقت؟ ولماذا كان عليكم انتظار إشارة من موسكو، من غورشيكوف، من التجمع المركزي؟ ولماذا إذن، ورغم كل شيء، في تلك السنة ١٩٥٦، قد آل الأمر إلى ما آل إليه؟ حسناً. سأجيبك بما أجابني به جان كارلو بابيتا[3] مؤتمر إعلامي بعد المؤتمر الثاني والعشرين لحزب الاتحاد السوفيتي الشيوعي، لأني كنت قد سألته ذات السؤال، وأخبرني أنه عندما يحين وقت الاختيار بين الثورة

1- Spriano Paolo: (١٩٢٥-١٩٨٨) مؤرخ. كان صديق كالفينو قبل وبعد أن غادر الأخير الحزب الشيوعي.

2- Longo Luigi: (١٩٠٠-١٩٨٠) سياسي. بعد النضال في المقاومة، صار عضواً مهماً في الحزب الشيوعي الإيطالي. رأس الحزب بعد توليياتي (١٩٦٤-١٩٧٢).

3- Pajetta Giancarlo: (١٩١١-١٩٩٠) سياسي. رئيس حزب الشيوعيين الشباب، سجنه الفاشيون (١٩٣٣-١٩٤٣). ثم صار محررا في صحيفة L'Unita، وكان في الجناح الإصلاحي للحزب الشيوعي.

والحقيقة فإن الثوري سيختار الثورة دائماً. شخصياً، لا أظن أن الأمور تجري على هذا النحو. وأنا لا أشعر أن تلك الإجابة كانت مقبولة. ولكن في ذلك الوقت وقبل أربعة وعشرين عاماً، كانت نظرتنا للأشياء تقريبا كهذه. نحن الإيطاليون الشيوعيون كنا نعاني من انفصام الشخصية. أجل، أظن أن هذا هو المصطلح الصحيح. أراد جانب من أدمغتنا أن يكون شاهداً على الحقيقة، ومنتقماً للضعفاء والمضطهدين، ومدافعاً عن العدالة من كل سوء، أما الجانب الآخر من أدمغتنا، فقد برّر باسم الدافع هذه الأخطاء، وسوء المعاملة، وطغيان الحزب، وستالين. إنها شيزوفرانيا.. انفصام. أتذكر بوضوح أني كنت أشعر بشعور غير مريح بتاتاً، وغريب، وعدائي إذا سافرت إلى دولة اشتراكية. وما إن أعبر حدود إيطاليا بالقطار حتى أسأل نفسي: لكن هنا في إيطاليا، في إيطاليا هذه، ما الذي يمكن أن أكون عليه سوى أن أكون شيوعياً؟ لقد ذاب الجليد. وأزاحت نهاية الحقبة الستالينية الثقل عن صدورنا: لأن مبادئنا الأخلاقية، وشخصياتنا المُنفصمة، يمكن أن تتوحد مرة أخرى، ويمكن للثورة والحقيقة أن تعودا شيئاً واحداً كما كانتا.

عاد فيتوريني إلى الحزب في تلك الأيام؛ وكان قد غادره قبل وقت طويل لتعاطفه مع المواقف المتطرفة، اللاليبرالية-الاشتراكية، ولكنه عاد إليه في ١٩٥٦. أراد الذهاب إلى بودابست. وأراد المساعدة في الإصلاح والتجديد. أما في تورين، فكان سلستي نيغارفيل هو رجل الإصلاح - كان محايداً لبعض الوقت - وكان يدير الاتحاد أنتونيو راوزيو،[1] وهو ستاليني قديم. لكننا ظننا أن وقت تنحيه قد حان، فالتجديد كان يلوح في الأفق. وانتظرنا يوماً بعد يوم تفتّح أزهار الاشتراكية المئة.

1- Roasio Antonio: (١٩٠٢-١٩٨٦) سياسي. الرئيس الإقليمي للشباب الشيوعي في فترة الفاشية. عاش في المنفى في فرنسا، والاتحاد السوفيتي، وإسبانيا (خلال الحرب الأهلية). صار عضواً في الحزب الشيوعي. نشرت سيرته الذاتية (صبي الطبقة العاملة) في عام ١٩٧٧.

في تلك الأشهر كتبت لصحيفة Aperta Città قصة **الهادئ في بحر الأنتيل** La bonaccia delle Antille. لقد أعدت قراءتها مؤخراً. ويبدو لي أنها لم تفقد أي معنى من معانيها، ولسبب واحد هو أنها إثبات على حالة عقلية، ودليل على فرصة ثمينة قد ضاعت. لقد سلختني تلك الأحداث عن السياسة، بمعنى أن السياسة صارت تشغل فيّ حيزاً أقل من ذي قبل. أظن أن السياسة تُسجّل الأشياء المتأخرة جداً، والتي يُظْهرها المجتمع عبر قنوات، كما أظن أن السياسة تشوّه وتضلّل الحقيقة.

كانت آمالنا في التجديد مُنْصبة على جورجيو أميندولا.[1] لقد شغل مكان بييترو سيكا[2] في رئاسة تنظيم الحزب. وحرص على انعقاد المؤتمر العشرين في اليوم الذي رحل فيه سيكا عن مكتبه. كان أميندولا الصورة التي ظننت أن الشيوعي يجب أن يكون عليها إذا كان يَنْشد حزماً أكبر ومثاليات الاشتراكية الإنسانية في بلد كبلدنا. لكنه خيّب آمالي. ربما لأني لم أفهم شخصية أميندولا جيداً. ومهما كان الحال، لم يكن حتماً «الشيوعي الجديد» الذي كوّنا صورته في أذهاننا في ذلك الوقت. إن الانفصام الذي لم يجلب لي ولا للكثير منا إلا المعاناة، كان حالة طبيعية بالنسبة لأميندولا. كان حازماً بشدة، ويمتلك كل مقومات السياسي المُحنّك. وفي تلك الأحداث ساد الجانب الأخير.

في المساء الذي تلقينا فيه أنباء غزو الجيش الأحمر، ودخول السيارات الروسية المدرعة إلى بودابست، كنت في عشاء مع أميندولا في تورين، في منزل لوتسيانو باركا Barca Luciano: كان باركا المحرر في عدد تورين من L'Unita. لقد ذكر أميندولا هذه الحادثة في أحد كتبه. وقد جاء إلى تورين

1- Amendola Giorgio: (١٩٠٧-١٩٨٠) سياسي ومؤرخ. سُجن ثم صار إصلاحياً مهماً في الحزب الشيوعي الإيطالي.

2- Secchia Pietro: (١٩٠٣-١٩٧٣) سياسي ومؤرخ. كتب عن تاريخ النضال والحزب الشيوعي الإيطالي.

للقائي ولقاء أصدقائنا الآخرين من أينودي. وليحافظ على معنوياتنا، لأن الناس كانوا قد أدركوا أن الصعوبات كانت في الطريق، وكنا نبدي علامات نفاد الصبر. كان مساءً حاسماً بالنسبة لي. فبينما كان أميندولا يتكلم، هاتف جياني روكا، رئيس التحرير في L'Unita، باركا. ثم ملأت الدموع عينا باركا، وأخبرنا: «إن الآليات المصفحة تدخل بودابست، وهناك معارك في الشوارع». نظرت إلى أميندولا: بدا وكأننا قد تلقينا ضربة على رؤوسنا نحن الثلاثة. ثم قال أميندولا: «يقول توليياتي إن هنالك أوقاتاً في التاريخ يجب أن تكون فيها إلى هذا الجانب أو الجانب الآخر. وعلى أي حال، إن الشيوعية كالكنيسة، تحتاج عقوداً لتُغيّر موقفها. ولا تنس أن هنغاريا كانت تتجه لتبني موقف خطير جداً..» أدركت حينها أن الأزهار المئة كانت لا تزال بعيدة جدا، بعيدة جداً...

وبعد شهر واحد من انعقاد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الإيطالي، استنكر خطاب أنتونيو جولياتي الموقف المُنْغلق للحزب في هنغاريا. لقد تحدث بهدوء، وسط جو من البرود. كان توليياتي يجلس قرب المنصة، متعاملاً مع الوِفاق بتباه. غادر جولياتي الحزب ومعه عدد من الرفاق. وقررت عدم الانسحاب منه حينها، في وقت عصيب كهذا، لكني كنت قد اتخذت قرار الانسحاب. وانسحبت دون جلبة في صيف ١٩٥٧، كما فعل العديد من الرفاق: ولم يجدد البعض عضويتهم، بينما طرد آخرون منه. وتم طرد جميع الفريق العامل في Città Aperta، والتي كان يحررها توماسو كياريتي To-masso Chiaretti. كما غادر الحزب كل من Corbi Bruno، Diaz Furio، Onofri Fabrizio، Natalino Sapegno.

ولو كان تَصَرُّف الحزب الشيوعي الإيطالي مختلفاً في عام ١٩٥٦، لعادت له شرعيته قبل أربعة وعشرين عاماً. كم كان ذلك ليغير تاريخ بلدنا؟ من

الواضح أن هذا تساؤل جوابه الوحيد هو: كان ليغيرها بشكلٍ هائلٍ. لكن لم يود أي قائد فعل ذلك. ومن هذا المنطلق، تحمّل تولياتي مسؤولية عظيمة. إن تولياتي ومنذ تحول الأحداث في ساليرنو عام ١٩٤٤ وما تلاه من أعوام، عندما حث الشيوعيين على تقديم التحرير الوطني، وربطه بموقفين: سياسة الإصلاح الخارجي طالما أن الحزب الشيوعي الإيطالي كان مهتماً ومخلصاً للاتحاد السوفيتي. لقد سمح له ذلك الإخلاص بأن يكون إصلاحياً. كان هناك انكسار مع الاتحاد السوفيتي حينها. أما سياسة الحزب الإيطالي الشيوعي فكان من الممكن أن تكون - ولعلها كانت - أكثر حدة في السياسة الداخلية. إن مشاكل البديل اليساري بدأت بالظهور. ومن الواضح أن قيادة الحزب لم تشعر أنها تستطيع سلوك ذلك الطريق.

هذا ما حدث حينها. بعد اثني عشر عاماً، وفيما يخص الهجوم على براغ، كان موقف الحزب مختلفاً، لقد أدان الهجوم، لكن حتى في تلك المناسبة لم يكن هناك انفصال عن موسكو. واليوم، يبدو لي أن الحزب الشيوعي الإيطالي قد خطى خطوة أخرى في مواجهة مخاطر الموقف البولندي. وهي خطوة صحيحة. إن هذا المسير الطويل قد استغرق أربعة وعشرين عاماً. ولا أستطيع أن أحدد بصراحة إن كانت الحافلة التي فاتتنا في عام ١٩٥٦ ستعود مجدداً.

[مقابلة أجراها يوجينيو سكالفاري بعنوان: كالفينو وتاريخ عصره Cal-vino la e Storia del tempo suo، ١٣ ديسمبر ١٩٨٠].

صور القائد

يمكنك أن تقول إني قد أمضيت أول عشرين عاماً من حياتي ووجه موسوليني بارزٌ للعيان دائماً وفي كل مكان. أي أن هناك صورة له معلقة في كل فصل دراسي، وفي كل مبنى حكومي أو مكتب. أستطيع أن أقول إني قد حاولت كتابة تاريخ ثورة موسوليني من خلال تتبع صوره الشخصية كما علقت في ذهني.

في عام ١٩٢٩، كنت في الصف الأول الابتدائي. ولدي الآن صورة واضحة في ذهني عن صور موسوليني الشخصية في تلك الفترة. كنت لا أزال أرتدي الملابس المدنية، بياقة معقوفة للأعلى، كما كان يفعل الأشخاص المهمون في تلك الأيام (لكن سرعان ما صار هذا الزي صرعة قديمة في السنوات اللاحقة). ولهذا السبب أتذكر صورته معلقة في فصلنا الدراسي - لا تزال هناك صورة للملك على الحائط الجانبي، فوق مكتب المعلم - وفي صورة فوتوغرافية بيضاء وسوداء خلف دفتر المدرسة (صورة بدت كما لو أنها قد أُضيفت إلى الطّبعات الأحدث).

كانت الصورة الأولى التي أعطاها موسوليني لنفسه فور تسلمه زمام السيطرة في تلك السنوات، هي تلك التي كان يَقصد بها التأكيد على استمرارية معينة، وفرض احترامه كرجل استعاد النظام. تظهر الصورة نصف جسده الأعلى، ولعلّ المعطف الذي يرتديه رئيس الوزراء كان معطف النهار (الجاكيت الأسود المذيل الذي كان معروفاً في إيطاليا - وفقط في إيطاليا - يسمى بـ tight) وهو ما اعتاد الناس ارتداءه في المناسبات الرسمية

في تلك الأيام.

كان لا يزال لدى موسوليني شَعْر على صدغيه في تلك الصور. وربما - لست متأكداً - في منتصف رأسه الأصلع. لقد أبرزت ثيابه الرسمية شبابه، لأن تلك هي الصرعة الحقيقية التي يجب أن تنقلها الصور - رغم أني لم أعرف ذلك وأنا في السادسة من عمري - بمعنى أنه لم يسمع أحد قط برئيس وزراء في الأربعين من عمره. ولم يسمع أحد في إيطاليا برجل من رجالات الدولة دون لحية أو شارب، وهذا في حد ذاته كان علامة حداثة. كان من الشائع حلاقة الوجه والشعر، لكن أهم السياسيين في فترة الحرب العالمية الأولى وبعدها احتفظوا بشواربهم ولحاهم. كان هذا هو المظهر الرائج في أرجاء العالم. كنت لأقول (أنا أكتب دون الرجوع إلى الكتب أو الموسوعات) باستثناء رؤساء أمريكا. حتى الرؤساء الأربعة الذي قادوا المسيرة إلى روما، كان لديهم شوارب، لكن قائدين من القادة الأربعة كان في وجهيهما لحية.

(لا أظن أن هناك مؤرخين قد ركزوا على أهمية شعر الوجه في العصور المختلفة، ومع ذلك فإن هذه الصور تحمل بالتأكيد رسائل لها دلالات.. خاصة في الفترات الانتقالية).

وباختصار، فإن هيئة موسوليني في تلك الأيام كان يقصد بها التعبير عن الحداثة والمهنية والاستمرارية، إلى جانب التشدد المتسلط. كان ذلك بالتأكيد نقيضاً للصورة السابقة، تلك المرتبطة بفترة فرق الموت الفاشية. من بين ذكرياتي هناك أيضاً صورة أريد أن أؤرخها إلى فترة العنف (لا يهم إن كنت قد شاهدتها في فترة متأخرة قليلاً من حياتي)، إنها صورة فوتوغرافية درامية بالأبيض والأسود، وعليها إمضاء يظهر حرف الميم مغلظاً.. وقد انتشرت. وفيها يظهر وجه موسوليني مستديراً إلى الجانب قليلاً، منبثقاً من السواد، والذي قد يكون سواد قميصه أو سواد الخلفية الداكنة، كتلك التي تستدعيها

كلمات 'Sasepolcro Piazza di covo il'، والتي كما عرفنا أنها تعني إعلاناً عن ميلاد عصر جديد.

وانطبع في ذاكرتي أيضاً كطفل مناخ العنف الذي سببته فرق التنفيذ الفاشية (أو على الأقل إحدى آخر هيجاناتها في عام ١٩٢٦)، ولكن بدا العالم هادئاً ومنظماً عند بدء ارتيادي المدرسة. وكانت تظهر بوادر نشوء حرب أهلية بين الفينة والأخرى، لقد صاحبَها انجذابٌ غامضٌ لطفلٍ أو صبي في وقت كانت فيه صور القائد مرتبطة بانضباط لم يتساهل مع أي احتجاج مفاجئ.

أما الوصف الآخر البارز في هذه الصور الأولى للدكتاتور: فكان وقفته التأملية، وجبينه البارز وكأنّه يؤكد على قدرته على التّفكير. ومن بين الألعاب التي اعتاد الناس لعبها مع الأطفال البالغين من العمر عاماً أو عامين آنذاك، كانت لعبة يقول فيها الشخص الرّاشد: «قم بتقليد وجه موسوليني»، فيحاول الطفل بعدها رسم تعبير مُثلّم على وجهه، ويحاول إبراز شفتين غاضبتين كموسوليني. باختصار، بدأ إيطاليّو جيلي بحمل صورة موسوليني في ذواتهم، حتى قبل أن يتعرفوا عليها على الجدران. إن نظرة التركيز تلك والتي حتى الأطفال يستطيعون تقليدها رغم أنهم لا يتأملون أي شيء، تكشف أن هناك شيئاً طفولياً في تلك الصورة.

إن القاعدة التي فرضتها على نفسي في كتابة هذه الصّفحات هي الحديث فقط عن البورتريهات والصور الفوتوغرافية التي شاهدتها خلال عشرين عاماً من الفاشية، واضعاً إلى جنبها كمية هائلة من التوثيقات التي شاهدتها تباعاً، خلال أربعة عقود تقريبًا بعد الفاشية. ولذلك سأتحدث فقط عن الصور الرسمية بما أنه لم يُتَداول غيرها من الصور في ذلك الوقت: إن الصور الرسمية في البورتريهات، والتماثيل، والأفلام - كانت تصنعها المؤسسة

التي يملكها موسوليني - مؤسسة لوس للسينما - والصحف المرسومة، وكانت تنقسم إلى صحيفتين: Corriere del Domenica الشهيرة، و L'Illustrazione Italiana التي كانت مجلة نصف شهرية بغية تسويق قراءتها.

أتذكر في ذلك الوقت مشاهدة الصورة الشهيرة لموسوليني مرتدياً قبعته المرتفعة، وهو ذاهب ليوقع على الاتفاقية في قصر لاتران.[1] وأتذكر أني بقيت أتذكر هذه الصورة عندما سمعت بعدها بوقت قصير الكبار يقولون إن النّظام قد أبطل «أنابيب الأفران» (كما كان يطلق على موسوليني)، رمزاً لتقاليد البرجوازية،[2] غير واعين لجدلية التاريخ، وبدا هذا لي غير مفهوم.

أجهل إن كانت تلك هي المرة الأخيرة التي ارتدى فيها موسوليني قبعة مرتفعة. وقد يكون ذلك صحيحاً، لأنه قد نال رضا الكنيسة بالإجماع حتى ذلك الحين، ويمكنه البدء الآن في توحيد الملابس الرسمية الإيطالية. إن هذه النقلة في الأزياء الفاشية (على الأقل كما كان ينظر لها في الأقاليم) يمكن أن أؤرخها إلى الذكرى العاشرة للثورة الفاشية في عام ١٩٣٢.. الذكرى العاشرة التي ظلت مرتبطة بعطلة الربيع في ذهني - عندما كنت في الصف الرابع في المدرسة الابتدائية - وبسلسلة من الطوابع البريدية التي تخلد هذه المناسبة.

خطت في تلك المرحلة صور موسوليني خطوة مهمة إلى الأمام في تمجيد الإمبراطوريات الرومانية كثيراً، لدرجة أن أحد هذه الطوابع في هذه السلسلة قد صور لحظةً فروسيةً للقائد في أستاد بولونيا، محاكيًا تمثال فيروكيو Veroc-chio للنحات كولّييوني Colleoni، ونُقِش تحتها «إن تقدمت، اتبعي» Se seguitemi avanzo. وكان هناك تتمة لهذه الجملة المنقوشة «إن انسحبت،

---

1 - اتفاقية مهمة تنص على استقلال الفاتيكان كدولة مستقلة عن إيطاليا عام 1929. (المترجمة)

2 - أبطلت هذه المعاهدة ألقاب الفرسان وألقاب الطبقة النبيلة. (المترجمة)

اقتلني» uccidetemi indietreggio Se، والتي تحققت بمرور الوقت. ويجب أن يقال إن هذا هو أحد الطوابع القليلة (ولا يمكنني الآن إخبارك عن أي طوابع أخرى) التي تحمل صورة موسوليني، كانت الطوابع إحدى المجالات القليلة التي واصلت فيها سطوة الاستبداد بالظهور، فيكتور إيمانويل الثالث الذي قد يحمل رأسه جسداً لرجل طويل جداً.[1]

صار تأجيل انضمامي إلى Balilla[2] في السنوات الأخيرة من المدرسة الابتدائية صعباً، لأن الانضمام إليها بات إجبارياً حتى على طلاب المدرسة الخاصة التي كنت أدرس فيها. أتذكر بوضوح رائحة المادة العفنة في مخزن بيت الكشافة Balilla del Casa حيث اشترينا الزي الرسمي، وأتذكر أمين المخزن وهو محارب خبير وجريح. لكني أريد الآن تذكر الشارة التي عليها دبوس وتظهر صورة القائد جانبياً، والتي ساعدت على تثبيت المناديل الزرقاء على صدورنا - لون يدل على: دالماشيا.[3] هذا ما قيل لنا، متتبعين منطقاً لا يعني شيئاً الآن - أتذكر هذه الصورة الجانبية وفيها كان بينيتو موسوليني يرتدي خوذة، لكن لا بد أن ارتداءه للخوذة جاء بعد سنوات من الذكرى التي أحاول التركيز عليها الآن. إذن، إما أنّ المنديل الأزرق كان مثبتاً أساساً دون شارة، أو كان هناك نسخة أولى من الشارة عليها صورته وهو عاري الرأس. ما أحاول فعله هو تأريخ الفترة التي صارت فيها صورة القائد على شارة الملابس الرسمية، كما لو أنه إمبراطور روماني (ومنها أتمكن من اقتحام المجال الخاص بالمسكوكات، والذي كان مخصصاً للملك لأكثر من سبب)، لكني لا أملك المزيد من البراهين.

---

1 - كان قصيراً على عكس ما توحي به الطوابع. (المترجمة)

2 - كشافة الأطفال الصغار الفاشية. (المترجمة)

3 - مدينة في كرواتيا. (المترجمة)

وما زلنا في السنتين ١٩٣٣-١٩٣٤. حينها كنت قد شاهدت بورتريه (أو تمثالاً) لموسوليني بالشكل التكعيبي، بمعنى أنه كان في شكل مكعب له خواص هندسية. كان ذلك في معرض للرسومات أقامته المدارس الابتدائية المحلية، حيث كان علي تقديم اختبار القبول للمدرسة الثانوية. إن المكعب، وقد نقش عليه شيء من قبيل: تمثالُ القائد كما يفضلهُ القائد، كان معروضاً كنموذج لأعمال الأطفال. كانت هذه الذكرى بالنسبة لي هي بداية فكرة وجود أسلوب فاشي مبني على الأوجه المُرَبّعة أو التكعيبية، والتي كانت تفرض نفسها وفي حالات عدة لتصبح متماثلة مع الأسلوب الفني للقرن العشرين، والذي كان منتشراً بالفعل حتى في الأقاليم.

ويلائم هذا الأسلوب نقش DVX، الذي يبدو كأرقام رومانية على قواعد التماثيل أو الأعمدة، وتوضع جنباً إلى جنب كلمة أخرى تشبهها REX. (عند هذه المرحلة كانت صور الملك والقائد دائماً مع بعضها، وإن سقط أحدها سهواً فإنها لن تعتبر صورة القائد). وبأسلوب تقليدي حديث (نيو كلاسيك) ومتعرج يلائم القرن العشرين نَحَت Wildt تمثالاً لموسوليني وكلل رأسه بتاج، وتوجة[1]، وكان تجويف العينين خالياً: وهي صورة بدت مختلفة جداً عن الفترة السابقة، لكنها حملت طابعاً رسمياً، حيث ظهرت صورة التمثال الذي يمثل وجه موسوليني على غلاف كتابه: **كتابات وخطابات** discorsi e Scritti.

أود أن أتذكر هنا أيضاً صورة كانت على كل كتب القراءة المدرسية: صورة المنزل الذي وُلِد فيه القائد في بريدابيو، وكانت مطبوعة على كتب كانت تُعطى لأطفال المدارس ويطلب منهم تقليده رسماً. ليس لدي هنا ما أعترض عليه، لأنه كان منزلاً جميلاً جداً. كان نموذجاً للمنزل الإيطالي

---

1 - الثوب الروماني الفضفاض. (المترجمة)

التقليدي في الريف؛ فيه سلالم خارجية، والطابق الأول منه مرتفع جداً، وعدد نوافذه قليل جداً.

إنّ الصّورة الكلاسيكية لموسوليني كانت قد تكوّنت بالفعل، وليس مقدراً لها المرور بتغيرات خلال فترة ازدهار الدكتاتورية (وأفضلها كان في الثلاثينيات). كان التلفاز والإذاعة وسيلتيّ إعلام أساسيتَيْن، ليس فقط لِنَشر بل لِتكوين هذه الصورة. لم أذهب قط إلى تَجَمّع يكون فيه موسوليني حاضراً، لأني نادراً ما كنت أخرج من الإقليم الذي نشأت فيه - لم يُحِب موسوليني دخوله ولم يرد ذلك قط - ولكني أظن أن صورة القائد في السينما كانت أكثرَ تأثيراً وملامسةً للقلب من مشاهدته مباشرة بين الحشود تحت البلكونة. وعلى أي حال، كان صوته يُنقل دائماً عبر مكبرات الصوت العالية. وباختصار، كان الإعلام البصري-السمعي في ذلك الوقت مكوناً أساسياً لرسم صورة موسوليني الروماني.

ومن المكونات الأساسية الأخرى لصورته الإعلامية هو منع أي نقد أو سخرية. أتذكر أن أحد خطابات موسوليني الأولى ذلك الذي عن 'li-perfetto fascista ,mochetto e bro' (الكتاب والبندقية يصنعان فاشية رائعة)، وعند انتهائه كان القائد قد جلب من النافذة السفلية كتاباً وبندقية، مزيج رائع. وأتذكر أني كنت قد سمعت بهذا الحدث من عمّي الذي يعارض الفاشية، والذي كان قد شاهده في السينما. (وإن لم يكن هذا الخطاب فلا بد أنه آخر من نفس الحقبة، بعد ١٩٣٠ بقليل، ويمكن التأكد من الخطاب من الفيلم) أتذكر عمي وهو يَصِف لغة جسد موسوليني.. كان يعض على شفتيه، وفي لحظة معينة ينفخ هواء من أنفه بيده.[1] أتذكر أن عمتي قد قالت

---

1 - لعل كالفينو يقصد حركة سريعة يزفر فيها موسوليني بيده، ويمكن ملاحظتها في خطاب له في نابولي عام 1931. (المترجمة)

لزوجها: «حسناً ماذا تتوقع؟ إنه عامل بناء!». بعد بضعة أيام شاهدت هذا الفيلم والخطاب، وتمكنت من تمييز التكشيرات التي وصفها عمي، وزفير الأنف السريع. كانت تصلني صورة موسوليني آنذاك مفلترة عبر أحاديث البالغين الساخرة - أشخاص محددون - والتي كانت تناقض الجوقة الممجدة له. لكن ذلك الثناء كان يُعَبّر عنه في العلن، فالاعتراضات ظلت حبيسة الحوارات الخاصة ولم تطعن علناً في الآراء المجتمعة التي صنعها النظام للتباهي.

تَعلّم موسوليني بعدها أن الكاميرا لا ترحم وتُبرز كل تقطيبة وتشنج في لغة جسده. أظن لو أنك قد شاهدت أفلام خطاباته بترتيب زمني، فإنك ستشاهد أن تحكمه بكل حركة، وسكتاته، وتسارع وتيرة خطاباته قد أصبحت أكثر تأثيراً. وبالرغم من ذلك، فإن أداءه ظل نفس الأداء الذي بدأ به. عندما يرى الشباب في الوقت الحاضر موسوليني في أفلامه القديمة يجدونه سخيفاً، ولا يستطيعون فهم كيف كان هناك عدد هائل من الناس الذين أثنوا عليه ثناءً عارماً. ومع ذلك فإن نموذج موسوليني الخطابي قد استمر بفضل من حاكوه وقلّدوه حول العالم كله منذ ذلك الوقت وحتى وقتنا الراهن، خاصة في منظومة الدول النامية أو دول العالم الثالث، التي لا زالت تستخدم ذات الأسلوب.

وفي عصر تتعدد فيه احتمالات التلاعب بالناس، واحتمالات استخدامهم لترسيخ قوة شخص ما، كان موسوليني أحد الأوائل الذين بنوا شخصية تنسجم مع هذا التّوجه في كل شيء. إن صورته تلك كأي كقائد له شعبية بكل الصفات التي يمكن أن يتقبلها الناس في وقته - النشاط، الجبروت، العدوانية، والتموضع كقائد روماني، وكفخر قومي قد ناقضت جزءاً من صورة رجل الدولة - لقد نقل كل هذا من خلال لغة جسده، ولباسه

العسكري، وخطاباته التي تضم عبارات موجزة وبليغة، وصوته المُدوّي، وحتى من خلال نطقه لبعض الكلمات - على سبيل المثال، كلمات مثل «إيتاليا» و «إيتالياني» مؤكداً بذلك على أصوله التي تعود إلى إيميليا - رومانيا - وبما أن فكرة أن القائد يجب أن يكون على هذه الصورة قد زرعت فعلاً في أذهان الناس، فكان من الضمني أن من لا يكون على هذه الصورة لا يمكن أن يكون قائداً.

لا بد أن هذا الاختلاف كان معضلة كبيرة بالنسبة لهتلر - كان يختلفاً اختلافاً كبيراً من الناحية الجسمانية عن موسوليني - في الفترة التي كان فيها موسوليني مثل هتلر الأعلى (إن الشخص الذي فهم هذه النقطة هو شارلي شابلن في فيلم **الديكتاتور العظيم**). لقد تمكن هتلر من التّغلب على إعاقته من خلال تبني اتجاه مغاير للطاغية الإيطالي، من خلال التأكيد على الانفعال العصبي (لوجهه، وشاربه، وغرته الجانبية)، أو لصوته، ومن خلال السير على نهجه الخاص في لغة الجسد والبلاغة الخطابية التي كانت تطلق العنان لطاقة حركية تؤطرها الهستيريا. لقد تجَنّب الفوهرر führer الاستعراض في ثيابه، مفضلاً بذلك الثياب الرسمية البسيطة (على عكس [هيرمان] غورينغ[1] الذي كان يختال ببدنه الضخم مرتدياً سلسلة من الثياب الرسمية المبهرجة والمختلفة دائماً).

أنا أتحدث عن الفترة التي أعود بها إلى ذكريات طفولتي، في الفترة التي كنت أحصل فيها على أفكاري عن العالم من خلال رسومات الصحف التي فاجأت خيالي بشكل رئيسي، وأيضاً من خلال تفكيري في الشخصية التي هيمنت على عالم الأخبار في ذلك الوقت.. تلك التي كانت الأكثر بروزاً عن الآخرين من خلال صورتها البصرية، وهي بلا شك صورة غاندي. وعلى

---

1 - وهو من أبرز قياديي ألمانيا النازية، والأب الروحي لجهاز الشرطة السرية. (المترجمة)

الرغم من أنه كان أحد أكثر الناس الذين رُسِموا كاريكاتورياً، وكانت تدور حوله الكثير من الحكايات، إلا أن صورته قد تمكنت من غرس فكرة أن في داخله ما هو جِدّي وحقيقي، رغم أنه بعيدٌ جداً عنّا.

وفي عام ١٩٣٤ - أنا أؤرخ الأحداث حسب ذاكرتي: وسيسهل تصحيحها إن كنت مخطئاً - غيّر الجيش الملكي الإيطالي زيّه الرسمي، والذي كان حتى ذلك اليوم هو ذاته الذي تم ارتداؤه في الحرب العالمية الأولى. بالنسبة لإيطاليا ذلك الوقت، عندما كان كثير من الناس في الجيش -بالإضافة إلى الخدمة العسكرية الطويلة، فإنه قد يتم استدعاؤك مجدداً - كان هذا الزي الجديد (قبعة بيريه مسطحة، وسترة ياقتها مفتوحة لتظهر ربطة العنق) قد عَنْوَنَ نقطة تحول، والتي لم تكد تكن أحد المظاهر في ذلك الوقت، ولكنها تصادفت مع الدخول في عقد جديد من الحروب.

وتغير شكل الخوذات أيضاً: فبدلاً من خوذة الحرب العالمية الأولى التي كانت تستدعي في الذهن صورة المشاة الضعفاء في الخنادق، صار هناك خوذة على شكل قبة، والتي تعود إلى عصر جديد من التصميم الصناعي (ترجع الخطوط الديناميكية- الهوائية في تصميم السيارات إلى ذات الحقبة، ولكن في هذه الحالة سأحتاج إلى التحقق من تواريخ وأنواع السيارات). كما كانت هذه الفترة فترة تحول في صورة موسوليني؛ صارت الصورة الكلاسيكية للقائد هي تلك التي يرتدي فيها خوذة، والتي بدت كامتداد معدني لرأسه الناعم.

وتحت الخوذة كان فكه يبدو أكثر بروزاً، مكتسباً أهمية حتمية بسبب اختفاء الجزء العلوي من رأسه (بما في ذلك عينيه). وكانت شفتاه ملتفتين للأعلى (وضع غير طبيعي، لكنها تدل على قوة إرادته). ومن تلك اللحظة فصاعداً، بدا وكأن رأس القائد قد خُلق أساساً وعليه خوذة وعظام فكين

يكافئ أحدها حجم الآخر، كما يكافئان استدارة بطنه الذي بدأ بالبروز في ذلك الوقت. كان الزي الرسمي هو ذاته زي ميليشيا التشريفات العسكرية. وبدلاً من الصورة الرسمية التي يبدو فيها رأسه مسحوقاً تحت الخوذة، فضلت صوره الرسمية انحناء رأسه جانبياً بدرجة ثلاثة أرباع الدائرة والتي سمحت للمصور باقتناص لمحة إضاءة تحت الخوذة. لكن ما افتقد تحت الخوذة حتماً هو التأكيد على جبينه التأملي، وهي صفة هامة في موسوليني عام ١٩٢٠. وهكذا تغيرت شخصيته: تم استبدال القائد المُفكّر بالقائد المُظفّر.

ويمكن اعتبار أن صورة موسوليني هذه صورة قانونية ورسمية، وكانت أمامي أغلب الوقت في المدرسة، وأوقات الرياضة، وقبل الاستدعاء للخدمة العسكرية... إلخ، وكانت صورة الملك تُماثل دائماً صورة القائد، كاملة وبخوذه وشارب وذقن بارز. كان رأس الملك فيتوريني أصغر بكثير من رأس القائد، ولكن في تلك الفترة كان يتم تكبيره، والفضل يعود إلى زاوية التصوير، ليبدو تقريباً بذات حجم رأس رئيس الوزراء الذي لا يمكن الاستغناء عنه. أظن أن كلاً منهما قد ارتدى القلادة المُبَشّرة Annunziata حول عنقه، وهي عبارة عن سلسلة ذهبية وبها (بروش رقيق) في المكان الذي تكون فيه ربطة العنق.

وبالطبع كانت هناك صورة للقائد يظهر فيها عاري الرأس، لعله مستوحى من إيريش فون ستروهايم Erich von Stroheim . وبهذا تمكن موسوليني من تحويل صلعه من عيب - كصورة سابقة يبدو فيها كمن في إعلانات علاج الصلع - إلى رمز فحولة. وبذكاء بالغ، في عام ١٩٣٤ أيضاً أزال الشعر المتبقي على صدغيه ورقبته. وانتشرت صوره التي يرتدي فيها طربوشاً عسكرياً يتدلى منه حبل أحمر، وصورُه التي يرتدي فيها زي الاحتفال وهو بيريه عليه صقر - في وضع استعداد للطيران - كما انتشرت

صوره وهو على ظهر حصان، قابضاً على «سيف الإسلام»، ورافعا إياه نحو السماء.

وفي المناسبات النادرة التي كان يتم فيها رسمه باللباس المدني، كان يظهر وهو مرتدياً ملابس أقل رسمية مما سبق. وفي صيف ما، كان موسوليني حاضراً في مناورة عسكرية. وكان يرتدي قبعة بيريه بحرية بيضاء اللون، وحذاءين طويلين، وبنطالاً وسترة كان لونها سماوياً، كما أظن. (ما أحاول تذكره هو تدرجات الألوان التي استخدمها الفنان بلترام Beltrame في رسم لصحيفة del Corriere Dominica: كان القائد يساعد الجنود في دفع المدفعية إلى أعلى الجرف).

ثم كانت هناك صور أشهر له في «معركة لأجل القمح»: كان القائد في صدريته أو نظارات الدرّاج، حاملاً حُزَم الذّرة وسط عمال مزرعته. (مزارعون أم بوليس سري؟ كانت المزحة الدارجة في ذلك الوقت هي أن القائد قد أثنى على مزارع لأن دِرسَه جيد، فقال: «أحسنت صنعاً! ما الذي يمكنني فعله لمكافئتك على عملك؟» فأجاب الرجل: «انقلني من قسم شرطة روما إلى ذلك الذي في باليرمو، يا قائد!»).

أما الصّور التي تظهره وهو في حياته الخاصة فقد كانت أقل ندرة: كان هناك عدد قليل من الصور العائلية التي تظهره وهو يتزلج أو يسبح أو يقود طائرة. لقد وُزّعَت - كما قيل - لأن بعض الصّحف الأجنبية قد نشرت بعض الشائعات عن إصابته بمرض.

ومع احتلال أثيوبيا، اتجه القائد إلى تأليه نفسه أكثر وأكثر. كانت الصّيغة المستخدمة في هتافات الاحتفالات: «يحيا القائد! نحيا!»، ثم صارت العبارة أطول: «التحية للقائد صانع الإمبراطوريات!». أما نكات ذلك الوقت

فكانت تذكر أن Starace[1] كان غبياً لدرجة أنه لم يحفظ العبارة عن ظهر غيب - رغم أنه هو من اخترعها - وفي كل مرة كان الناس ينادون بها، كان يختلس النظر إلى ورقة كتب العبارة عليها.

كانت هذه أيضاً فترة ستاريس و «ثورة الثياب» المعادية للبرجوازية، والتي ركزت بشكل أساسي على تقديم ثياب رسمية لأعضاء الحزب؛ سترات فاشية دون طية صدر، وثياب سوداء وخاكية وبيضاء اللون.. لنعد إلى موضوعنا، في هذه الفترة كان مظهر القائد يتضاعف من خلال كل الأعضاء الذين حاولوا تقليده؛ لقد حلقوا رؤوسهم ليحفزوا صلعاً فحولياً، وأبرزوا ذقونهم، وجعلوا رقابهم تنتفخ. بينما حافظ البقية على شعورهم الرائعة، مثل Ciano Galeazzo، والذي من ناحية أخرى حاول تقليد عمه[2] في وقوفه وهو يلقي خطاباته. لكنه لم يكن جذاباً فوتوغرافياً، ولم يتفوق عليه في كراهية الشعب له إلا ستاريس.

كانت الحرب تقترب، وصرت بالغاً. وكان كما لو أن ذاكرتي البصرية في تلك السنوات قد صارت أقلَّ استقبالاً من ذاكرة طفولتي - عندما كانت الطريقة التي ينظر بها الناس للأمور هي قناة اتصالي الوحيدة مع العالم - بدأ ذهني الآن بالامتلاء بشكل ضبابي بالأفكار، والتساؤلات، وتقييم الأحكام، وليس فقط تقييم النواحي الخارجية للناس والبيئات.

وفي ١٩٣٨، لعب الطاغيان جولتهما الأخيرة في لعبة الصور، تعبيراتهما الشجاعة - ضاع استخدام هذه الكلمة اليوم، كانت الكلمة لتكون أكثر ملاءمة حينها - مختلفين بذلك عن نيفيل تشامبرلين الهزيل وقديم الطراز،

1- Starace Achilli: (١٨٨٩-١٩٤٥) سكرتير الحزب الفاشي في الأعوام (١٩٣١-١٩٣٩). قتله المناضلون وعُلّق جسده إلى جانب جسد موسوليني في ميلانو في أبريل ١٩٤٥.

2- زوجته هي ابنة موسوليني. (المترجمة)

والذي كان يرتدي بدلة لها ذيل، وياقة يابسة، ويحمل مظلة. لكن عند تلك المرحلة، كانت الرسالة التي فهمها الناس هي أن مظلة تشامبرلين هي مظلة السلام، أثناء زيارته إلى إيطاليا حيث حيته الجماهير بحماسة. وقدم موسوليني نفسه أيضاً على أنه حامي السلام، منتزعاً آخر هتافات الجماهير العفوية.

ثم حلت الحرب. وصار موسوليني الآن يرتدي ثياب الجيش الملكي (لباس الكشافة وقبعة وحذاءين)؛ لقد جعل الجيش يتشاور بشأن منحه لقب مارشال الإمبراطورية المهيب. كانت جبهات المعركة لا تزال بعيدة عن الشبان، والذين هم أكبر قليلاً في العمر بدأوا يموتون (أولئك الذين ولدوا قرابة عام ١٩١٥ هم من تحملوا ويلات الحرب). إن هيئة موسوليني الخارجية -والتي كانت تميل إلى الاستدارة- صارت أنحف كي يبدو مجهداً وقلقاً، وازدادت تقرحات معدته بازدياد وقع الكارثة. كانت صور لقاءاته مع الفوهرر صادمة، وقد أمسك هتلر بيد موسوليني ولم يسمح له بنطق كلمة. تكونت ثياب موسوليني بعد ذلك من معطف ضخم وقبعة بها حاجب مستمدة من الأزياء الألمانية المميزة.

لقد كشفت المواكب العسكرية الكذب، حتى لأولئك الذين لم يملكوا عيوناً ليروا هزائم الجيش قبل ذلك. إن الشائعة التي انتشرت بعد معركة العَلَمين - (كما انتشرت الشائعات في أرجاء إيطاليا) أنه إلى جانب انسحاب الجنود الإيطاليين في الصحراء، انسحب أيضاً الحصان الأبيض الذي أراد موسوليني الدخول به إلى الإسكندرية منتصراً - قد وضعت حداً لصورة موسوليني الإعلامية.

واقترب يوم إزالة صور القائد التي تكاثر عددها على الجدران الإيطالية كدلالة على فرض النظام، وجُلِبت خارجاً إلى الهواء الطلق والساحات في رقصات شرقية هائجة. حدث هذا في ٢٥ يوليو ١٩٤٣ (أو لنكون أكثر دقة

بعد يوم واحد أو يومين ربما)، عندما لم يعد بالإمكان الإبقاء على الجموع خارج بيت الفاشية. وأُلقيت من النوافذ دمى على شكل الديكتاتور المخلوع. وكان بإمكانك أن ترى حينها السخرية من صوره وإلقاءها في كل مكان، ثم أشعلت فيها النيران وأُحرقت، كما جُرَّت تماثيله المصنوعة من الجبس والبرونز إلى الأرصفة، وصار تمثال رأسه أداة لهو وأثراً من عصر آخر بين ليلة وضحاها.

أكانت هذه نهاية الحكاية التي كنت أسردها؟ لا، فبعد شهر ونصف رأيت موسوليني كالشبح في صوره. وكان حليق الرأس، وقد أخذه أوتو سكورزيني من [منتجع] كامبو إمبراتوري [في الجبال] إلى الشمال الإيطالي الذي يسيطر عليه هتلر. كان موسوليني الشبح بذات عينه، لكن لم يكن لديه خيار سوى أن يواصل نشر صورته المرهقة وسط القصف الجوي وأصوات مدافع الرشاش.

لدى الحزب الجمهوري بالتأكيد صور رسمية جديدة للقائد بزيه الرسمي الجديد ووجهه النحيل. لكني لا أستطيع إخراجها من رأسي على الورق، من عصر كان مليئاً بالعواطف والمخاوف. يجب أن أذكر أنه عند مرحلة معينة من حياتي توقف ووجدت نفسي منقطعاً عن رؤية هذه الصور. ومن خلال الأقاويل فقط اكتشفت فيلماً قصيراً أنتجته مؤسسة موسوليني للإنتاج السينمائي، وفيه صنع موسوليني «انغماسه بين الجماهير» بشكل غير متوقع بخطاب ألقاه في تياترو ليريكو في ميلانو قبل أشهر قليلة من سقوط النظام، وهي المدينة التي وُلِدت فيها سمعته كمحبوب الجماهير.

في بداية شهر أبريل أَسقطت طائرات التحالف منشوراً على المقاتلين - كانت السماء تمطر هدايا نادرة - وكان هناك رسم ساخر لموسوليني (أظنه كان أول كاريكاتور شاهدته في حياتي) رسمه أشهر رسام إنجليزي في

تلك الفترة. (أعتذر لأني لا أستطيع تذكر اسمه، يمكنني الذهاب والبحث لأن الصحف قد ذكرت اسمه في الآونة الاخيرة بسبب وفاته، لكني ملتزم بالقاعدة التي فرضتها على نفسي.. ألا وهي احترام اعتمادي على ذاكرتي، ولا أريد أن أخرق هذا الالتزام عند قرب انتهاء المقال). ويبدو في الرسم كلا من بينيتو وأدولف وهما يجربان الملابس النسائية استعداداً للهرب إلى الأرجنتين.

لم يحدث ذلك. ولأن موسوليني كان سَبَب الكثير من المجازر - لا صور لها لأتذكرها - كانت صورة موسوليني الأخيرة هي صورة مجزرة خاصة به هو. وليس من الجميل رؤيتها أو تذكرها. وبالرغم من هذا، أريد من كل الطغاة.. أو من هم على وشك أن يصبحوا طغاة وفي مركز قوة الآن، وسواء أكانوا «تقدميين» أو «رجعيين» أن يُبقوا صورة موسوليني هذه في براويز على طاولة جانبية إلى جانب أسرتهم، وأن ينظروا إليها كل مساء.

[نشرت المقالة في صحيفة La Republica في عام ١٩٨٣، بعنوان Cominciò un con cilindro («بدأ كل شيء مع القبعة المرتفعة»)].

ما وراء النجاح

بدأت الكتابة وأنا راشد، رغم أني كنت بعيداً كل البعد عن عالم الأدب؛ اشتغل والداي على تأقلم النباتات الغريبة في سان ريمو، وزراعة الأزهار والفاكهة، إضافة إلى دراستها للجينات. وكان الذي يترددون على منزلنا ينتمون إلى العالم التقني والعلمي. يمتلك كل من والديّ شخصية قوية. فلأبي شخصية عملية ونشطة، ولأمي شخصية دقيقة بصفتها عالمة، وكان كلاهما على دراية عظيمة في مجاله، وهو ما شكل لي أزمة نفسية ورهبة دائمَتيْن، ذلك لأني كنت أظن أني لن أتمكن أبداً من تعلم أي شيء منهما، وأنا نادم على ذلك. فكانت النتيجة أن اتجهت شيئاً فشيئاً للكوميديا، والمسرحيات الإذاعية، والسينما؛ باختصار، لقد كوّنت حساً تَخَيُّلياً لن يشغله إلا امتهان الأدب. ولو أن الأشياء المحيطة بي قد حفّزت ذلك التوجه، أو لو أني كنت أكثر جهوزية لاقتناص ذلك المحفز.. لربما كان بإمكاني إدراك أن مهنتي هي الأدب، ولكنت قد وجهت علاقتي بالعالم بشكل أفضل، لكني كنت بطيئاً خاصة في التعرف على ذاتي.

كانت سان ريمو مدينة عادية بين الحربين. مقارنة بمتوسط المجتمع الإيطالي، كان لا يزال في ذلك الوقت العديد من الأجانب، والذين وفروا جواً عالمياً كنت أتنفسه في طفولتي. ولكن، ومن ناحية أخرى، منحوها طابعاً إقليمياً، بعيداً عما كان يحدث في الثقافة الإيطالية في ذلك الوقت (والتي كانت على أي حال في فترة انغلاق، حتى في التمركزات الأكثر انتعاشاً). ولأكون صريحاً، كان تواصلي مع الأدب قد بدأ مع ذهابي للمدرسة. انتقلت بعدها للمدرسة الثانوية دون تحقيق أي علامات تشير إلى نُبوغي - عدا في اللغة

الإيطالية - وهي مادة كنت أنجح فيها بسهولة، وهذا العلامات جعلتني أدرسها بكل جدية. بالطبع كان بإمكاني تعلم المزيد من المدرسة، لكني أظن أن الجميع يمكنهم أن يقولوا ذلك. لم أتمكن من الاعتراف في ذلك الوقت بأن الأدب كان أكثر ما يثير اهتمامي. كان ذلك يعني التسجيل لدراسة تخصص الأدب في الجامعة، لكن الشيء الوحيد الذي عرفته عن كلية الآداب أنها كانت اختيار أولئك الذين يريدون أن يصبحوا معلمين في المرحلة الثانوية، وهي وظيفة لم تبهرني. كنت مشدوداً لما يطلق عليه «الصحافة»، لكن عالم الصحافة كان مرتبطاً بالفاشية في ذلك الوقت (أو هكذا بدا لي، وقد كان الواقع أشد بما أني لم أكن مدركاً لكل الأمور التي كانت تتخمر)، ولم أكن فاشياً بمزاجي ونشأتي، ولا أستبعد أني كنت لأصبح انتهازياً، لكني في تلك الحالة كنت أكافح لأكون على عكس طبيعتي؛ باختصار، لم أملك فكرة عما أريد فعله في الحياة.

سأتناول بشيء من التفصيل هذا التردد لأني أؤمن أن عدم الشعور بالأمان، وهذه الحيرة بشأن وظيفتي، قد سببا تأثيراً لاحقاً في حياتي، بمعني أني لم أقرر أن أكون كاتباً. ولو كنت في تلك الأيام قد قررت أن أصير كاتباً وأن أعبر نفسي من خلال الأدب، ربما لشعرت أنه كان يجب أن أصُب هذا النشاط العشوائي في شيء آخر، في مهنة بدت.. لا أعلم إن كان في عينيّ أو عيون الآخرين - كشيء مفيد - وعملي، وآمن.

لقد اخترت كلية الزراعة في تورين بعد حصولي على الشهادة الثانوية - اختيار قررته خلفية عائلتي العلمية - حيث كان يُدَرس أبي فيها - إلى قبل سنوات قليلة (تقاعد الآن) - مقررات عن الزراعة الاستوائية ورعاية الأشجار. وكان يدور في ذهني أنّي يمكن أن أزاول الكتابة إلى جانب مهنة حقيقية؛ فالمهنة الحقيقية ستقربني من الواقع وستجعلني أجوب العالم، مثل

والدي الذي أمضى قرابة عشرين عاماً من حياته في أمريكا الوسطى، وعاش وسط الثورة المكسيكية.

لم تنجح هذه المحاولة لإعادة ترتيب نفسي مع نهج العائلة، لكن الفكرة الأساسية لم تكن سيئة بتاتاً؛ لو أني استطعت البقاء مخلصاً لهدفي في الحصول على وظيفة إلى جانب الكتابة - كنشاط على هامش هذه التجربة الحياتية - كنت سأصبح كاتباً عاجلاً أم آجلاً، لكن إلى جانب شيء إضافي.

لقد سمح لي المناخ الجديد الذي ساد بعد التحرير بلقاء الدوائر الصحفية والأدبية. كان ذلك عندما قررت الانسحاب من كلية الزراعة والدراسة في كلية الآداب، لكن لأقول لك الحقيقة، لم أذهب كثيراً لتلك الكلية الجديدة لأن لم أكن صبوراً عندما صارت السياسة عنصراً حاسماً في اختياراتي. كان تأثير السياسة عظيماً على حياتي لمدة عشر سنوات تقريباً. باختصار، كان الحال قد تغير كثيراً في الخارج، ولكن من داخلي، كان لا يزال يتبع ذات الآلية؛ لم أكن متأكداً بعد من مهنتي ومن فرصي في أن أكون كاتباً. لقد حاولت وضع هذه الرغبة في خدمة نطاق أوسع وأمر أكثر وجوبية: الانضمام إلى تجديد إيطاليا من أنقاض الحرب والدكتاتورية.

وجدتني خلال المقاومة مع الشيوعيين كفلاح بسيط، وفي التحرير بدا لي الحزب الشيوعي الإيطالي أكثر الأحزاب مهنية وواقعية للمهام الفورية التي نواجهها. لم يكن لدي خلفية سياسية على أرض الواقع. وكانت الفكرة الوحيدة الواضحة التي لدي تحت الحكم الفاشي هي النفور من الشمولية والترويج لها. كنت قد قرأت كتب كروتشه وغويدو دي روجيرو Guido Ruggiero de، وكنت قد سميت نفسي ليبرالياً لبعض الوقت. ولكن من

ناحية أخرى، كانت ميول عائلتي اشتراكية إنسانية، وقبل ذلك ماتزينية.[1] إن مآسي الحرب، والحاجة للتفكير بمشاكل العالم، وارتباطها بعامة المجتمع، ودور الحزب الشيوعي في الصراع ضد الفاشية.. عناصر قد قادتني لأن أصبح عضواً في الحزب الشيوعي. أما المهام العملية لتشييد الأسس الديموقراطية بعد التحرير فوراً بعد الحملة على التجمع قد شغلتني تماماً، وخلال ذلك الوقت تعمقت فيّ فكرة معرفة الأيديولوجية أو قراءة كلاسيكيات ماركس التي ظننت أنها ستكون إضاعة وقت بالنسبة لي.

وإلى جانب حياتي كمقاتل عسكري (والتي كانت تعتمد بشكل كبير على قريتي والناحية المحيطة بها)، بدأت العمل لدى إعلام الحزب؛ قمت بمسح إحصائي، ومراجعات وكتابة قصص قصيرة، (لعدد جينوا من جريدة l'Unita في البداية، وكنت مجهولاً في كل منها). ومع عدد تورين، كنت قد استقريت في المدينة، وكانت لدي أقرب العلاقات، وعملت أيضاً لبعض الوقت (بين ١٩٤٨ و١٩٤٩) كمحرر للصفحة الثقافية. ولكن لاحقاً أيضاً، وفي السنوات المريرة قرابة عام ١٩٥٠، أرسلتني l'Unita من وقت لآخر لأكتب مقالات عن المصانع في فترات النكبات، والاحتلالات، واللحظات الحرجة. وبهذه الصفة تتبعت أخبار احتلال مصنع فيات في يوليو ١٩٤٨، وقمع اتحادات التجارة، ونكبات مزارعي الأرز في إقليم فيرسيلّي.

التقيت بعالم الصحافة بطريقة تختلف عن الطريقة التي تمنيتها وأنا فتى. لقد تلقيت تدريباً متعباً، فعلى سبيل المثال، حاولت إضفاء لون محلي على تغطيات المؤتمرات أو المعارض. كانت هذه عادة الصحف في ذلك الوقت، والتي استمرت إلى حد معين بعد ذلك، لكن ذلك يتم الآن بذهن أكثر انفتاحاً، بينما كانت تعتبر في تلك الأيام نوعاً من أدب الدرجة الثانية. أتذكر أن كتابة

---

1 – نسبة إلى جويسيبي ماتزيني. (المترجمة)

التقارير لصحيفة L'Unita في البداية قد وقع على عاتق الشاعر ألفونسو غاتو أساساً، ثم على عاتق صديقي العزيز ومعلمي، لكنه كان يعرف كيف يستمتع بهذا العمل، تغطية الرحلات الإيطالية، على سبيل المثال.

لكن هذه المرحلة الصحفية السياسية كانت عنصراً ثانوياً في سنوات التدريب. ففي عام ١٩٤٥ كنت قد بدأت أنجذب إلى دار أينودي للنشر والتوزيع. وبينما كنت لا أزال في سان ريمو، كنت أذهب عادة إلى ميلانو لأرى إليو فيتوريني ومحرري Il Politecano ، وإلى تورين حيث رحّب بافيزي الفظ بصداقة صارت بالنسبة لي قيمة شيئاً فشيئاً في سنوات حياته الأخيرة. أما صداقتي مع جوليو أينودي - والتي استمرت لأربعين عاماً حتى الآن ! فقد كانت صداقة مهمة جداً بالنسبة لي، لأني كنت قد التقيت به في ميلانو في أواخر عام ١٩٤٥ وقد اقترح فوراً بعض الأشياء التي يجب علي فعلها. في تلك المرحلة كان جوليو قد اقتنع أنه لدي أنا أيضاً مهارات عملية، وتنظيمية واقتصادية، بمعنى أني كنت أحد المثقفين الجدد الذين يحاول رعايتهم. وعلى أي حال، كانت لدى جوليو مَلَكة جعل الناس يفعلون ما لم يعرفوا كيفية فعله.

وفي فترة ما بعد الحرب - والتي كانت بالنسبة لي مثل المجيء مجدداً في الحياة - بدأت بإنجاز بعض الأعمال البسيطة لدار أينودي، وتحديداً في كتابة ملاحظات الإعلانات، والمقالات لأرسلها إلى الصحف المحلية للترويج للكتب الجديدة، وكتابة تعريفات بسيطة عن الكتب الأجنبية وعن مخطوطات الكتب التي كانت قد وصلت إلى الدار. وفي ذلك الوقت أدركت أن بيئة العمل التي تناسبني لا يمكن أن تكون في أي مكان آخر غير دور النشر، بل وفي دور النشر التي في الطليعة، وسط أناس لهم آراء سياسية متباينة ويخوضون نقاشات محتدمة الوتيرة، ومع ذلك هم ودودون مع

بعضهم البعض. كنت أقول لنفسي: سواء أكنت كاتباً أم لا، سأحظى بمهنة شغفتني حباً، وسأعمل مع أكثر الناس تميّزاً. إن التوازن الذي كنت أسعى وراءه حتى ذلك الحين بين الحياة المهنية والأدب، وجدته في مجال قريب جداً من الأدب، ولكن لا يطابقه تماماً، من المُسَلم به أن أينودي تنشر الأدب، ولكنها تنشر أيضاً كتب التاريخ، والسياسة، والاقتصاد، والعلوم مما منحني انطباعًا أنّي في مركز أشياء عديدة.

وبعد مرور فترة من عدم التيقن من الإقامة في ميلانو أو تورين، اخترت تورين، كي أصاحب وأتعاون مع جوليو أينودي وأشخاصاً آخرين عملوا معه وكانوا أكبر مني: تشيزاري بافيزي، فيليتشي بالبو، نتالي غينسبيرغ، ماسيمو ميلا، فرانكو فينتيوري، باولو سيريني وكل الآخرين الذين في أرجاء إيطاليا والذين عملوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مع أينودي. وأصبحت بلا شك على ود مع كتاب الجيل الجديد والذين يشبهونني عندما بدأت العمل في دور النشر.

أمضيت حتى الآن خمسة عشر عاماً من حياتي وأنا أعمل محرراً، وخلال ذلك الوقت، كرست جهداً أكبر لكتب الآخرين بدلاً من كتبي. باختصار، لقد نجحت فقط في إقامة عازل بيني وبين هدفي في أن أصبح كاتباً، حتى ولو بدا أني في أفضل بيئات العمل.

لقد صدر كتابي الأول **الطريق إلى بيوت العناكب** في عام ١٩٤٧، وهو عبارة عن رواية مبنية على خبرتي كمقاتل في الحرب. لقد نالت نصيبها من النجاح رغم أنها الرواية الأولى لكاتب غير معروف. بيع منها ٣٠٠٠ نسخة في وقت قياسي، وكانت هناك طباعة فورية لألفي نسخة أخرى. لم يقرأ أحد في ذلك الوقت رواية إيطالية خيالية، ولكن أينودي آمن بروايتي ونشرها. حتى أنه قد وزّعها في المكتبات مع ملصق عليه صورتي وأنا أمشي ويداي في

جيبي، وكانت هذه أمور لم تحدث من قبل في ذلك الوقت. باختصار، نلت نجاحاً فورياً، لكني لم أكن أدرك ذلك، لأننا لا نتحدث بهذه الطريقة ولم تكن هذه المصطلحات موجودة. على أي حال، لم أكن شخصاً يسمح للنجاح بأن يصيبه بالغرور، لقد كتبت ذلك الكتاب وجعلت الناس يقرأونه، ولكن من يعلم إن كنت سأتمكن من فعل ذلك مع كتابي الثاني؟ واصلت الإيمان بأن القُرّاء هم الكُتّاب الحقيقيون.

لقد حاولت في الحقيقة كتابة رواية ثانية ولكن دون جدوى. فالأصدقاء الذين أريتهم منجزي لم يعجبوا به. وفي عام ١٩٤٩ نشرت كتاباً فيه قصص قصيرة، وكعادة المجموعات القصصية لها الحق في ١٥٠٠ نسخة، وهو عدد يكفي للتأكد من أنه سيصل للنقاد والمجموعات الصغيرة من القراء الذين كانوا يبحثون عن الخيال الإيطالي في ذلك الوقت.

لقد حصلت على رأي نقديّ عام فور صدور كتابي الأول (بمن فيهم نقاد لهم ثقلهم في هذا المجال). يمكن القول إن كل شيء كان سهلاً جداً لي من البداية، عدا أنه كان يتوجب علي العمل طوال اليوم في المكتب. حتى أنه لم يكن علي تسجيل وقت حضوري للعمل. ومن أجل أن أكتب كان علي الانقطاع عن العمل، ولم يرفض أينودي ذلك قط.. وهذا من ضروب الحظ.

أما الكِتاب الذي أبرز وجودي الأدبي فهو **الفيكونت المشطور**، وهو عبارة عن قصة في مئة صفحة نشرته دار فيتوريني في سلسلتها التجريبية I Gettoni، في عام ١٩٥١، كان العدد للمتخصصين عملياً، لكنه نال استحسان النّقاد، وأشار إليه Cecchi Emilio والذي كان يتحكم بالذائقة الإيطالية في الأدب في ذلك الوقت. ومن تلك النقطة فصاعداً، كان هناك توجه عام للإشارة إلى عملي الأدبي، والذي يمكن أن نسميه خيالاً علمياً، والذي أود استبداله بقصص أكثر واقعية.

ونَشرت في عام ١٩٥٧ **البارون فوق الأشجار**، وتلى ذلك فوراً (وربما قبلاً، لا أستطيع التذكر) **حكايات شعبية إيطالية**، وهو عمل ضخم كلّفني الناشر بإنجازه. وفي عام ١٩٥٨ نشرت مجموعة قصصية Racconti ، وهي عبارة عن مجلد ضم كل القصص القصيرة التي كتبتها حتى ذلك الحين. وباختصار، بت أستطيع تحمل تكاليف نشر قصص كانت تسمى بالقصص القصيرة في ذلك الوقت.

أكانت تلك هي المرحلة التي يمكنني أن أقول عن نفسي إني كاتب متمكن؟ لقد مضت عشرة أعوام على كتابي الأول، ويمكنني القول إن عشر سنوات هي الوقت الذي يحتاجه المرء ليواصل النشر بانتظام وليعرف إذا كان سينجح أم لا. ولم أعد أسأل نفسي هذا السؤال عندما وصلت إلى ذلك الوقت. هل سأكون كاتباً أم لا؟ بما أن الناس قد اعتبروني كذلك. حتى حقوق الملكية - رغم أنها لا تسد قوت يومي - صارت جزءاً أساسياً من ميزانيتي القليلة. لدرجة أنه فور بلوغي الأربعين تركت العمل الكامل في دار نشر أينودي، لكني بقيت مستشاراً.

إن الحواجز التي شَيَّدتها من حولي منعتني من اعتبار أن الكتابة هي مهنتي طالما أن وظيفتي الأساسية كانت تنهار. لقد ذكرت أن عملي التحريري قد واصل إثارة اهتمامي، لكن باستقلالية، ويمكن قول ذلك عن السياسة، ليس لأني قد صرت أقل اهتماماً بها، بل لأني قد وصلت تدريجياً لمرحلة (أن تصل متأخراً، خيراً من ألا تصل أبداً). وتملكتني الرغبة في الافصاح عن موقفي المستقل أمام كل القوى الأيديولوجية والحزبية. فأعلنت عام ١٩٥٧ استقالتي من الحزب الشيوعي في رسالة مفتوحة بعد النقاشات والخلافات التي كانت في عام ١٩٥٦.

كانت الصراعات السياسية الإيطالية هي ما أبقتني مخلصاً للحزب في

بداية النضال، لكن كان لدي دائماً تحفظات ضد «النموذج الروسي» وعن الطرق التي فُرضت فيها هذه الديموقراطيات، وكلها كانت موضوعات لم يتمكن الشيوعيون من مناقشتها (في حال كنت تلعب لعبة العدو). وتمردت أخيراً عندما كانت هناك مناقشات في موسكو، ووارسو، وبودابست. كنت أحد هؤلاء الذين آمنوا أن لحظة الحقيقة قد حانت. فحاولت المشاركة مع رفاقي في أينودي في النقاش الذي كان يجتاح جناح اليسار في الغرب، لكن لم أشعر أنه بمقدوري التراجع وتقبل حملة القمع من جديد.

كانت هذه فرصة غير مؤلمة كونها قد حدثت في وسط التعديل الوزاري لليسار الإيطالي، حيث شعر الجميع بحاجتهم إلى مراجعة قناعاتهم وتبني هوية سياسية محددة. وعند تلك المرحلة، لم أكن قادراً بعد على تحديد موقعي من هذه الصورة. وهنا فقط بدأت في إدراك ماهِيّة الشيوعية، والاشتراكية، والماركسية. كنت أميل إلى استعراض المشكلات على أساس يومي وترك الأسئلة العامة جانباً عندما انضممت إلى الحزب. حينها كنت قد شهدت على مواقف - في نقدهم للشيوعية الرسمية - تُعرّف على أنها إصلاحية، كما شَهِدت على الذين جاؤوا «من اليسار» وتوقعوا انكشاف غُمّة الصراع الاجتماعي في إيطاليا والعالم. ولفترة من الوقت لم أكن على وفاق مع هذا الجانب أو ذاك؛ بدا لي أن الإصلاح يقود المرء للتعامل بشكل روتيني مع العلاقات السياسية والإدارية الحالية - والتي قد تبدو أساسية - لكنها لم تثر اهتمامي قط (ولذلك، فبعد مساندة أنطونيو جوليتي في وقت إقصائه من الحزب الشيوعي الإيطالي وفي أولى مبادراته الثقافية بعد ذلك، لم أتبعه إلى الحزب الاشتراكي. أما بالنسبة للميول الثورية والمتعنتة (سواء أكان يساندها العمال، أو النموذج الصيني أو من يطلقون على أنفسهم «ثالث-العمال»)، فإن اعتراضي كان أساساً على أسلوبهم الجامد، وتسليمهم الأعمى،

وتكشفهم، وعقلية «كلما ساء الوضع، صار أحسن»، جعلني أكون فكرة واضحة عنهم بيني وبين رفاقي الذين كنت أقدرهم ثقافياً.

إذن، ففي عالم اليسار الإيطالي والذي وجدت فيه أني في موقف أعزل بشكل طبيعي، و «عدم الانتماء سياسياً» والذي أصبح جلياً مع مرور الوقت، شجعني ميلي الطبيعي إلى الصمت، كلّما سمعت الكلمات الرنانة والأحاديث الفخمة من حولي.

وبدلاً من ترسيخ ما كان اعتقادي الدائم، أن ما يهم هو تعقيد الثقافة في تطوير نواحيها الملموسة، في الأشياء التي ينتجها العمل، في مناهجها التقنية لإنجاز الأشياء، في التجربة والمعرفة والأخلاق، في القيم التي صارت معروفة من خلال العمل التطبيقي. وباختصار، كانت فكرتي هي المشاركة في بناء سياق ثقافي قادر على تحقيق احتياجات إيطاليا الحديثة، والتي يكون للأدب فيها قوة أكبر. وعلى هذا الأساس، جددت وقويت علاقتي بإليو فيتوريني وأسّسنا معاً Menabò Il، وهي صحيفة تصدر بضع مرات في السنة، بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٦، والتي تابعت أو توقعت التغيّرات التي حصلت في الأدب الإيطالي، وفي الأفكار، وتطبيقها.

لقد أخضع فيتوريني عمله لمعركة أكبر يشيد فيها أسس الأدب الإيطالي في سياق الصورة الثقافية الكلية، لدرجة تضحيته بنشاطه الإبداعي من أجل هذه المعركة، أي تلك الكتب التي كان من الممكن أن يكتبها. كانت لديه قرارات عظيمة في الأفكار المختلفة التي آمن بها وكان نضالياً، وهذه صفات لم أمتلكها. وبوفاة إليو في عام ١٩٦٦ انتهى ذلك النوع من النشاط بالنسبة لي. لكن الواجب الأخلاقي لهذا الكاتب الذي كان مختلفاً جداً عن أي كاتب آخر أثّر فيّ كثيراً، بمعنى أنّي طالما احتجت إلى تبرير كتابتي لأي كتاب بمعنى أن هذا الكتاب قد يكون عملية ثقافية في سياق أكبر.

لكن الآن، مرة أخرى، وجدت شيئاً أفضله على الكتابة، أي حاجتي لفهم العملية الإبداعية في السياق الثقافي الراهن لأكتب عن شيء لم يجرب أحد الكتابة عنه مسبقاً، وفيه أستعرض تطوراً أكبر لاحتمالات التعبير الأدبي. أريد بشدة أن أكون أحد أولئك الكتاب الذين لديهم شيء واضح في ذهنهم ليقولوه، ويروجون لهذه الفكرة في أعمالهم. أود أن أكون كذلك، لكني لم أكن. إن علاقتي بالأفكار معقدة وإشكالية. أفكر دائماً في إيجابيات وسلبيات كل شيء في كل مرة أحاول فيها بناء صورة معقدة. ولهذا السبب قد تمر السنوات دون أن أنشر أي شيء، أو أن أعمل لسنوات على مشاريع كتابية تنتهي دائما بكارثة.

ولذلك فأنت ترى أن إجراء مقابلة معي في موضوع النجاح أشبه بإزالة اللحاء عن الشجرة الخطأ، لأن الكاتب الناجح هو الذي يؤمن بنفسه بشدة، وفي خطابه، وفي الفكرة التي في رأسه، ويعبُر طريقه وهو متأكد من أن العالم سيتبعه، أما أنا فنقيض ذلك لأني أشعر دائماً بالحاجة إلى تبرير حقيقة أني أكتب، وأنّي أفرض على الآخرين شيئاً مصدره رأسي، وهو شيء لست متأكداً منه وغير راضٍ عنه. لا أجري الآن مقارنة أخلاقية، حتى الكاتب المتأكد من حقيقته قد يُعجب به أخلاقياً وحتى بطولياً، والشيء الوحيد الذي لا يثير الإعجاب هو استثمار النجاح من خلال مواصلة تحقيق توقعات العامة بطريقة واضحة. لم أفعل هذا إطلاقاً، رغم أني كنت أعرف أن ابتكاراتي قد تسبب فزعاً لدى القراء وقد أخسر جزءاً منهم.

أبلغ الستين من العمر الآن، وقد أدركت أخيراً أن واجب الكاتب هو بكل بساطة أن يفعل ما يعرف فعله: الحكواتي يجب أن يقص القصص، وأن يصورها، وأن يبتدعها. ولسنوات عدة وضعت أساسيات توضح كيف للمرء أن يكتب، ما فائدة التبشير بنوع معين من الأدب دون غيره، إن كانت

الأشياء التي سوف تكتبها قد تختلف اختلافاً كلياً؟ لقد احتجت وقتاً طويلاً لأدرك أن الذي يهم هو ما حققته فعلاً وليس ما كنت أنوي تحقيقه. وهكذا أصبح عملي الأدبي هو البحث عن ذاتي.. ومحاولة فهم من أنا.

لاحظت أني قد تحدثت قليلاً عن المتعة التي أستشعرها أثناء الكتابة: لن أكتب شيئاً جيداً، ما لم أختبر شيئاً من المرح أثناء كتابته، وهذا يعني القيام بأشياء جديدة بالنسبة لي. وما الكتابة بغير هذه الطريقة إلا ملل وانشغال انعزالي. يسيطر علي حزن لا نهائي إذا كررت نفسي. ويجب أن أذكر بلا شك أن حتى أكثر صفحة كتبتها باسترسال قد كلفتني جهداً عظيماً. وشعوري بالراحة، والرضا لا يكون إلا فيما بعد، بعد الانتهاء من الكتاب. لكن ما يهم هو أن يستمتع القراء.. لا أنا.

أظن أنّي قد تمكنت من الحفاظ على قُرائي، حتى لو كتبت شيئاً جديداً. لقد عودت قرائي على توقع الجديد مني: هم يعلمون أن الوصفات التي تم طهيها لا ترضيني، وأني لا أستمتع أبداً إن كررت نفسي.

لا تنتمي كتبي إلى قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، تلك الكتب التي يباع منها آلاف النسخ بمجرد صدورها ثم تنسى في السنة التالية. وأكبر رضا لي هو أن أرى كتبي معاد طبعها كل عام، بعضها يطبع منه خمسة عشر ألف نسخة في كل مرة.

ما زلت حتى الآن أتحدث عن إيطاليا، لكن يندرج تحت موضوع هذه المقابلة التحدث عن كيف يمكن للكاتب الإيطالي أن يكون معروفاً أيضاً خارج إيطاليا. تتغير صورة الكاتب بكل تأكيد، ذلك لأنه يُرى بمجموع أنشطته، في سياق ثقافةٍ تكونها مكونات كثيرة، وإحالات مرجعيةٍ عديدة، بينما لا يصل في الخارج لهم إلا ترجمات كتبك، كحجر نيزكي طور النقاد والقراء فكرتهم عنه من الكوكب الذي جاء منه. لقد بدأت ترجمة أعمالي في

الدول العظمى نحو أواخر عام ١٩٥٠، وكانت فترة تُترجم فيها الأعمال بشكل أكبر مما هي عليه الآن، ربما لأن هناك ترقباً أكبرَ لما قد يظهر. لكن ترجمة أعمالي لا يعني أنها ستُقرأ بشكل صحيح. إنه إجراء روتيني. حتى في الخارج يطبع من الرواية المترجمة عدد قليل من النسخ، ويكتب عنها مراجعات مؤدبة في الصحف، ثم يبقى الكتاب بضعة أسابيع في المكتبات فيختفي بعدها، ليظهر مجدداً وبنصف سعره، بعدها يُسحب من الأسواق. وهذا ما يعنيه الانتشار العالمي غالباً. وهو ما حدث لي لوقت طويل. حقيقة أن «توجد» ككاتب خارج بلدك صرت على دراية به في السنوات العشرة الماضية، وهو مرتبط ببلدين تحديداً: فرنسا والولايات المتحدة.

في فرنسا، صرت «موجوداً» بالفعل عندما نشرت Livres de poche شيئاً لي، تلاها نشر أشياء أخرى في السلاسل الورقية لدى دور نشر أخرى. وبدأت فجأة بالالتقاء بفرنسيين كانوا قد قرأوا كتبي، وهو شيء لم يحدث مسبقاً. رغم أن الكثير من الناس قد سمعوا باسمي. أما اليوم، فكل كتبي يعاد طبعها باستمرار، ويتوفر عدد منها بتغليف ورقي، ولهذا أريد أن أقول إن نجاحي في فرنسا يعود بشكل أساسي إلى القراء المجهولون أكثر من النقاد.

أما في الولايات المتحدة فيمكنك أن تقول إن ما حدث هو العكس؛ لقد انتشر اسمي في البداية بفضل بعض «صناع الرأي» (مثل غور فيدال: ويمكن أن تقول إنه هو من نشر اسمي)، أما كتابي الذي صار رائجاً فهو بعيد جداً عن ذائقة القراءة الأمريكية: **مدن لا مرئية**. ولا زلت أُعتبر حتى الآن في الولايات المتحدة كاتب **مدن لا مرئية**. ويبدو أنه كتاب قد نال على حب الشعراء، والمعماريين، والطلاب بشكل عام. ويعاد طباعة كل كتبي في طبعات تجارية ورقية، وهو تصنيف متوسط يصل لعدد هائل من عامة الطلاب القرّاء. لكن عندما تُرجم كتاب **حكايات شعبية إيطالية** بنسخة

غير مختصرة - بعد خمسة وعشرين عاماً من الطبعة الأصلية - اعْتُبِر النجاح المفاجئ ظاهرة «جماهيرية».

ويمكنني في هذه المرحلة خلق مشكلات جديدة لنفسي، بمعنى أن أفكر في كيفية اتخاذ موقعي في عالم الأدب. ولكن لأكون صريحاً، طالما فكرت في الأدب في سياق أشمل من السياق الوطني البحت، وهذا لم يشكل لي مشكلة بتاتاً. لم تجعلني حقيقة أني كاتب إيطالي أشعر بأني يجب أن أوضح كيف ولماذا لم أكن أي شيء آخر عدا أن أكون كاتباً يجب أن ينغمس في الأماكن الدارجة التي يتوقعها الأجانب من الإيطالي. وباختصار، لربما قد حان الوقت بالنسبة لي لأتقبل نفسي كما أنا، وأن أكتب كيفما شئت، كتذكير بالحياة المتبقية لي، أو أن أتوقف عند هذه المرحلة إن لم أجد ما أكتبه.

[مقابلة مع Froio Felice، نشرت في مقال «ما وراء النجاح». (يوميات واعترافات أهم الأشخاص في عصرنا: ما السر وراء نجاحهم؟) (ميلانو، ١٩٨٤)].

أود أن أكون مركيوتشيو...

أود أن أكون مركيوتشيو. فمن بين خصاله، أنا معجب بخفته.. في عالم مليء بالهمجية، وخياله الحالم - كشاعر للملكة ماب - ومعجب في ذات الوقت بحكمته.. كصوت للمنطق وسط كراهيات متناجيو وكابيوليت المتعصبة. لا يزال متمسكاً بعادة للفروسية مقابل حياته، لربما فقط من أجل شكله الخارجي، ومع ذلك فهو رجل معاصر، مشكك وساخر؛ إنه دون كيخوتي الذي يعرف جيداً ما هي الأحلام وما هو الواقع، ويعيش فاتحاً عينيه بشكل واسع.

[Review Book Times York New The] ٢ ديسمبر ١٩٨٤ ، ونشرت أصلاً باللغة الإنجليزية

نيويورك هي مدينتي

كيف تطور لقاؤك الأول بالثقافة الأمريكية، وتحديدًا علاقاتك بأدبه، بدءاً من روايات هيمنغواي إلى فوكنر؟

من ناحية تطوري والذي بدأ في عام ١٩٤٩، بدأت اكتشاف الخيال العلمي الأمريكي أساساً عندما كنت قارئاً متواضعاً، وهو ما فتح لي أفقاً كبيراً على الأدب الإيطالي. ولذلك السبب، وعندما كنت شاباً، كان الأدب الأمريكي مهماً بلا شك، حيث كنت قد قرأت كل الروايات التي وصلت إلى إيطاليا في تلك الايام. بدأت بقراءتها رغم أني ريفي، لقد عشت في سان ريمو، وكنت طالباً في كلية الزراعة، ولم يكن لدي أي خلفية أدبية. صرت صديق بافيزي وفيتوريني لاحقاً. لم أتعرف على بينتور[1] قط، لأنه توفي في الحرب. كنت «إنساناً جديداً»؛ بدأت السفر دون صعوبة بعد انتهاء الحرب فقط.

صحيح أن هيمنغواي كان أحد الذين تأثرت بهم، ربما هو أسهل من فوكنر من ناحية أسلوبه، ففوكنر معقدٌ جداً. وتأثرت كتاباتي الأولى بهيمنغواي حتماً. لقد ذهبت في الحقيقة لمقابلته في فندق ستريسا، في عام ١٩٤٨ كما أظن، وخرجنا لصيد السمك على قارب في البحيرة.

نظراً لنتاجك الأدبي الضخم والمختلف، لا يسهل دائماً تعقب الروابط الممكنة والتي تربطها بهذا الكاتب أو ذاك والتركيز عليها. فما الأعمال

1- Pintor Giame: (1919-1943) كاتب ورئيس النضال. لعب دوراً بطولياً في الدفاع عن روما ضد الألمان في سبتمبر 1943. ونشر له كتاب (دم أوروبا) 1950.

الكلاسيكية التي تفضلها في الأدب الأمريكي؟

أنا في البداية كاتب قصص قصيرة أكثر من كوني روائي، ولهذا فإن مجال قراءتي الوحيد والذي أثر فيّ حتماً منذ نعومة أظفاري ‖ إن شئت أن تقول ذلك ‖ وليس في السياق الأمريكي فقط، بل بشكل مطلق.. هو إدغار آلان بو، بما أنه كاتب متمكن من القصة القصيرة. وهذا يشمل كونه كاتباً لا حدود لقدراته، كما أنه يبدو لي شخصية خرافية، وبطلاً من الأدب، بطلاً ثقافياً، أوجد كل الأنواع الأدبية التي كان من الممكن أن تنشأ بعده.

ولهذا السبب، يمكن للمرء أن يتتبع الروابط بين بو، وبورخيس أو كافكا مثلاً، يمكنك أن تتبع روابط لن تنتهي. حتى بالنسبة لكاتب استثنائي مثل جورجيو مانجانيللي - هو حتماً أحد أبرز الكتّاب البارزين في السنوات الأخيرة ‖ ورغم أنه مختلف جداً عن بو، إلا أني قد اكتشفت أنه هو أيضاً كان على تآلف مميز مع بو. ولهذا السبب أظن أن حضور بو معاصرٌ جداً. وبما أنّي لا زلت في موضوع الروابط مع الكتاب الأمريكيين الكلاسيكيين، يمكنني أن أشير إلى اسميْ هوثورن ومارك توين. أما الأخير، فأشعر أني قريب منه بلا شك، وتحديداً فيما يمكن أن نطلق عليه نواحيه الحمقاء و «الساذجة».

دعنا نواصل تعقب علاقتك هذه بالمجتمع والأدب الذي كان بالمقابل يتغير، وتتفتح فيه تجارب جديدة مقارنة بتلك التي ألهمت جيل الثلاثينيات وجيل الأربعينيات.

من الطبيعي أن يتغير المجتمع الأمريكي، عند الخمسينيات، بعد موت بافيزي. ولكن عند أواخر الأربعينيات لاح هذا التغيير في الأفق. أتذكر عندما بدأ بافيزي بقراءة الكتب الجديدة التي كانت تصل إلى هنا بعد الحرب ‖ كان هناك سول بيلو وروايته الأولى **الرجل المتأرجح** ‖ وأتذكر أن فيتوريني قد قال أيضاً: إن هؤلاء كالكتاب الأوروبيين، لكنهم أكثر ثقافة.. وغير مُهمين

بالنسبة لنا.

لقد حدثت نقلة مختلفة تماماً في الأدب الأمريكي - عندما ذهبت لأول مرة إلى الولايات المتحدة كبالغ - تتعلق بالصورة الأسطورية لكُتاب سنوات ما بعد الحرب الأولى، والذين كانوا لا يزالون يسمون بـ كُتاب «الجيل الضائع». وفي هذا الوقت كانت شخصية مثل هنري ميلر أكثر أهمية من هيمنغواي، الذي لم يعد يشغل أحد. وهكذا، تغيرت الأمور جذرياً؛ إن كنت تريد أن ترى الآن العلاقات التي كانت بين كتاب جيلي كلا من الإيطاليين والأمريكيين فيمكنك إجراء بعض المقارنات. من يكافئ نورمان ميلر على سبيل المثال؟ ونظراً لبعض الجوانب المستفزة، قد يكون بازوليني هو المنشود، رغم أن شخصية نورمان ميلر لا زالت تشبه هيمنغواي كثيراً، الذي كان مرتبطاً بذلك النوع من الكتاب.

وصلنا إلى الوقت الراهن، إلى وقت لم يعد من الممكن فيه النظر إلى أمريكا من ناحية أنها بربرية، ولا حتى إلى الكاتب الأمريكي على أنه فظ، وعنيف، ومُتَرجِم لا يعكس الواقع.

يجب التمعن في هذا الأمر ملياً: إن صورة أمريكا البربرية، والمليئة بالطاقة الجوهرية، لم تعد موجودة حتماً. إن الكاتب الأمريكي وعلى عكس ما يحدث أو حدث في إيطاليا بما أننا لا زلنا نتحرك نحو ذلك الاتجاه يعمل في الجامعة ويكتب روايات عن الحياة الجامعية، وعن الشائعات التي تحيط بالعلاقات الغرامية بين الأساتذة، والتي هي ليست العالم الأكبر وليس فيها شيء مثير للاهتمام، لكن هذه هي الحياة، إن الحياة في المجتمع الأمريكي بهذه الصورة.

أي جوانب الأدب الأمريكي في عالم اليوم تبدو لك أكثر أهمية، وما أهم الشخصيات؟

في الوقت الراهن، في الأدب الأمريكي، أنظر أحياناً بغبطة لأولئك الكتاب الذين يعرفون كيف يقتنصون فوراً شيئاً من الحياة المعاصرة [ليستخدموه] في رواياتهم، والذين يملكون أسلوباً ثرثاراً وساخراً مثل سول بيلو. لا أجيد فعل هذا النوع من الأشياء. إن في الأدب الأمريكي روائيين قادرين على كتابة رواية كل عام، وقادرين على منح نكهة للعصر. أنا أغبطهم بشدة.

أنا منسجم مع نابوكوف بلا شك. إنه شخص لديه آراء استثنائية، وقسوة كبيرة. إنه أحد الكُتاب العظماء حقاً.

من خلال الطريقة التي تطورت فيها أحدث رواياتك ‖ «لو أن مسافراً ذات شتاء» وحتى «السيد بالومار» - قد يظن المرء أن هناك رابطاً بينك وبين من أسسوا ما بعد الحداثة.

بالطبع، لدي أيضاً علاقة بما يمكن أن يُعرف بالحركة الطلائعية الأمريكية. أنا شخص يتردد كثيراً على فصول الكتابة الإبداعية، وأنا أخشى من جون بارث، وهو كاتب بدأ برواية اسمها **نهاية الطريق**. وبعد كتابه هذا والذي لنا أن نطلق عليه كتاباً «وجودي»، صار بارث معقداً شيئاً فشيئاً بأعمال ذات بنية معقدة. إنه - ورغم عدم قراءة أي أعمال أخرى له بغير الإنجليزية - سفير أمريكي للأدب الأوروبي الحديث. وبغض النظر عن بارث ودونالد بارثلم وتوماس بينشون، هناك كُتّاب آخرون أتابع أعمالهم كما أني صديقهم أيضاً.

وفي الختام، ما الذي يعنيه التقاؤك بأمريكا ككتلة فيزيائية من ناحية العواطف الشخصية؛ دولة أمريكا، كالتي تم تصويرها في الأفلام والروايات، والمدينة الحقيقية، والتي هي رمز أمريكا اليوم؟

من ناحية الأدب، أنا ذاتي التعلم نوعاً ما. لقد بدأت متأخراً وكنت أرتاد السينما لعدة سنوات، حيث كان بإمكاني مشاهدة فيلمين في اليوم، وكانت

أفلاماً أمريكية. كنت على انسجام وثيق كمُتفرج بالسينما الأمريكية، لدرجة أن السينما تبقى أساساً سينما أمريكية.

أما لقائي بأمريكا فكان تجربة مذهلة بحق: إن نيويورك إحدى مدني المفضلة. وفي الواقع، لا تزال هناك في الستينيات قصصاً قصيرة في **كوميديا-كونية، والوقت والصياد**، وقعت أحداثها في نيويورك. وعلى الجانب الآخر من المحيط الأطلنطي أشعر أن جزءاً كبيراً من الإيطاليين يذهبون إلى أمريكا بسهولة كبيرة - هنالك الملايين والملايين منهم الآن - وليس من تلك الغالبية التي ظلت في إيطاليا. ربما لأن في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى أمريكا، مع والدي، كنت أبلغ عاماً واحداً. وعندما عدت إلى أمريكا لأول مرة راشداً، كانت لدي منحة من مؤسسة فورد خوّلتني للذهاب في أرجاء الولايات، دون التزام. وقمت بهذه الرحلة حتماً، مسافراً نحو الجنوب، وإلى كاليفورنيا، لكن شعرت أني نيويوركي: نيويورك هي مدينتي.

[أجرى المقابلة Rubeo Ugo، في باليرمو، سبتمبر ١٩٨٤. لم يكتب كالفينو العنوان]

مقابلة أجرتها ماريا كورتي

من هم الكتاب الذي أثروا في تطورك ككاتب؟ وهل هناك عنصر مشترك، أي شيء يجمعك بأولئك الذين تفضل قراءة أعمالهم بشدة؟

تريدين أن أذكر بعض الكتب التي قرأتها كشاب والتي كان لها تأثير يُشعر به في كتاباتي اللاحقة، سأقول فوراً Nievo Ippolito في كتابه Le confessioni di un ottuagenario [1] وهي الرواية الإيطالية الوحيدة التي تعود للقرن التاسع عشر وفيها سحر روائي ويمكن مقارنتها بالآداب الغربية. إن فصلاً من روايتي الأولى **الطريق إلى بيوت العناكب** استلهم من لقاء كارلينو وسباكافومو. والجو العام في **الفيكونت المشطور** يذكر بإبهام بقلعة فراتّا. **والبارون فوق الأشجار** تجديد لرواية الكاتب نيفو حول حياة البطل كله، وتغطي ذات الفترة التاريخية، التي تعود إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتتحدث عن ذات البيئات الاجتماعية، علاوة على أن البطلة في روايتي شَكّلتها لابيزانا.. بطلة نيفو.

بدأت الكتابة عندما كنت شاباً قليل القراءة، ولهذا فإن محاولة إعادة بناء المكتبة التي أثرت فيّ يعني العودة فوراً إلى كتب طفولتي؛ كل قائمة قراءة يجب أن تبدأ كما أظن، بـقصة **بينوكيو**.. والتي طالما اعتبرتها نموذجاً للرواية، حيث إن كل دافع يتم استعراضه يعود بإسقاط نموذجي وواضح على الواقع، وكل فصل له دور وضرورة في تصميم الحبكة الكلية، ولكل

---

1 – (اعترافات ثمانيني).. لكن هذه الرواية ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بعنوان اعترافات إيطالي. (المترجمة)

شخصية بناء بصري واضح وطريقة واضحة في الكلام. وإن كان يجب التعرف على الامتداد من بداياتي لنقل من عمر ست إلى ثلاث وعشرين عاماً فإنه يبدأ بقصة **بينوكيو** وينتهي برواية كافكا **أمريكا**، وهو كتاب آخر مهم في حياتي، حيث اعتبرته دائماً «الرواية» par excellance في عالم أدب القرن العشرين، ولربما ليس في ذلك القرن فقط. ويمكن تعريف العنصر الموحّد لإعجابي بالروايات بالتالي: مغامرة وانعزال شخص فُقد من هذا العالم الخارجي الشاسع، بينما يتحرك نحو عالمه الداخلي ويكون نفسه.

لكن العناصر التي تكوّن العالم الشّعري متعددة، ولكل عنصر منها مصادر محددة يمكن أن توجد في بعض الأشياء التي قرأها المرء في صغره. مؤخراً، عندما أعدت قراءة مشهد الصيد في حكاية **أسطورة القديس جوليان الإسبتاري**، عشت من جديد وبوضوح تام ذلك الوقت الذي شدني فيه أول كِتاب غوطي Gothic وحيواني، والذائقة التي تكونت من قراءة حكاية مثل **أخيرا يأتي الغراب** وحكايات أخرى من ذات الفترة وما تلاها من فترات.

في مسيرتك الإبداعية - كما تدل أعمالك - لا يجد القارئ تكراراً، وهو أمر إيجابي جداً في هذا السياق.. هل تفضل في تاريخ أعمالك الروائية: عملية التطور الثابت في المراحل المختلفة؟ أم تفضل تغيير أساليبك الكتابية والتي تعود إلى حقيقة أنك قد وصلت في كل مرحلة من مراحل أعمالك إلى هدفك المنشود؟ أم تفضل الافتراض الثالث وهو.. هل أنت أحد أولئك الكتّاب الذين يعتقدون أنهم قد واصلوا كتابة كتاب واحد فقط خلال فترة حياتهم؟

أفضل الافتراض الثاني: تغيير الأسلوب كي أقول شيئاً لم أكن أستطيع قوله بالأساليب السابقة. وهذا لا يعني أني أعتبر أن بحثي السابق قد انتهى. قد يحدث أن أواصل التخطيط لسنوات لنصوص أخرى لأضيفها إلى تلك التي كنت قد كتبتها بالفعل، رغم انشغالي الحالي بمشروع كتابيّ آخر، ولا

تكتمل عملية الكتابة إلا إذا منحتها معنى وبُنية.

إن أغلب كتاباتي تندرج تحت مسمى «نصوص مصغّرة»، وهي عملية درَسْتِها يا كورتني وتتعلق بقصص **ماركو فالدو** وحتى قضية **ماركو فالدو** أعتبرها قد أغلقت، يمكن أن أكملها عبر تطبيق هذه الآلية على المتغيرات الاجتماعية والتكنولوجية في المدينة في سنوات متتالية. لكن بعد فترة استرسال مختلفة ينتج نوع مختلف من الكتابة، كما لاحظتِ أنه ينتهي في تحليلكِ قبل قليل. وتبعاً لذلك، كان هناك العديد من المجموعات القصصية والتي بدأتها، ولكني هجرتها دون أن أكملها.

لقد كتبت بضعة صفحات فقط من قصص: **غوص في العقارات**، **المراقب** وقصة ثالثة بعنوان **يا له من صيف مرعب**، وكتبتها كلها في عام ١٩٥٥ في ثلاثية عنوانها **تاريخ الخمسينيات**، وتدور حول ردة فعل المثقف على الواقع السلبي الذي يحيط به ولكن عندما أنهيت حكاية **المراقب** كان قد انقضى وقت كبير، وصرنا في الستينيات، حينها شعرت بالحاجة إلى البحث عن أساليب جديدة. وهكذا، ظلت سلسلة الحكايات هذه غير منتهية.

لقد كتبت في ذلك الوقت قصة اعتبرتها مختلفةً جداً، لأنها كُتِبت بأسلوب يختلف عن نقل التجارب. وكان من الممكن أن تصبح القصة الثالثة في تلك الثلاثية. وبدلاً من ذلك، وجدت لها مكاناً آخر في **نملة أرجنتينية** والتي كنت قد كتبها قبلها بعشر سنوات، في ثلاثية أخرى تتشابه فيها المفاهيم والشكل الكتابي.

«إن لغة الفنان» كما يقول مونتال هي: «لغة صارت تاريخية، ولها علاقة به. إنها لغة صالحة وتختلف عن اللغات الأخرى». كيف تصف هُوية لغتك من هذا المنظور؟

يجب أن يُسأل هذا السؤال لكم أنتم أيها النقاد. يمكنني فقط أن أقول إني أُعطل الكسل الفكري والجلي في أعمال الكثير من زملائي الروائيين من خلال استخدامهم للغة مُتوقعة ومشوقة قدر استطاعتهم. أظن أن النثر يتطلب تنمية مفردات الكاتب، تماماً كما يفعل الشعر، ففيه بحث ودقة في اختيار الكلمات، وحرص وإبداع في توزيعها، وفيه همة وقابلية للتحرك وجهد واضح في البيت الواحد، كما أن فيه ذكاءً ومرونة تنقلنا من مضمون لآخر، ومن إيقاع لآخر. فعلى سبيل المثال، أولئك الكتاب الذين يستخدمون الكثير من الألفاظ البديهية أو المتكررة أو صفات موجودة بالفعل في النص لتحقيق أثر يصعب بالنسبة لهم تحقيقه بأي طريقة أخرى، يمكن أن نعتبرهم ساذجين، وفي بعض الحالات غير صادقين، وعلى أي حال هم أشخاص لا يجب أن نصدقهم أبداً.

وبما أني قد تطرقت لهذه الجزئية، أود أن أضيف أني لا أوافق على تحميل العبارة الواحدة كثيراً من المقاصد، ولا أوافق على التكشير في وجه القارئ، والدوران حول الموضوع، والألوان والطبقات، وخلط الكلمات، صحيح أن للكاتب حقه في السعي نحو التأثير الأقصى في القارئ، ولكنه يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أن هذه النتائج يجب أن تتحقق بأقصر السبل، وبأساليب غير متباينة.

وفي الفترة التي بدأت أسأل بها نفسي: كيف أكتب؟ أي في أوائل الأربعينيات، كانت هناك فكرة عدم التكلف والتي ستمنح العمل شكلاً وأسلوباً، ولعل هذا هو ما ظل فيّ من مناخ الأدب الإيطالي منذ ذلك الحين. وإن كان علي الإفصاح عن نموذجي الأمثل في الكتابة، سأقتبس من هذا الكتاب الذي يجب أن أسلمه لأنه نشر حديثاً، في عام ١٩٨٤، لكنه يضم صفحات كُتبت في الأربعينيات: سأقتبس هذه الفقرة التي وردت في

الصفحة ١٧، من كتابة المتاهة للكاتب جورجيو كابروني:[1]

«على جرف جراموندو العاري، خرجنا للهواء الطلق. ورغم أن السماء صارت قذرة إلا أن نسمات عليلة هبت من الغرب. إن متعة منح قدميّ بعض الهواء ‖ لا تزالان ناعمتين ومحترقتين من المسير الإجباري ‖ منعتني من التنعم بالراحة، والاستقرار لبعض الوقت، وإلقاء نفسي تحت الأغطية. كان هناك شخص أرعن وغريب، كانت لديه القوة ليحاول أن يكون ذكياً رغم تعبه. لقد وقف على قمة الجبل مواجهاً الفرنسيين، بدلاً من أن يلتقي بنا ونحن أسفل التل وكانت تفصله أمتار قليلة عنا. «ليست شجاعة أبداً! إنه استهتار!» قال له الضابط وهو يعنّفه تعنيفاً يستحقه، مشيراً إلى الخطر الذي عرضنا له جميعاً. أدركت حينها أنّي كنت في وسط المعركة، وأن القتال سيبدأ بعد ساعات وربما بعد دقائق».

سوف أسأل سؤالين في سؤال واحد. هل تتكون العملية الإبداعية لنصوصك من مراحل كتابة متعددة؟ وهل يمكن أن نقول إنك كنت تعطي أهمية كبرى «لعوالم محتملة» يمكن للكاتب اختراعها، وعلى ذلك إلى العلاقة بين ما تختاره من الواقع لتكتب عنه، وبين ما أنت مجبر على حذفه ولكنك تواصل إبقاءه في ذهنك؟

عادة، أحمل الفكرة في ذهني لعدة سنوات قبل أن أمنحها شكلاً على الأوراق. وفي أحايين كثيرة تموت بينما أنتظر حدوث ذلك. والفكرة تموت على أي حال حتى عندما أقرر البدء في الكتابة ومن لحظة وجود المحاولات فقط لاقتناص الفكرة. إن الصراع مع أساليب التعبير في كل مرة أبدأ فيها بكتابة شيء ما يحتاج جهداً كبيراً، لأني أعرف أن ما ينتظرني

1- Caproni Giorgio: (1912-1988) شاعر من ليغوريا وروائي ومترجم. قاتل في المقاومة مثل كالفينو، كما يوضح هذا الجزء.

هو العمل الدؤوب، والمحاولات المتكررة، والتنقيح، وإعادة الكتابة

وللاسترسال لحظاته أيضاً: أحياناً يكون عند الشروع في الكتابة - ولكن تلك الحالة لا تدوم طويلاً - وأحياناً يكون كحماسة تستشعرها وأنت تكتب، وأحياناً كَتكشف أخير. ولكن هل الاسترسال شيء قيّم؟ هو بلا شك قيّم للكاتب، بما أنه يسمح له بالكتابة بجهد أقل دون المرور بالكوارث في كل دقيقة. ولكن الاستفادة منه غير أكيدة دائماً. وما يهم في الاسترسال هو البصمة التي ستكون في العمل الأدبي، لكن ذلك لا يعني أنه يمكنك أن تحقق هذه النتيجة من خلال استخدام التلقائية كوسيلة، في حالات كثيرة لن يبقى إلا الصبر الذي سيسمح لك بالوصول إلى أكثر حل «عفوي» أو نتيجة مُرضية.

إن لكل نص تاريخه ومنهجه الخاصين به. هناك كتب تثمر عبر عملية الحذف، حيث تُراكم أولاً مادتك الكتابية، أقصد الصفحات المكتوبة، ثم تبدأ بالانتقاء، مدركاً تدريجياً ما يلائم العمل. إن رواية **السيد بالومار** هي نتاج العديد من مراحل هذا النوع من العمل، والذي يلعب فيه «الحذف» دوراً أكبر من «الإدراج».

هل كانت البيئات الثقافية والطبيعية التي عشت فيها - تورين، روما، باريس - اجتماعية ومحفزة لك، أم أنك قد حافظت على عزلتك في بعضها دون الأخرى؟

إن المدينة التي شعرت أنها كانت مدينتي أكثر من أي مدينة أخرى هي نيويورك. حتى إني قد كتبت ذات مرة، مقلداً ستاندال، أني أريد أن يُنقش على شاهد قبري «من نيويورك»، وكان ذلك في عام ١٩٦٠. لم أغيّر رأيي رغم أني عشت معظم الوقت في باريس، وهي مدينة لم أغادرها إلا لفترات قصيرة، وإن كان لي أن أختار فسوف أموت فيها. إلا أني أجد نيويورك

أكثر جمالاً وأقرب إلى شكل المدينة الفاضلة في كل مرة أسافر إليها. إنها مدينة هندسية ومتبلورة بلا ماض وبلا عمق، كما تبدو بلا أسرار، ولا أخافها كثيراً، وهي المدينة التي يمكنني توهم امتلاكها في عقلي، والتفكير بها ككل في ذات اللحظة.

ورغم هذا كله، كم مرة قرأتِ فيها عن نيويورك في قصصي؟ قليلاً جداً. لعلها بضع حكايات من كتاب **الوقت والصياد** أو أعمال مشابهة له، وصفحات يتيمة هنا وهناك. (انظري، لقد تأكدت تواً من **قلعة المصائر المتقاطعة**: الصفحة ٨٠) أما باريس؟ بالتأكيد لم أستطع الوصول إلى العديد من الأمثلة. إن مكان وقوع أحداث كثير من قصصي غير واضح، ولعل هذا هو السبب الذي يجعلني أحتاج كل هذا الوقت للإجابة. بالنسبة لي، إن عمليات التّخيل تتبع دروباً لا تتقاطع دائماً مع الدروب التي نتبعها في الواقع.

أما بالنسبة للبيئة الطبيعية، فالشيء الذي لا يمكنك أن ترفضه أو تهرب منه هو مشهد ولادتك، حيث نشأت، إن سان ريمو تواصل الانبثاق في كتبي، في كثير من المشاهد والمواقف، خاصة إن رأيتها من أعلى، وهي مدينة حاضرة تحديداً في **مدن لا مرئية**. أنا أتحدث عن سان ريمو كما كانت وحتى قبل ثلاثين أو خمس ثلاثين سنة ماضية، وتحديداً كما كانت قبل خمسين أو ستين سنة ماضية، عندما كنت طفلاً. كل تحرٍ من هذا النوع يجب أن يبدأ من قلب خيال الكاتب، وتطوره اللغوي والنفسي. إن هذا الارتباط بسان ريمو شديد كتوقي للبقاء قريباً من جذوري، وهو توق اكتشفت ألا جدوى منه، لأن الأماكن لم تعد موجودة.

لم أفهم توازن المشاهد الراسخة والمتعلقة بالأجداد - والتي لم تنفصل عن مشاهد المدينة الكبيرة - وبعدَ بعضِ التنقلِ بين تورين وميلانو،

وجدت وظيفة في تورين، هناك عدد من الأسباب - والتي يستلم تذكرها جهداً كبيراً - لأبرر مكان إقامتي التالي كاختيار ثقافي. هل كنت أحاول في ذلك الوقت أن أوازن بين موقفي من ميلانو/ تورين؟ لعلي كنت أفعل، رغم أنه كان لدي ميل كبير لربط هذين المتعارضين في الحقيقة، ولكن السنوات التي عشت خلالها بشكل محتم في تورين - كانت قليلة جديداً، ربما خمسة عشر عاماً - لقد حاولت بقدر استطاعتي العيش في المدينتين معاً كما لو كانتا مدينة واحدة - يفصل بينهما طريق سريع يبلغ طوله ١٢٧ كيلومتراً - وهو أمر سبب صعوبات طبوغرافية ونفسية لي، لأني حاولت أن أعيش فعلاً في كلا المدينتين في وقت واحد.

وعند بدء مرحلة ما بعد الحرب، كان الحماس العام للإنتاج الثقافي قد أخذ أشكالاً عدة في ميلانو المبهجة والمنبسطة، كما عارض تورين النظامية والحذرة، ناقلاً قطب الأدب الإيطالي إلى الشمال، والذي كان حديثاً عند مقارنته بجغرافية الأدب الإيطالي بين الحربين، كما اعْتُبِرت فلورنسا عاصمته المسلم بها. ومع ذلك، فإن حتى تعريف الأسلوب «الشمالي» كندٍ للمذهب «الفلورنتيني» السابق، كان لفرض الشروط، لأن أتباع كلا المذهبين ‖ في أوقات مختلفة ودون انقطاع ‖ هم نفس الأشخاص.

كان الحال صعباً كما في السنوات الأخيرة، عندما أصبحت روما مركز إقامة عدد كبير من الناس الذي يكتبون - أناس من كل مكان ومن كل ميل أدبي ‖ الذين أوجدوا قاسماً مشتركاً يُعَرّفون به «النسل الروماني» كمعارض لأي نسل أخرى. باختصار، يبدو لي أن خريطة الأدب الإيطالي اليوم مستقلة بأكملها عن الخريطة الجغرافية، وسواء أكان هذا جيداً أم لا.. فالإجابة مفتوحة.

بالنسبة لي، أنا بخير فقط عندما لا أسال نفسي: «لماذا أنا هنا؟»، وهو

سؤال أنساه تماماً في المدن الثرية والمعقدة، وكأنها مراجع ضخمة تثني أي شخص كان يفكر بالكتابة من إضافة شيء آخر. فعلى سبيل المثال، عاش كُتّاب من أرجاء العالم في روما خلال القرنين الماضيين، وهم لا يملكون سبباً معيناً لاختيار روما بدلاً من أي مكان آخر، منهم مستكشفون قد وجدوا أنفسهم متآلفين روحياً مع روح المدينة - غوغول على وجه الخصوص - ومنهم من كان يستفيد من كونه غريباً.

على عكس الكُتّاب الآخرين، لم يمنعك نشاطك الإبداعي من توليد انعكاسات نظرية متوازية (ميتا روائية) و (ميتا شعرية). وإن احتجنا إلى مثال من نصوص حديثة، «كيف كتبت أحد كتبي؟» والذي أشار إليه بحث في عام ١٩٨٤ من ضمن أبحاث (Groupe de sémiotique acte Hautes des École the from 'sémiolinguistiques Recherches Sociales Sciences en Études)**، حيث وردت فيه تأكيدات من سيميائيين ومتخصصين في الأدب أنهم يستمدون نظرياتهم من أعمالك دائماً - رغم أنك لا تكتب أعمالاً تصويرية - كيف تفسر هذا النوع من التعايش الرائع؟**

من الطبيعي أن تلهمني الأفكار المنتشرة بشكل عام، وهي إما أن تلهمني فوراً، أو أن تتأخر قليلاً في ذلك. ما يهم هو التفكير المسبق بأشياء قد تفيد الآخرين. لقد تعاملت مع الحكايات الشعبية المشهورة في وقت لم يهتم فيه أحد بتقنياتها الغامضة، وجعلتني هذه الحكايات أكثر تقبلاً للمشاكل البنيوية في النص. وبعد عشر سنوات، شدت انتباه الناس. ولا أظن أن لدي مهمة نظرية حقيقية. إن متعتي هي تجريب المنهج الفكري كما لو كان أداة تفرض قواعد معقدة وملحة، يمكن أن أتعايش مع اللاأدرية والتجريبية. وأظن أن الشعراء والفنانين يفكرون بهذه الطريقة. إن الأمر يختلف عن استغلال توقعاتك للوصول إلى الحقيقة عبر نظرية أو منهج -

كما يفعل الشخص في الفلسفة أو الأيدولوجية- لقد أُعجبت دائماً وأحببت دقة الفلسفة والعلوم، ولكن دون الاقتراب منهما.

ما هو شعورك وأنت جزء من أدب إيطاليا اليوم؟ هل تَلْمَح ما يتجاوز التهذيب في الآونة الأخيرة؟ وهل يبدو للسؤال عن «ماهِيّة الأدب» والذي سألتك إياه الصحف أكثر من مرة، أي معنى؟

كي أعطي ملخصاً عن الأدب الإيطالي اليوم - ولإعادة فهم التاريخ الأدبي لهذا القرن في ضوئه - يجب أن نهتم بعناصر متعددة كانت صحيحة قبل أربعين عاماً - في وقت تدريبي الأدبي - والذي أصبح تأثيره جلياً الآن، مما يؤكد هذه العناصر: أ) الموقف المُمَيز للشعر في النثر، وهذا يشتمل على القيم التي يسعى خلفها الحكواتيون وكُتّاب النثر، ورغم أن كلاً منهم يستخدم أساليب مختلفة في السرد، إلا أنها تحمل ذات النهاية. ب) انتشار القصة القصيرة في السرد وأشكالاً أخرى من الكتابة الإبداعية أكثر من الرواية، فنجاح الرواية نادر واستثنائي. ج) إن الكتّاب غير التقليديين، والغريبين، واللانمطيين يصبحون أكثر الشخصيات تميّزاً في عصرهم.

وبأخذ ما سبق في عين الاعتبار، والرجوع إلى كل ما فعلته وفكرت به - سواءً أكنت مخطئاً أم مصيباً - يجب أن أختم بالقول إني أشعر بالرّاحة التّامة في الأدب الإيطالي، وإنّي لا أتخيل نفسي إلا في جزءٍ منه.

[نشرت أولاً في Autografo، أكتوبر ١٩٨٥].

صدر للكاتب إيتالو كالفينو

١. الطريق إلى بيوت العناكب ١٩٤٦
٢. الغراب يأتي متأخراً ١٩٤٩
٣. الفيكونت المشطور ١٩٥٢
٤. النملة الأرجنتينية وحكايات أخرى ١٩٥٢
٥. حكايات شعبية إيطالية ١٩٥٦
٦. البارون فوق الأشجار ١٩٥٧
٧. الفارس الخفي ١٩٥٩
٨. أسلافنا ١٩٦٠
٩. ماركوفالدو ١٩٦٣
١٠. كوميديا - كونية ١٩٦٥
١١. الوقت والصياد ١٩٦٧
١٢. قلعة المصائر المتقاطعة ١٩٦٩
١٣. الحب الصعب ١٩٧٠
١٤. المراقب وحكايات أخرى (١٩٧١ الترجمة الإنجليزية)
١٥. مدن لا مرئية ١٩٧٢
١٦. لو أن مسافراً ذات شتاء ١٩٧٩
١٧. السيد بالومار ١٩٨٣
١٨. الوحيد تحت شمس الجاكوار ١٩٨٦
١٩. ست وصايا للألفية الثالثة ١٩٨٨
٢٠. الطريق إلى سان جيوفاني ١٩٩٠
٢١. لماذا نقرأ الأدب الكلاسيكي؟ ١٩٩١

٢٢. قبل أن تقول.. أهلاً ١٩٩٣
٢٣. ناسك في باريس ١٩٩٤

المحتويات

مقدمة إستر كالفينو..... 8

إهداء إستر كالفينو..... 11

غريب في تورين 13

استبيان ١٩٥٦ 16

الكاتب والمدينة 23

بورتريه شخصي 24

مذكرات أمريكية ١٩٥٩-١٩٦٩ 27

الشيوعي المشطور 139

سيرة سياسية لشاب..... 148

نسختان لرسالة واحدة..... 176

سيرة ذاتية موضوعية..... 180

ناسك في باريس 188

أين كنت في ٢٥ أبريل ١٩٤٥؟..... 197

اللّهجة 201

الحال في عام ١٩٧٨ 205

هل كنت ستالينياً أيضاً؟..... 213

صيف ١٩٥٦ 222

صور القائد 229
ما وراء النجاح 245
أريد أن أكون مركيوتشو 259
نيويورك هي مدينتي 260
مقابلة أجرتها ماريا كورتي 265

يتكون هذه الكتاب من إثنى عشر عنصراً نشرها إيتالو كالفينو في كتب مختلفة .أحدها لم ينشر وهو يوميات أمريكية وعمل آخر لم يصدر في إيطاليا بل طبع في لوغانو بكمية محدودة وهو .. ناسك في باريس.

إن يوميات أمريكية ليست إلا مجموعة رسائل أرسلت بانتظام إلى دانيال بونشيروللي في دار أينودي للنشر، لكنها لكل زملائه في الدار أيضاً - كما يقول كالفينو - وهي كذلك لكل من يرغب بمعرفة انطباعاته وتجاربه في أمريكا.

كسيرة ذاتية توثيقية - وليس كقطعة أدبية - تبدو لي يومياته جوهرية كبورتريه شخصي عفوي ومباشر.

إذن، فهدف هذه المجموعة هو إنشاء علاقة أقرب بين الكاتب كالفينو وقرائه ولتعميقها من خلال هذه الكتابات .لقد آمن كالفينو أن "ما يهم هو من نحن، والطريقة التي نعزّز بها علاقتنا مع العالم والآخرين، وهي علاقة حب بيننا وبين كل الموجودات ورغبتنا بتطورها."

إستر كالفينو

cover by giorgia scioratto

ISBN 978-9938-833-42-3

9 789938 833423